مساحات الود والاحترام بين المسيحية والاسلام



الاب القمص فيلو ثاوس فرج

إهـــــــــداء ٢٠٠٧

الأب القمص / فيلوثاوس فرج

جمهورية السودان

مساحات الود والإحترام بين المسيحية والإســلام

القمص فيلو ثاوس فرج

سبتمبر ٢٠٠٦م

الطبعة الأولى

سبتمبر ٢٠٠٦م

قافلة المقدمات

يعتبر المؤلف أن هذا الكتاب كتاب مهم للغاية للمسيحي المؤمن بمسيحيته والمسلم المؤمن بإسلامه .

والكتاب هو قنطرة عبور من كل بحو للآخر وقد عرض المؤلف مسودة الكتاب على سبع شخصيات إسلامية وتجاوب السبع سباعاً وأسوداً في ساحات التآخي ...

تشكلت هذه القافلة وكما يقول الكتاب المقدس الحكمة بنت بنيها نحتت أعمدتها السبع فالى قافلة المقدمات .

المؤلف

حوار الإلفة والجيرة وعبادة الرب الواحد

الأب فيلوثاوس فرج شخصية سودانية معروفة ، تجمع ما بين النخبوية والجماهيرية وتشهد على نخبويتها كتاباته وكتبه ووجوده ومساهماته فى المؤتمرات والمنتديات الفكرية ، وتشهد على شعبيته أنه رجل دين ، قس وأب والأب يعمل وسط الناس العاديين ، يحل مشاكلهم ويسعى بينهم ، والأب لا يملك إلا أن يكون من طينة الناس . وخاطبت الأديان الخلق بهذا اللفظ ، الناس والإنسان . ومن دائرة الناس اتجهت الى دائرة المؤمنين الى الصديقين والحواريين والرسل (نخبة النخبة).

فى هذه الدراسة ، يسعى الأب فيلوثاوس ، للخروج من الأدب المألوف فى حوار المتدينين ، وهو حوار قائم على الإلفة والجيرة والعيش المشترك وعبادة الرب الواحد ، الله جل جلاله ، الى حوار أصعب وأشد مراساً ويدخل الى عالم اللاهوت بما فيها من مصطلحات ومعان وخطاب متشابه حمال أوجه ، فى محاولة لإيجاد مقاربة مابين التوحيد والتثليث مستخدماً بعض آيات القران والكتاب المقدس والفلسفة وعلم اللاهوت.

وما يبدو لى ، أن لكل كتاب ولكل دين شخصيته ، التى قوامها النص والنقل وتراث هذا الدين. وكما يقوم الإسلام على التوحيد فإن المسيحية تقوم على توحيد تثليثى (الأقانيم) فى مقاربة لجعل الأقنوم أشبه بالصفات عند المسلمين أو أسمائه الحسنى ، ويعجبك سعى الأب فرج وسط آيات القران ومعرفته بهذا الدين ولم لا ؟ وهو المسيحى عقيدة ومصيراً والمسلم ثقافة وتواصلاً وإجتماعاً ، وتكون هذه الدراسة قد حققت أهدافها حتى وإن لم توافق الكاتب على فرضياته ونتائجها لأنها تكون قد فتحت لك نافذة للتعرف على الإسلام والمسيحية والثقافة الإنسانية.

مرحباً بالأب فرج فى منتدى حوار المتدينين وحوار الأديان وحوار الحياة وحوار النخب والعقول وبالحوار تكسب المعرفة ويتقدم الإنسان ويتحقق مقصد كرامة الإنسان.

والســـلام

بروفسور دكتور حسن مكي

فندق الفصول الأربعة (الدوحة - قطر)

أستاذ كرسى البحوث والدراسات الأفريقية

جامعة أفريقيا العالمية

الجمعة ٢٦ مايو ٢٠٠٦

الموافق ٢٨ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ

محاولة جادة لمخاطبة بعض المفاهيم التي تحول دون بذل مساحات الود

مؤلف هذا الكتاب القمص فيلوثاوس فرج راعي كنيسة الشهيدين بالخرطوم من القلة الناشطة في ميادين الحياة المتعددة ، الدينية والثقافية والإجتماعية والسياسية وأكاد أقول والإقتصادية . فهو راعي إحدى الكنائس القبطية الكبيرة وترأس أول مؤتمر عالمي لحوار الأديان في مطلع التسعينات ونشط بعدها في جمعية حوار الأديان ثم في مجلس التعايش الديني السوداني ، وإستطاع مواصلة دراساته العليا بجامعة جوبا ثم جامعة الأزهري رغم مشاغله العديدة وهو كاتب عمود أسبوعي في إثنين من الصحف السودانية وله كتب منشورة مما يدل على إهتمامه بالعلم والثقافة ، ويتميز بعلاقات إجتماعية واسعة عبر قطاعات المجتمع المختلفة لا تفتقده في الأفراح أو الأتراح.

إقتحم منتديات السياسة المستعصية منذ بدايات سلطة الإنقاذ فصال فيها وجال حتى وصفه البعض بأنه « قبطي جبهجي » أي من من المؤيدين للجبهة الإسلامية ، وهو يمتلك مزرعة كبيرة في جنوب الخرطوم يرتادها في كل حين ينشد فيها الخلوة والراحة والتامل. ومع هذا التعدد في الأنشطة والإهتمامات هو صاحب دعابة وحديث طلي يلفت اليه الأنظار في كل مجلس يغشاه.

والكتاب الذي بين يدي القارئ (مساحات الود والإحترام بين المسيحية والإسلام) يعكس جانباً هاماً من شخصية المؤلف التي تؤمن نظرياً وعملياً بالتآخي والتعاون والتوادد بين المسلمين والمسيحيين ، ويعتقد أن المرحلة الراهنة من تاريخ السودان تفرض علينا التمسك بهذه القيم أكثر من أي وقت مضى حتى نجتاز محنة حرب أهلية دامت اكثر من عقدين من الزمان ، وأجد نفسي متفقاً معه في تلك النتيجة . وهو في هذا الكتاب يريد أن يوصل لهذا السلوك بتعميق تلك المعاني في النفوس ، ويدعو للتعدد والتنوع الذي هو من سنن الكون وفطرة الإنسان والذي يثري الحياة ويجعلها جميلة جذابة تستحق العيش رغم بعض المكدرات.

والكتاب عبارة عن محاولة علمية جادة لمخاطبة بعض المفاهيم الدينية التي يعتقد المؤلف أنها تحول بين بعض المسلمين وبذل مساحات الود والإحترام لأخوانهم المسيحيين مثل دعوى تحريف الكتاب المقدس أو نسخه ، ووصف المسيحيين بالكفر أو الشرك ، وأفرد باباً كاملاً للحديث عن التوحيد والتثليث في الإسلام والمسيحية ، ثم تحدث عن المسيحية في البلاد العربية وعن إسهام المسيحيين في الحضارة العربية خاصة دور الأقباط في نشر وإثراء اللغة العربية الفصحى .

ولأن الكتاب يخاطب المسلمين في المقام الأول فهو يستشهد لهم بالقران الكريم في معظم

نقاشه لتلك المسائل وقد بذل مجهوداً مقدراً فى معرفة الأدلة ذات الصلة وكأنه أحد المختصين فى هذا المجال ، ولا تملك إلا أن تحترم إستنتاجه العلمي وإن اختلفت معه فى الرأى.

وليت المؤلف خاطب أيضاً حساسيات المسيحيين ضد المسلمين بنفس القدر الذى خاطب فيه مفاهيم المسلمين عن النصارى فذلك أدعى لإيجاد التوازن المطلوب الذى تبنى عليه قيم التآخي والتعاون والتوادد التى يريد لها المؤلف أن تسود فى علاقات الطائفتين. وحق لنا ان نتسآل : هل المفاهيم العقدية هى التى تفسد العلاقات بين أتباع أهل الأديان المختلفة أم أن بعض أنماط السلوك العملى فى قضايا المعاش هى التى تفسد تلك العلاقات ثم يبحث لها بعض المتفيقهين أسباباً دينية ؟ أرى أن تلك الأنماط من السلوك تحتاج الى نقاش ومكاشفة فقد لاحظت أن بعض الذين يتولون كبر المسائل الخلافية الدينية لا يابهون كثيراً فى تطبيق تعاليم الدين على أنفسهم ، فكأنما تلك المسائل هى إختراع نفسي للتعبير عن خلاف آخر لا يفصح عنه !

والكتاب جهد مشكور لمؤلف جاد يملك رؤية أخلاقية واضحة لعلاقات التعدد الدينى التى يريد لها أن تسود فى أرجاء الوطن الذى ننتمى اليه. وأحسب أننا نكسب الكثير بالإستجابة الى تلك الرؤية مهما كان خلاف التفاسير لأنها هى السبيل الصحيح للتعايش السلمى بين فئات وطوائف المجتمع.

والله ولى التوفيق

أ. د. الطيب زين العابدين محمد
أمين عام مجلس التعايش الدينى السودانى
الخرطوم ٥ ايونيو ٢٠٠٦م

ما يقدمه المؤلــف يمثل دعـوة شجاعة
ووسيلة لعـــالم جديد

ظل الإنسـان على مدى نشأتـه يعاني من إبـتلاءات تخـتبر صـدقه وتنظر مـدى إيمانه .. وبين الإختبار والنظر تثبت مسئولية البشر الأخلاقية دورها في عالم يسوده الإستقرار ، يقوم على السلام وفق حوار نبيل يستشرف آفاق التفاهم والسماحة ، بعيداً عن كل أوجه التوتر والضيق ، ولم تكن صدفة أبداً أن تنادى الأديان كلها في مواجهة المحن بالصبر .

يمور عالمنا المعاصر بكل نوازع الشر وويلات الدمار فالمسغبة تقتات كل أمل الإنسانية في مسميات التفاؤل ، والجهل يزدرد كل نوافذ المعرفة ولم يكن صدفة أبداً أن نادت الأديان كلها بمحاربة المسغبة وفتح كوى المعرفة.

تهدم الحرب وفي كل الأوقات حضارة البشرية ، والسلام وحده بعون من الله جلت قدرته ، هو القادر على تجاوز كل المرارات وهو القادر بعون الله جلت قدرته ضمان العيش الكريم للبشر ، ولايستقيم ذلك ولا يمكن بدون نظام إجتماعي يهفو الى قيمة الخير والبصيرة الأسمى ولم تكن صدفة ابداً أن السلام من أسماء الله وأن البصير من أسمائه جلت قدرته .. وأنه العلى القدير.

يستوجب عصرنا الشرس أن تهيئ القيادات المؤمنة الأسس لتفاهم أفضل يحيل حلم البشر في الإستقرار إلى واقع ملموس بديلاً مرجحاً لكل قواميس الشر ، والبغض والتقصير والإحتقار والتسلط ، فالسلوك القويم مهما تهفو الأديان لا يرتبط بالأفراد فقط ، فهو يتجاوز ذلك إلى المجتمعات كلها. والمجتمع المستقر يمثل رأس الرمح في التغيير النبيل .

للمؤمن الحق – في إطار دينه وبحكم فهم شامل وعميق للإيمان – دور في ترسيخ التعايش الديني . وقد علمنا التاريخ ذلك سواء في خلافة بغداد أو دمشق أو قرطبة . أو خلال حروب السلطان صلاح الدين الأيوبي . ويؤكد تاريخنا النوبي أن السماحة من خلال التوحيد مثلث فضيلة الدفع لمرافئ التقدم . ويورد القران الكريم في ذلك الشأن (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما أتاكم فاستبقوا الخيرات) «المائدة الآية ٤٨» . وإستباق الخيرات يرتبط بالتعارف ومعيار التقوى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) «الحجرات آية ١٣» .

أورد المطران جورج خضر في معنى الإيمان العميق الشامل « لسنا كلنا مسلمين ولكننا إسلاميون » بمعنى أن هناك حضارة واضحة جداً هي الحضارة العربية الإسلامية ونحن كلنا ننتمي اليها » وللعرب النصارى قبل الإسلام – دور لاينكر فهناك الأريوستية وأصحاب الطبيعتين «النساطرة والمونوفية» أصحاب الطبيعة الواحدة وإنتشرت النصرانية في

نجران واليمن وسوريا « اللخميون » وللنصارى والصليب حضور كبير فى العقل والوجدان العربيين «الشعر والتاريخ والحرب والسلام » وقد كان موقف الإسلام واضحا فقد رأى فى النصرانية ديناً سماوياً وفى النصارى أهل كتاب.

(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) « المائدة الآية ٨٢ » والمسيح هو رسول الله وكلمته (إنما المسيح عيسى أبن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) « سورة النساء الآية ١٧١» (ما المسيح أبن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) « المائدة الآية ٧٥ » لم يجبر الإسلام أهل الكتاب على تغيير دينهم .. وطالب دائماً بالحوار «المجادلة» (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم) « سورة العنكبوت ٤٦ » ويتفق الفقهاء أن موقف الإسلام من المسيحية يمثل موقفاً ايجابياً من المسيحية .. وكانت إحدى زوجات الخليفة معاوية نصرانية هى « ميسون » وهى التى أنشدت .. لبيت تخفق الأرواح فيه   أحب الي من قصر منيف

وتورد كتب التاريخ أن طبيب معاوية الخاص وشاعر بلاطه من النصارى وهو ماجرى – فيما بعد– خلال الدولة العباسية والدولة الفاطمية وكان للنصارى فى تلك العهود دور لا ينكر فى الترجمة والآداب والعلوم .

إن كثيراً مما طرحته حركة التطور السياسى فى المنطقة تشير الى مفاهيم غربية إخترقت الدين فى المنطقة ولم يكن غريباً فى إطار التداعيات غير المريحة ، لما يتصوره البعض صراعا. أن ينادى أحد المفكرين العرب « فرح انطون » نحن المسيحيون الحقيقيون وديننا لم يتدخل فى السياسة .. ونحن لسنا مسئولين عن أعمال المسيحيين الغربية .. إن ولاءنا هو للشرق أو كما ردد الإمام محمد عبده (إن إنتساب غير المسلمين الى الأمة لا يقل أصالة عن إنتساب المسلمين أنفسهم اليها.

ظل الوطن العزيز على مدى نشأته وتطوره تعبيراً حقيقياً عن معنى الخصب مما يترع النيل به ، الأرض بالطمي لتتوالى مهرجانات السلام وأناشيد المحبة والسكينة والفال الحسن ، وهى خصائص ظلت ولسوف تظل إن شاء الله ترفد أجيالنا كل تلك المعانى النبيلة ، ولقد أورد كثير من المؤرخين الطبيعة الدينية للحضارة النوبية القديمة .. وهى مما مهد للأديان وهى تشتهر فيما بعد فى سودان اليوم ودون تفاصيل لا تفيها مقام التقديم لهذا الكتاب فإن الإشارة لما أورده الكتاب والمؤرخين (ابى سليم ، الأسراي ، يوحنا ، أسقف أمنسسي وغيرهم ولم يكن غريباً أبداً أن يلتقي فى الوطن ، الدين الإسلامى بالدين المسيحى وأن يتكاملا بإتجاه الإستقرار والسماحة . وفى كل الأحوال فإن النظر والتامل لحركة الشيخ في الرقصة تنبئ بوعد أمل : هو النموذج الأمثل للتعايش فى ظل كل أنواع التعدد ويبدو لى أن تبادل سلطة مملكة المقرة المسيحية مسألة جديرة بالمزيد من البحث كظاهرة تستحق ذلك

فذات الأسرة ذات الأصل النوبي / العربي من بني الكنز وهي التي واصلت مسيرة التطور السياسي ١٣٢٣م .. ويورد الدكتور مصطفى محمد سعد في كتابه الإسلام والنوبة في العصور الوسطى (إنه لم يكد ينتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى كان النوبيون قد إعتنقوا الإسلام باستثناء أقلية نوبية ظلت على المسيحية حتى أواخر القرن الخامس عشر حيث ظلت تحج الى بيت المقدس ، ولقد أعقب ذلك سقوط مملكة علوة المسيحية ١٥٠٤ وينتشر الإسلام والثقافة العربية التي لم تمنع خصوصاً الثقافات الوطنية.

الأب فيلو ثاوس

ظل القمص فيلو ثاوس فرج وهو صديق مفكر – إعتز كثيراً – بصداقته يقدم على ساحة الوطن من المشاركة النبيلة ما يجعله سفيراً في وجدان كل وطني ، فكتاباته عن المحبة الممزوجة بكل قيم المؤمن المشرئب لعالم يتجاوز كل الأطر المادية لروح يشمله السمو ويرعاه الله في جنة عرضها السموات والأرض .

ما يقدمه الأب القمص فيلوثاوس يمثل دعوة شجاعة ووسيلة لعالم جديد ، فتتابع الود والتعايش ليس مجرد كلمات نلوكها بقدر ما تمثل نهجاً علميا يتبعه في دراسته الجادة عن مساحات الود والاحترام بين المسيحية الإسلام وفيما طرح قد نختلف أو نتفق معه لكنه يظل وفي كل الأحوال عملاً من الأعمال التي نحتاجها في السودان لنذكر للأجيال أننا جديرون بالفعل بقيمة أن نكون مواطنين ، ولقد ظل أخونا « فيلوثاوس » في حضوره الدائم عنوانا لا ينكر في مقامات الأمل .. والمشاركة الفاعلة القاصدة .

ما يطرحه الأخ القمص فيلوثاوس يمثل حجراً في بحيرة ساكنة ولعل موجها يفيض خصباً يترامى في حياتنا إستقراراً وهدوء.

لعلي أشكر له كثيراً تشريفي بكتابة هذه المقدمة فقد عنت لي قراءة الكتاب رفداً من روافد العرفان .. فالمعرفة حكمة وهي فريضة على المؤمن .. فله الإعزاز والشكر

د. بركات موسي الحواتي

عميد كلية القانون – جامعة جوبا

كيف نقرأ ونتأمل الكتب المنزلة
بسايكولوجية التفكر

شكراً لابونا الأستاذ الأديب والكاتب صاحب القلم الرفيع القمص فيلو ثاوس فرج ، المفكر المقتدر الذى إستطاع بشمول علمه الوارف الظلال وحبه للوطن والدين والتدين بمعناه العميق .. إستطاع أن يقتحم الصعاب ويدك صخرة الشك ، ويزيل غشاوات التعصب ، ويقصر الشقة بين المسيحية والإسلام ، فاذاب المرارات وفسر الفوارق عبر مسيرته الفكرية الظافرة وتجواله فى مساحات شاسعة من الود والإحترام بين الديانتين السماويتين الداعيتين الى الايمان بالله الواحد الصمد.

فما أحوجنا الى كتاب مثل هذا ونحن فى هذه الأيام التعسة التى أصبح فيها الساسة المتشددون يبذرون الفرقة بين المؤمنين بوحدانية الله . يريدون لنا العودة الى الحروب الصليبية ، وذلك بتلويث أفكار الشباب بعبارات الكفرة والملحدين وبنشر الفرقة والتخاصم وذلك بالإستخدام الضيق لمفهوم الجهاد ، الذى هو جهاد النفس ، ودفعها لطريق الايمان وليس لقتل الأبرياء المؤمنين.

ونحمد الله أن بيننا رجل عالم كفيلو ثاوس ، درس وتعمق لما جاء في الإنجيل وأدهشنا بفهمه العميق الواسع للقرآن الكريم وإختياره الدقيق للآيات التي تعضد فكره المؤحد للمؤمنين.

قال تعالى (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان . إن الذين كفروا بأيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) صدق الله العظيم «آل عمران الآية ٣-٤».

إستطاع العالم بهذا التعمق والدراسة للقرآن الكريم أن يؤكد على أن الإسلام قد جاء مصدقاً بالمسيحية ومقراً لما جاء فيها . وإن الله سبحانه وتعالى لم يكفر المسيحيين . وأشار الى أن التعايش بين الديانتين إستمر لعدة قرون فى رقعة جغرافية واحدة ، تصادقوا مرات ،وتحاربوا مرات بسبب الحكام الطغاة والساسة ذوي الأغراض، الذين لم يدركوا أن الديانتين المسيحية والإسلام تتوافقان وإن لم يتطابقان ، وأن الله لو أراد أن يرسل رسولاً واحداً لفعل ، فهذه حكمته جلت قدرته . وأشار الى الود الذى يجب أن يكون بين المسيحيين والمسلمين .

قال تعالى (ولتجدن أقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون) صدق الله العظيم « سورة المائدة آية ٨٢ ».

هكذا ظل الإسلام يشير دوماً لصفاء ونقاء وقدسية المسيحية ، لقد قرأت هذا الكتاب كلمة

كلمة بكل العمق وأنا استرجع الذكريات لتلك المساحات الودية والعفوية والعلاقات النقية التي كانت بين أسرنا في حي المسالمة بأمدرمان ، حيث يتمازج صوت الآذان مع جرس الكنيسة وأنا أعبر تلك الشوارع الضيقة لألتقي بأصدقائي وزملاء الدراسة (مكرم رياض ميخائيل) و (ادمون والفرد دانيال و (رمسيس فتح الله) وجارتنا (ست فلة) صاحبة المدرسة المشهورة .

وقد كان والدي (الشيخ محمد المهدي دوليب) ناظراً لمدرسة المسالمة بمسلميها وأقباطها ، وفي العصر كنا نهرع لميدان المريخ لنشاهد التمرين والذي يبدع فيه لاعبو خط الدفاع (مفيد جورج عبجي وادمون والحارس ونجد) من الأقباط ، لم نشعر يوما باننا مختلفين فكرياً أو إجتماعياً ، بل كنا نؤمن بديانتين سماويتين وننتمي لوطن واحد هو السودان .

وقد عرج القمص فيلو ثاوس على التاريخ ، فتطرق الى تداخل المسيحية والممالك العربية وأثر ذلك على الثقافة الإسلامية وأشار الى الشعراء العرب المسيحيين كعمرو بن كلثوم وأدباء ممالك الحيرة وقحطان والغساسنة واللخميين ، ولم يهمل إسهامات الأدباء المسيحيين السودانيين وأثرهم على الثقافة السودانية كالشاعر عزيز التوم ، وعزيز اندراوس ، وسعد ميخائيل .

لقد أراد أخونا القمص فيلو ثاوس أن يرشدنا كيف نقرأ ونتأمل الكتب المنزلة بسيكلوجية التفكر الداعي لتركيز التلاقي الودي بين الديانتين ، وليس ذلك الباحث عن تعابير وتفاسير الخلاف اللغوي فيما يتعلق (بالتثليث) و (التوحيد) و(التحريف) و(الأبوة القدسية). فالقران لا يخالف الإنجيل بل جاء داعما له ، وليكن ديدننا أن الديانتين السماويتين تتوافقان ولا تتطابقان وهذه حكمة الله .. فما أحوجنا الى تعميق هذا المفهوم في بلادنا ونحن نتجه الى التعايش الديني وقبول الآخر فعلاً لا قولاً.

أخي فيلو ثاوس مرحباً بك بيننا في وطنك السودان فكراً وقلماً مجاهداً لتحقيق هذه الأهداف السامية ، وإذا كنت تدعو الناس أن يداوموا على حبك فقد سبقتك في هذا الإتجاه العاطفي إذ قلت في أغنية لي غناها الفنان الكبير عثمان حسين أطال الله في عمره :

داوم على حبي وأسأل على قلبي ماتفكر تنساني
وأنا أحبك ولا أنساك

تاج السر دوليب

بروفيسور مشارك – جامعة الأحفاد للبنات
دكتوراة فخرية في التربية
حامل وسام الآداب والفنون
وجائزة الدولة للإبداع الفني الشعبي

الكتاب إجتهاد مقبول
والبحث يستمر لفائدة السودان

عرفت الأب القمص فيلوثاوس فرج كاهن كنيسة الشهيدين منذ زمن طويل وأعتز جداً بعلاقتي معه وعلاقة أسرتي وأصدقائي وأترابي من الأطباء به .

عندما كتب مذكراته عن المسيحية في عيون المسلمين أعجبتني كتاباته وعندما نفذت المذكرات طالبته أكثر من مرة أن يعيد طباعتها. وأقف الآن أمام كتاب (مساحات الود والإحترام بين المسيحية والإسلام) في إعجاب شديد فلقد قرأته بتدقيق لأكثر من مرة وقلت له إنني وعلى مسئوليتي أرى أن كل ما كتبته انما هو الصدق بعينه فالإسلام جاء يكمل الأديان التي سبقته ولم يكن لهدمها أو للنيل منها ، ولقد كتبت في فقه الطبابة مختاراً من آيات القرآن الكريم ما يؤكد مكانة المسيحية والسيد المسيح عند المسلمين .. فهم لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .. وهم أقربهم مودة الينا الذين قالوا انا نصارى لأن منهم قسيسين ورهبانا وهم لا يستكبرون .. ولأنه لا إكراه في الدين ولأنهم آمنون الى يوم الدين والإسلام في حريته يذكر وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه .. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة .. هذا ما جاء في سورة المائدة وفي نفس هذه السورة (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) وأرجو ان نلاحظ أن سورة المائدة كتبت قبل وفاة النبي صلوات الله وسلامه عليه بأسابيع قليلة ولم تنسخ . والحديث يطول عن مكانة أهل الكتاب وأهل الذمة ونحن كلنا والحمد لله في ذمة الله .

وكتاب أبونا هو إجتهاد مقبول ومشكور ونظراً لأن الإجتهاد مباح ومطلوب في الإسلام لهذا كتبت كتاباً عنوانه (فقه الطبابة) لأن الحرية متاحة والفسحة واسعة لطرح الأسئلة والإجتهاد ومطلوب أن تكون صياغة القوانين مواكبة للظروف والمتغيرات ونحتاج لحماية الإجتهاد صوناً لحرية البحث والتي هي أخص خصائص حقوق الإنسان اللازمة لصياغة المجتمع الديمقراطي المعاصر الذى يتساوى فيه الجميع حقوقا وواجبات.

إنني أهنئ القارئ السوداني بهذا الكتاب وأهنئ الأب فيلوثاوس الكاهن الوقور بهذا العمل العظيم (مساحات الود والإحترام بين المسيحية والإسلام) وأعتقد أن بحثه في هذا المجال سوف يستمر لفائدة الوطن العظيم السودان الممتد الأطراف .

بروفيسور أحمد عبد العزيز

أخصائي جراحة القلب

وزير الصحة السابق

أستاذ إمتياز جامعة امدرمان الاسلامية

الكتاب كلمة وأقنوم من الشمس يشع جرمها وهجاً للمحبة حيال الآخر

الإنسان المصرى القديم بجل الكتابة تبجيلاً عظيماً .. رفعها بين الحرف والمهن مكانة رفيعة ، أنظر للحكيم المصرى وهو ينصح إبنه (كن كاتباً ... فالكاتب رئيس نفسه) فتعلم الإبن أن ضميره هو الفيصل لا الرقيب أو الرئيس أو الكبت. فقال (لا تزرع الخوف فى نفوس الناس فتلك إرادة الله ، إذا لجأ أحدهم الى العنف فان الله ينزع الخبز من فمه .. واذا فعل ذلك من اجل الثراء سيقول له الله (لأحرمنك من هذه الثروة .. أعمل على أن يعيش الناس فى سلام) .

إن الله محبة فى الفكر الدينى المصرى القديم ، قيمة تسربت الى رحم الحضارات والثقافات والفلسفات الدينية اللاحقة تمجد الآخر وتسامح الآخر بل الآخر هو النبيل اذا استغاث.

ثم صارت الأشياء عندى تعلو وتعلو

ثم إننى فى ذات صباح .. كبرت .. فهمت .. وأدركت

فى أوائل السبعينات من القرن الماضى دخل المدرج أستاذنا المهيب الدكتور أحمد الزين صغيرون ليدرسنا ويعلمنا مفردة من منهج تاريخ الفن (انظروا هذه لوحة العشاء الاخير .. ليوناردو دافنشى .. اليوم سندرس الضوء) ثم اننى رحلت بخيالى المسكين الى حنجرة السماء وصغيرون يحلل مكونات وهندسة الضوء.

وطفقت أقرأ واتامل وأتامل ثم أغوص الى بحيرة النفس شاواً بعيدا حتى كدت أغرق فإستيقظت .. السيد المسيح عليه السلام يتوسط اللوحة ، كل الخطوط وكل الضوء يشير الى وجهه المضئ .. والساعة قد حانت والأثنى عشر تلميذاً يحيطون به وبينهم يهوذا الأسخريوطى الذى أجهض مشروع الآخر الى الأبد .. والسيد المسيح عليه السلام بتسامحه الجليل يصب الماء ويغسل أرجل تلاميذه بما فيهم الواشى الأسخريوطى وهو يقول (هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم ، إبن الإنسان ماض كما هو محتوم)

وهكذا قرأنا اللوحة .. الاثنا عشر تلميذاً أنصاف دوائر ، موجات من كهرباء الالم تردد هول الفجيعة .. والظل والضوء يخفيان عار الآخر التاريخى بشعاع وروح الإنسان المسيح المتسامح ابداً.

إذا كانت الكتابة هى التجلى محبة فى عشق الآخر كما عند الأب فيلو ثاوس فرج والإنسان المصرى القديم. وإذا كانت لوحة العشاء السرى هى الشفرة العظيمة لفهم اغوار الإنسان .. ولفهم الخيانة .. ولفهم الاخر فانه لا يكفى فقط ان تمد يدك لتصافحنى .. بل اننى

امد لك بساط قلبي لتقبلني كما قبلتك كما انت عاريا الا من قميص الحق .. لتقودني واقودك الى شطآن السلام والأمان والتآخي .. يظللني ويظللك سحائب الرحمن الذي خلقني وخلقك من طين لازب.

إن القفار والبحار والأنهار والأشجار والنار خلقها المولى لي ولك .. ونادانا بأننا المكرمين في الأرض وأمر الملائكة بالسجود لمخلوقه آدم وأنا وأنت وهم ثم خلق لنا أنفسنا لنسكن اليها ، ورزقنا من الطيبات وفضلنا على المخلوقات بالعقل والعلوم والمعارف وهدانا لتعلم الكتابة وترك لنا حرية الإختيار لننعم برحيق المعرفة والتفكير والحرية .. وحرم علينا الإكراه والقسر .. ثم فتح علينا نعماء الإختيار بين دروب السلامة والأمن والإستقامة ودروب الهلاك والندامة والتيه فإن أحسن نجا .. وإن أساء ضاع وهلك.

ثم علمنا خطاب الصدق...

ولأن الصدق يقود الى الحقيقة .. فقد أوصانا بالصبر

ولأن الصبر يقود الى الحكمة

فقد أوصانا بالتأمل

ولأن التأمل يقود الى الطمأنينة فقد أوصانا بالحب

ولأن الحب يقود الى الإيمان فقد أوصانا بالجوهر

ولأن الجوهر هو سر الأشياء ، وهو سر الإدراك الأعلى من العقل فإننا نؤمن به غيباً ونراه في كل شيء.

لنسأله الغفران ونقول

إن (مساحات الود والإحترام بين المسيحية والإسلام) هو كلمة وأقنوم من الشمس يشع جرمها وهجاً من البهج والمحبة والصدق والتسامح النبيل حيال الآخر.

مع أكيد حبي ومودتي

د. عثمان جمال الدين

دكتوراة في الفلسفة

دراسات عليا في الإخراج والفنون الشعبية

صاحب كتابي خيال الظل وظل الظلال

الأمين العام للخرطوم عاصمة الثقافة العربية والأفريقية

أركويت مايو ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ) صدق الله العظيم .

مقدمة

طلب مني الأب القمص فيلوثاوس فرج أن أقدم لكتابه « مساحات الود والإحترام بين المسيحية والإسلام » وذلك بعد أن أهداني كتابيه « شمس الأمل » و « خواطر قلم » .

قبل أن أبدأ الكتابة عن كتابه « مساحات الود» كان لابد لي أن أتصفح سيرته الذاتية فقد وجدته مبرزاً ومميزاً طيلة حياته الأكاديمية .. إذ كان الأول من بين الخريجين في الكنيسة القبطية بالعباسية بالقاهرة عام ١٩٦٣م وأول دفعته في علم الاجتماع في درجة البكالوريوس في جامعة القاهرة فرع الخرطوم عام ١٩٦٩م. يواصل الأب فيلوثاوس تميزه وينخرط في العمل السياسي والإجتماعي فيصبح عضواً في المجلس الوطني وعضواً ومؤسساً في مجلس شوري المؤتمر الوطني .

تتواصل آيات العرفان له فيتم تكريمه من عدة جهات ومن بينها إتحاد طلاب جامعة أم درمان الإسلامية بل ويتم تكريمه على أعلى المستويات حينما تم اختياره سفيراً عالمياً للسلام وتسلم وثيقة ترسيمه من السيدة قرينة رئيس الجمهورية.

وقفت على الموضوعات التي طرقها الأب فيلوثاوس في كتبه فوجدت أنها تمثل قضايا إجتماعية كالإجهاض وقضايا وطنية حينما يكتب عن السودان وقضايا فكرية حينما يكتب عن المسيحية في القرآن مثلاً وقضايا في السيرة حينما يكتب عن عمرو بن العاص وقضايا الأخلاق حينما يكتب عن القوة والضمير وقضايا في الوفاء حينما يكتب عن عبد الله الطيب ، وهكذا تخرج كتاباته كقوس قزح مشبعة بكل المعاني.

إن الباحث الأديب فيلوثاوس يكتب في لغة أدبية رفيعة وفي موضوعات لم يطرقها أحد قبله بنفس الأسلوب الجذاب المحبب ، وهو عالم اللاهوت المتميز وهو السياسي والعالم والمصلح الإجتماعي ورسول السلام.

كلما أقابل الأب فيلوثاوس أجد أنه سبقني إما في إحتفال رسمي أو مناسبة إجتماعية في الأفراح والأتراح وهو – ما شاء الله – شعلة من الحيوية والنشاط المتدفق نحو الخير . فهو المبادر دوماً وبإيجابية إلى كسر الحواجز بين دينين مختلفين رغم إتفاقهما في كثير من مواطن التوحيد والإصلاح الإجتماعي وفي نظرتهما الإنسانية لإنسان المجتمع الصالح المتسامح.

بعد أن تحدثت عن كاتب الكتاب أتحدث عن الكتاب « مساحات الود والإحترام بين المسيحية والإسلام » فهو يمثل إنفتاحاً ذكياً ومتبصراً.. فيه بعد النظر وتحفه تلال من الود

والإحترام وجسور المحبة والتآخي والتوادد.

لم يقف ما يطرقه الكاتب الكبير على مجال تخصصه في عمل اللاهوت بل يمتد إلى شتى مجالات المعرفة. إن الناظر المتفحص لمحتويات هذا الكتاب يعيش بالفعل في مساحات من الود والإحترام بين المسيحية والإسلام. وقد عالج الأب فيلوثاوس هذه الموضوعات في ملفات تحتوي على سر الود والإحترام بين المسيحية والإسلام والتعايش السلمي ونظرة القرآن الكريم إلى النصارى وغيرها من الموضوعات المهمة. وقد واجه الأب فيلوثاوس في شجاعة قضايا بالغة الحساسية ومنها قضايا نظرة القرآن الكريم إلى النصارى والإنجيل وقضايا التوحيد في المسيحية والقرآن الكريم ثم مسألة المسيحية في البلدان العربية ، خلال معالجته لتلك القضايا كان رفيقاً ودوداً بل وداعية إلى الحب والإحترام وتمثل كل ذلك في روح البحث الجاد الهادئ .

يتمحور الكتاب حول الود والإحترام وخاصة قضية السلام التي أولاها الإسلام حيزاً كبيراً وكذا المسيحية ، وإذا نظرنا إلى الإسلام نجد أن السلام في عمومه أصل في الإسلام يبدأ بتحية الإسلام وهي السلام قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) وقال تعالى (فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً)

وقال النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حينما سئل : أي الإسلام خير ؟ قال « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال « أمرنا رسول الله صلعم بسبع ، بعيادة المريض ، وإتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، ونصر الضعيف ، وعون المظلوم ، وإفشاء السلام ، وإبرار المُقسم ، وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم ».

وهناك السلام مع الجيران ومع المجتمع بل وحتى مع الأعداء حين يجنحون للسلم قال تعالى (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) وهكذا فالسلام في الإسلام سلام مع النفس ومع الأسرة والأهل ومع الجيران ومع أفراد المجتمع ومع الأعداء.

ومن معاني الإسلام التقوى والخلوص من الآفات الظاهرة والباطنة وفيه معنى الصلح والأمان ومعنى الطاعة والإذعان لكل ما أمر الله به من خير ومحبة وتوادد وتراحم وتسليم كامل لكل أوامر الله سبحانه وتعالى .

هناك مساحات كثيرة حث عليها الإسلام في التعامل مع المسيحية والمسيحيين نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر بعض هذه المعاني ومنها إباحة المواكلة والمصاهرة قال تعالى (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ) وكل هذا دعوة للمحبة والسلام ، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ينبه على عدم إيذاء الذميين من « آذى ذمياً فقد آذاني

» وكان صلى الله عليه وسلم يحضر ولائمهم ويعود مرضاهم ويستقبل وفودهم ويحسن إليهم ، بل كان يقترض منهم ويرهن ما عنده لديهم حتى أن درعه صلعم حين موته كانت مرهونة ليهودي. وكذلك كان يفعل أصحابه حتى أن ابن عباس رضي الله عنهما حينما ذبح شاة قال « لا تنس جارنا اليهودي .. لا تنس جارنا اليهودي » كما أن الحرية للمسلمين ولسواهم أصل في الدين الإسلامي فحينما ضرب إبن لعمرو بن العاص أحد الأقباط قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه « متى أستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ واقتص للقبطي حتى رضي وأصبحت قولته مثلاً ورمزاً للعدالة. وقال صلى الله عليه وسلم « من كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم » وهكذا نجد كل معاني العدل والرحمة والتكافل .

إن مثل هذا الكتاب يجدد في الجميع معاني السلام والتسامح والتوادد والمحبة وعلينا أن نتخلص من عناصر التمييز العرقي واللوني والقبلي على أن يسيطر العقل والقلب بحبه وتقواه ونعيش معاني الكرم والأمانة والتسامح حتى تنزل هذه المعاني لتتشبع بالمحتوى الإجتماعي والثقافي وتخرج معبرة عن التمازج والإنصهار وروح المودة والحب ، فلا تهور بل ترو وإعتدال وتحاور لا تشاكس.

إن امتزاج الدين بالنسيج الإجتماعي السوداني كان له الأثر الأكبر في تمييز مجتمعنا السوداني لأن الدين ترغيب وليس ترهيب والتقوى والعمل الصالح هما أساس الفرد في المجتمع والدعوة إلى الود والإحترام متجذرة في مجتمعنا السوداني عبر الدين الإسلامي والدين المسيحي والموروثات والحكم والأمثال والممارسات اليومية ، بل هي واقع معاش كما في المسالمة وحي العرب وحي البوستة بأم درمان مثلاً ، وفي غيرها من بقاع السودان ، حتى إنك أحياناً لا تستطيع أن تميز المسيحي الذي يلبس الجلباب ويحضر للعزاء وهو يحمل طبق « صينية الغذاء » ويساهم في كشف العزاء وهذه روح نحمد الله عليها ونتمنى أن تسود اكثر فأكثر خاصة بعد توقيع اتفاقية السلام.

إن التزامنا بالمعاني السامية التي يدعو إليها الكتاب هي في الحقيقة دعوة في الإسلام والمسيحية من محبة وإلفة. وعلينا أن نلتزم بالإيثار في تعاملنا وان يكون الاحترام المتبادل هو ديدننا وأن نقيم حواراً رشيداً وأن نصدق بعضنا بعضاً.

وإذا كان الحوار أصل في الدين الإسلامي فعلينا أن نلتزمه ، قال تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وقال تعالى (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)

وقال تعالى (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) كما إن الإسلام دوماً يرجح كفة الصلح (عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً) صدق الله العظيم .

لهذا وجب علـــى أن احيّ هذا الكـاتب الـوقـور المكافح الـنشط (الأب فـيلوثاوس) وهو يرسي دعائم المحبة والسلام ويرسم لوحة فنية صادقة في كتابه « مساحات الود والإحترام بين المسيحية والإسلام » هذه اللوحة تؤصل وتؤرخ للتوادد والمحبة وتبني جسوراً من الثقة والأمل بين أهل السودان جميعاً.

حينما تقرأ هذا الكتاب تشعر أن الأب فيلوثاوس يقدم لك مرآة صادقة فيها الفن والذوق الأدبي الرفيع وفيها مائدة تحوي السلام والحب والإخاء وفيها جسر من المودة والتسامح وفيها حكمة الشيخ وحيوية الشباب ، فيها العمل والبحث والجدية والتواصل والتأصيل ، يتملكك شعور وأنت تقرأ الكتاب بأن كاتبه ليس غريباً عنك بل هو قريب منك.. وكفى.

بروفيسور

عبد الهادي محمد عمر تميم

خبير أول معهد الخرطوم الدولي للغة العربية

الباب الأول

ينابيع الود والتعايش



الفصل الأول

سر الود والإحترام بين المسيحية والإسلام

عزيزي القارئ ..

منذ بدأ الإسلام كانت المسيحية لها في الزمان مسيرة طويلة .. بعد سبعة قرون من بزوغ فجر المسيحية كان ظهور الإسلام ونظر الإسلام الى المسيحية نظرة ود وإحترام ومحطات التآخي متعددة ونقاط التلاقي كثيرة .. وبدأ الإسلام في ود وإحترام للمسيحيين والكتاب المقدس وللمبادئ المسيحية الأصيلة .

وكان تعاطف أثنين من القيادات المسيحية لرسالة الرسول الكريم ولا ينكر أحد دور هذين القائدين وهما البحيرة سرجيوس وورقة بن نوفل الأول كان ينبوعاً فكرياً متدفقاً ومساندة لاهوتية رائعة لمبدأ التوحيد في الإسلام والثاني كان له دور كبير في الوحي حتى أنه عندما رحل الى الرفيق الأعلى قالوا إن الوحي بهت عندما مات ورقة.

والزوجة الأولى للرسول الكريم كانت من أقارب ورقة وكانت هي الزوجة الوحيدة للرسول الكريم حتى ماتت ، وفقاً لشريعة أن الزوجة مرتبطة بالرجل ما دام الرجل حياً ، والرجل أيضاً مرتبط بالزوجة ما دامت الزوجة حية .. رباط زوجي لم يفصله سوى الموت .

والإسلام لم يقدم للمسيحية سوى الإحترام كل الإحترام فهو لم يكفر المسيحية إطلاقاً ولم يتهم أهل المسيحية بأنهم مشركون وشهد بسلامة الإنجيل وبأنه المرجع وبأنه كلام الله .. وعرف المسيحيون أنهم أهل التوحيد في موكب التاريخ .

وعندما بدأ الإسلام فتح ملف التعايش والتوادد في مصر أرجع البابا بنيامين الثامن والثلاثون من باباوات الإسكندرية الى كرسيه وأعطاه حرية التبشير وبناء الكنائس .. وأستمر التعايش أمداً طويلاً لولا أن مطامع الحكام حولت التعايش الى مرارة التحزبات وخربت العلاقة بين المسيحي والمسلم وسنت القوانين التي تميز بينهما والحمد لله ولى هؤلاء الحكام وذهبوا وبعدها ينبغي أن لا يتراجع الحب والود بل علينا أن نسير للأمام .. ونحن اليوم أحوج الناس الى التآخي والتعاون والتوادد .. نحن اليوم أكثر من أي مرحلة مضت نحتاج الى أن نعود الى الإحترام المتبادل الى إحترام كل طرف للآخر .. لكم دينكم ولي دين .. والدين

للديان جلّ جلاله .. لو شاء ربك وحد الأديان .. ومشيئة الله الا تتوحد الأديان ليس لكي يتصارع الناس إنما لكي يتنافس كل واحد فينا في حب الله ..

إن عالم اليوم يؤمن بالتنوع ويؤمن بالتكامل من خلال التنوع .. لسنا كلنا عملة واحدة ومن عجينة واحدة وبوزن واحد .. نحن بشر يميزنا التنوع ويميزنا أن كل واحد فينا هو عالم مصغر ملئ بالبركات والتحديات وكل واحد تفوق في مجال تفوقه يكمل تفوق الآخر وتتكامل الحياة وتصبح صورتها جميلة عزيزة حية نحياها لا ننظر الى الإختلافات على أنها بلية من البلايا بل على أنها بركة من البركات التي تسعى نحو تكامل المجتمع .

ولهذا نحن اليوم نغلق ملف المرارات والتي لم تكن إلا بسبب الجهل وعدم الفهم وبسبب إستبداد الحكام .. ونفتح معاً ملف التعايش ونعيش معاً حياتنا نتجه نحو الله بالمحبة ومن محبتنا لله نحب الآخر ونقبل الآخر ونسعى نحو الآخر سعياً حثيثاً لكي نتعايش ونتوادد .. وطالما نحن كلنا موحدين فالمسيرة أمامنا طرقها مفتوحة ونحن أيضاً قلوبنا مفتوحة لله ولبعضنا البعض .

وعندما نفتح ملف التعايش لن نضيع الوقت في تعميق الإختلافات إنما في تأصيل ما نتوافق فيه وسوف نتوافق وإن كنا لا نتطابق .. وأحيي هنا جهود إخواني من علماء المسلمين الذين يؤطرون لهذا التلاقي ويؤصلون هذا التعايش وأذكرها بعض كلمات لهم :

١- عباس محمود العقاد

في كتابه عن حياة السيد المسيح يقول : ... ويأتي الى هؤلاء البشير المنظور فماذا يقول لهم إن لم يقل لهم أن الله رب بني الإنسان وأنه هو ابن الإنسان وأن الحب أفضل الفضائل وأفضل الحب حب الأعداء وإن الكرم أن تعطي من يسألك وأكرمه أن تعطي وأن تعطي بغير سؤال وأن ملكوت السموات لا تفتحه الأموال وأن ما لقيصر لقيصر وما لله لله وأن المجد الذي يتنازعه طلابه لا يستحق أن يطلب وأن المجد الذي يستحق أن يطلب لا موضع فيه لنزاع .

٢- الأستاذ محمد الطالبي يقول :

لا نكاد نهتم بالأديان غير الإسلامية ولا نكاد نجد من بيننا علماء فيها في مستوى علم علماء أهلها بها والعكس موفور بكثافة نحن لا نملك في جامعاتنا

الدينية وغيرها الأقسام التي تكون هؤلاء العلماء والمكتبات المختصة التي توفر لهم قاعدة البحث والإختصاص وعبثاً لفتنا النظر الى هذا النقص الذي سيدفع يوماً الإسلام ثمنه باهظاً بل بدأ بدفع الثمن . نشكو .. ونشكو فقط

٣- وفي كتاب الإنجيل قراءة شرقية .. إعداد نخبة من المختصين إصدار دار الجبل بيروت ١٩٩٨م

يقدم الكتاب الدكتور هاشم العلوي القاسمي رئيس شعبة التاريخ كلية الآداب جامعة سيدي محمد - فأس ، المغرب ويقول :

نزولاً عند رغبة صديقنا الأخ مظهر الملوحي يطيب لي أن أعبر عن تصوري الخاص للإنجيل والكتاب المقدس ... لقد شغلت منذ زمن طويل بمسألة حوار الأديان اليهودية المسيحية والإسلام وبالنسبة لقراءتي الخاصة للإنجيل فقد إعتنينا خاصة بإنجيل لوقا الذي أملك منه نسخة خاصة موثقة وإطار المقارنة بين الكتب المقدسة تأكد عندي المشرب السماوي الأول لها كلها وبالنسبة لـ « الإنجيل » متى مرقس يوحنا لوقا يعتبر ترجمة للسيد المسيح في مجموعة العهد الجديد تمثل تعبداً لاهوتياً تجمع تعاليم السيد المسيح عليه السلام .. وقد كان إهتمامي بإنجيل لوقا راجعاً الى كونه الإنجيل الوحيد الذي يتكلم ويروي ولادة السيد المسيح كما يعرض لصلبه وبعثه وفيه نصوص لم ترد في (الأناجيل) الأخرى . وكثيراً ما يعرض للصراع اليهودي المسيحي وعلى المستوى الظاهراني تشدني اليه مسألة الخلق مما جعلها صورة لإبداع الكون وخلق الصراع بين الإنسان المخلوق والقوى الإلهية الخالقة للكون .. إنها قصة الوجود والعدم بين الأديان كلها ، هذه سيدي الأخ مظهر لمحة خفيفة من تصوراتي والى لقاء وفي البدء كان الكلمة والسلام .

٤- المستشار محمد سعيد العشماوي يقول :

إن القرآن الكريم لم يذكر في أي من آياته أنه يوجد تحريف أو تزوير مادي في التوراة أو في الإنجيل كما أنه لم يتهم المسيحيين بأي تحريف أو تزوير معنوي أو تغيير الحقيقة المقصودة من النصوص .

واقتصر ما جاء فيه على أن اليهود حرفوا معنى آيات كتبهم بقسر الألفاظ على غير المقصود منها أو تأويلها على صورة توافق أهواءهم أو تفسيرها على

نحو يخالف ما هدفت اليه .

٥- مظهر الملوحي وهو يقدم « الإنجيل » قراءة شرقية يقول :

لقد حدثت جفوة بين رسالة سيدنا المسيح سلامه علينا التي نادى بها ومفهومها لدى الإنسان العربي بسبب غربته وما أعني بغربته هو تبني الغرب للمسيحية .. هذا التبني شكل لدى الإنسان العربي ردة فعل عنيفة ضد المسيحية أنسته أن سيدنا المسيح هو ابن تراثنا .. ابن شرقنا .. رسالته رسالتنا .. والإنسان عدو ما يجهل ، وإذا إزددنا حكمة لقلنا أنه صديق من يعرف وإن معرفة الآخر مطلب حضاري وثقافي وإنساني وأساسي لوجودنا وكينونتنا وكيف الحال وهذا الآخر جزء غني من تراثنا وحضارتنا ، معرفة الآخر يجب أن تكون كمعرفة الذات فنحن أهملنا معرفة ذواتنا ومعرفة الآخر وهذا شكل نوعاً من الضياع لنا .. لقد حكمنا على الآخر حكماً قاسياً دون أن نترك له حرية الشهادة عن نفسه ونسينا أن حرية الآخر هي قاسم حريتي وبالطريقة التي أسلب الآخر حديثه ستسلب حديثي وربما بشكل أقسى لأن الذي يأخذ بالسيف بالسيف يؤخذ .

علينا ألا نخاف أن نفتح أبوابنا لثقافات العالم إن كنا ثابتين على صخرة معتقدنا وإيماننا إن رأي الآخر يجب أن لا يخيفنا إن كانت قناعتنا ثابتة .. بل إن رفض الآخر معناه ضعف في قناعاتنا .. التحدي عامل صحي ويصقل أفكارنا ومعتقدنا .. إن إختزال التباعد خصوصاً في الفترة التي تعيشها الإنسانية أساس لمستقبلنا وبقائنا . إن تقوقعنا وإنكماشنا الحضاري والثقافي بسبب الحذر وإنسداد الأفق أضاع علينا الكثير من الثراء .. أن أعرف الآخر ليس معنى ذلك تنازلاً عن إيماني بل يجب أن يشدني أكثر الى جوهر الحقيقة ويحررني من الخوف .

إن روعة اللوحة بألوانها المختلفة المتناسقة المنسجمة .. ولون واحد لا يشكل لوحة بل موتاً .. إن جمال الكون لا يتأتى فقط من وحدة التنوع ولكنه يأتي من خلال التنوع في الوحدة ، علينا أن نكبر في الآخر لأن حياته جزء من حياتنا .. وما أجمل أن نتعلم من خبرة شيخنا الكبير محي الدين بن العربي حين قال :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي

إذا لم يكن ديني الى دينه داني

أديـــن بديـــن الحـب أنى توجهـت

ركـائبه فالحــب ديــني وإيمــــاني

لقد صـار قلــبي قابلاً كــل صورة

فمرعى لغــزلان ... ودير لرهــبان

٦- الأستاذ الدكتور محمد الفاضل الجمالي - رئيس وزراء العراق سابقاً وأحد مؤسسي ميثاق الأمم المتحدة يقول :

بكل أسف لقد أهملنا عن قصد وجهل التراث الروحي المسيحي الذي هو جزء من تراثنا الشرقي .. لقد آن الآوان لنفتح صدورنا لهذا التراث الغني .

٧- الدكتور علي حرب يقول :

فأنا وإن كنت عربياً مسلماً فإنني مسيحي لإعتقادي بأن الحق يتجلى في الخلق .. فإذا كان الغير يتعصب وينغلق فتلك مشكلته .. فإن التعصب ضد الغير .. ولأقل ضد الحقيقة ، إنما يرتد ضد الذات وينفجر عنفاً وإرهاباً كما شهدنا وعايشنا ولهذا لا مندوحة من الإنفتاح على العالم للتعرف عليه وإستيعابه أكان صديقاً أم عدواً .

٨- الشيخ مصطفى الجابري يعترف قائلاً :

ربيت على أن المسيحية تمثل الإستعمار والصليبية ، ولقد إستخدم الغرب رسالة المسيحية وأساء اليها ولكن حين قرأت كتاب « قراءة صوفية لإنجيل يوحنا » وجدت كم أن هذا الغرب بعيداً عن رسالة المسيح كما وجدت أن لي جذوراً وروابط أكثر في رسالة المسيح من الإنسان الغربي .

٩- وعن نفس هذا الكتاب قراءة صوفية لإنجيل يوحنا إعداد نخبة من المختصين - طباعة دار الجيل بيروت ٢٠٠٤م قال الدكتور فاروق سعد :

كتاب « قراءة صوفية لإنجيل يوحنا » للأستاذ مظهر الملوحي إضافة ملفتة الى الأبحاث الرائدة التي لا تقف عند الشرح والتحليل بل تشمل المقارنة بين النصوص الدينية على تعدد مصادرها ومضامينها والنصوص الفلسفية على إختلاف مذاهبها والنصوص الصوفية على تنوع إتجاهاتها وذلك في سعي حثيث الى كشف أوجه التوافق بينها تعزيزاً للايمان في النفوس ونشراً للإطمئنان في القلوب

وتكريساً للحقيقة الهادفة الى خير البشرية وسعادتها .

١٠- وفي نفس الإطار «الحديث عن صوفية إنجيل يوحنا» يكتب الدكتور جميل قاسم - رئيس تحرير مجلة المجال :

عند سفح حرمون ولد يوحنا الحواري بقلب فنان وعقل فيلسوف وروح صوفية في مناخ طبيعي معتدل وجميل جامعاً في شخصه الطبيعة وما بعد الطبيعة .. وعندما ينسجم القلب والعقل والروح في الجسد الواحد يصبح الإنسان جميعه شخصية للمقدس والدنيوي .. اللاهوت والناسوت في جدلية الإنسان الإله والله الإنسان في علاقة الوجود والشهود ..

هذه فحوى القراءة الجديدة والجادة للقديس الجليل صاحب إنجيل يوحنا الحواري الذي أحبه الجليلي الأول عيسى المسيح وهي قراءة شرقية إنسانية وفيه لروح صاحب الإنجيل الرابع الذي أراد أن يتميز كما يلاحظ المؤلف بمنهج تاريخي ثاقب بإنفتاح المسيحية الأممي على « الإنسان » بمنأى ومعزل عن أية قسمة ضيزى « قسمة غير عادلة » ، وبدفقة روحية جديدة تؤكد على الإختلاف والإعتراف في علاقة الذات الإنسانية بالذوات الأخرى في وحدة الوجود ووحدة الأديان ووحدة الإنسان .

١١- وفي التقديم للكتاب القيم قراءة صوفية لإنجيل يوحنا أنه محاولة لأثبات وحدة التجربة بعين المتدينين المسيحيين والمسلمين لبيان التقارب بين المسيحية والإسلام أو بين الفكرين المسيحي والإسلامي .. والأفكار المتضمنة في الكتاب هي محاولة طيبة لتقريب النص الديني للجمهور ولبعث حياة جديدة وساحرة عميقة فيه .. أما اللغة فهي طلية وشيقة ومعربة أي أنها تلجأ الى المشترك والمعروف وتريد نشر أجواء ودودة حول الديني والروحي والثقافي المشترك أو الواحد وأياً كان إختلافنا في بعض الآراء والتفسيرات والإشارات فالمرجو أن تكون هذه القراءة التجريبية الشديدة الذاتية عملاً للتأمل والنقاش في المقدس ماهيته ودوره في حياتنا الخاصة والعامة .

١٢- الأستاذ الدكتور محمد ياسر شرف - زميل أكاديمية يونيفيرسال في الدراسات الإسلامية المقارنة يقول :

لقد كانت المسيحية دعوى عالمية لتفعيل الحوار الإنساني في مسيرة البحث عن

أسرار الوجود وللدخول في عمق معادلة العلاقة الراهنة والتي يمكن أن تكون بين الله والبشر وأضافت الى الشريعة اليهودية تركيزاً واضحاً على قضية الإستعداد لحياة أخرى ودخول الملكوت أو مملكة السماء عن طريق تطبيق العدالة والرأفة والتواضع في السلوك الإنساني وتقديم الإحسان للذين يحتاجون اليه كما فتحت الباب واسعاً على « الغفران» في حالة التوبة والإعراض عن فعل الآثام أو إرتكاب المعاصي وإزدرت من يجعل همه في الحياة جمع المال والإنغماس في الترف ..

وفتح باب الحوار على مصراعيه كافة بين المختصين والمفكرين والباحثين على نحو ما جعلها الصوفيون قراءة لمحتوى الوجود وأغراضه البعيدة هو اليوم . أكثر من أي وقت مضى حاجة ملحة لتحقيق هيمنة الأخلاق السامية على الإتجاهات البحثية في أي من أصعدة المعارف والتطبيقات العملية ..

١٣- في كتابه الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة - دار المنهل اللبناني ١٩٩٦م يكتب المؤلف الدكتور سعود المولى :

مطالباً المسيحية والإسلام بمشروع مشترك لمواجهة الفقر والجوع والحرب والتخلف والأمراض والأمية والجفاف والتصحر والإنحلال والتدهور في عالم اليوم .. ويرى أن تلاقي الإسلام والمسيحية هو السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية وإنقاذ الإنسان في عالم اليوم وذلك من خلال الحوار والتعاون البناء لإستنباط أشكال وصيغ جديدة في الإدارة والثقافة والإقتصاد والإنتاج تجعل الإنسان يحتفظ برقيه المادي ويستعيد في الآن نفسه ذاته وإنسانيته الضائعة .. إن المطلوب مشروع مشترك يتوجه به الدينان معاً نحو العالم في عملية فتح روحي أخلاقي وإيماني للحضارة الحديثة وإنسانها الممزق ومجتمعاتها المنهكة المشرذمة .. وبدل أن يكون الدين موضوعاً للحوار يكون الدين في نطاق الأصول الإيمانية الكبرى المشتركة متطلعاً للحوار نحو فتح روحي للحضارة وبعث جديد للإنسان ..

١٤- وجد الأدباء والشعراء ضالتهم المنشودة في الكتاب المقدس وإهتم هؤلاء الكتاب وبالذات إخواننا المسلمين منهم بما يقدمه الكتاب من روحانية وشعر وأدب .. وظهر هذا على لسان شخصياتهم وبأقلامهم مباشرة وفي بيوت جميلة من شعر صوفي هادئ .. وسوف أقدم هنا بعض الأمثلة :

أ/ أبدأ بالعقاد وكتابه عن المسيح وإهتمامه بتلاميذ المسيح الصادقين

الفاهمين لرسالتهم وكيف كانوا مستجيبون لدعوة السيد المسيح ، كانوا أول القابلين لرسالته أنهم أمته الصغرى وأنه إذا كان في الدعوات الروحية قادة ومقودون فإن التلاميذ لم يكونوا قادة لغيرهم بل كانوا هم السابقون من صفوف تلاحقت وتعاقبت لا فرق في بنيتها بين أولين وآخرين لم يكونوا طينة من البشر غير طينة السواد كان يعرف عيوبهم وكانوا في أمانيهم وإخلاصهم لا يغالطون أنفسهم في تلك العيوب .

ب/ توفيق الحكيم في أحاديثه عن آدم وحواء والخطية الآصلية .. وعندما أراد أن يقدم شيئاً عن سفر نشيد الإنشاد لم يتمكن سوى من عرض الكتاب نفسه للقارئ بإعتباره رسالة حب وسط الحرب وصدر كتابه « نشيد الإنشاد » وهو صورة طبق الأصل لما جاء في الكتاب المقدس دون تفسير أو تعليق وصدر هذا الكتاب ١٩٤٠م .

وكثيراً ما نجد على لسان شخصياته كلمات من الكتاب المقدس مثل : متى نستطيع أن نهتف من قلوبنا : ترنمي أيتها السموات وإبتهجي أيتها الأرض لتشدوا الجبال بالترنم لأن الرب قد عزى شعبه وعلم بأنه يترحم ..

وينظر أحد شخصيات توفيق الحكيم في كتابه الخروج من الجنة ومسرحية صلاة الملائكة .. إستيقظي .. إستيقظي .. البسي درع القوة يا ذراع الرب ! إستيقظي كما في أيام القدم .. ألست أنت طاعنة التنين ؟ ألست أنت مجففة البحر ومياه النهر العظيم .. الجاعلة أعماقه طريقاً لعبور المعذبين .. وهنا أيضاً يقول الملاك .. أنا هو معزيكم .. من أنت حتى تخافي من إنسان يموت ومن ابن الإنسان الذي يجعل كالعشب .

ج/ أنيس منصور .. ولدى الكاتب الأديب الكبير أنيس منصور للكتاب المقدس مكانة كبيرة في كتبه الأدبية ومن يقرأ كتاب الذين هبطوا من السماء وكتاب الذين صعدوا الى السماء يطلع على ثقافة أنيس منصور الكتابية نحو العالم الآخر والملائكة والأرواح هذا عدا كتاباته الأخرى ..

لقد حمل الأدباء رسالة فهم فكر السيد المسيح وتقديمه للآخرين .. ونجحوا في هذا .. وكتب الشعراء عن المسيح أعظم ما كتبوا من قصائد باقية مثل قصيدة المسيح الذي تغنى بها الفنان عبد الحليم حافظ وكتب شعراء السودان عن المسيح ويتألق بينهم التجاني يوسف بشير ذلك الصوفي الناسك الذي رأى الحسن في

عيون النصارى ..

آمنت بالحسن بـردا .. وبالصبابة نـــارا ..
وبالكنيسة عقـدا منضـــدا من عــذارى ..
وبالمسيح ومن طـــاف حولـــه وإستجـارا ..
إيمـان من يعبد الحب في عيون النصـارى

عزيزي القارئ ..

هذا الكتـاب يهـدف الى أن ترى الحـسن في عـيـون النصـارى ... وأن يرى النصارى الحسن في عيون المسلمين . فالى مساحات الود والإحترام بين المسيحية والإسلام .

الفصل الثاني

أهمية الدراسة وإطـارها

موضوع مهم :

تعد العلاقة بين المسيحية والإسلام أمراً هاماً في عالم اليوم .. وتزداد الأهمية في منطقتنا العربية التي شهدت من قبل ظهور المسيحية .. ثم شهدت ظهور الإسلام .. وعندما ندرس معاً رأي الإسلام في المسيحية فأننا نضع هذا في متناول المسيحيين ليعلموا عن الإسلام غير ما تنشره الجرائد في مواسم معينة تعليلاً لقارئيها أن بين الديانتين إتفاق ووحدة تامة .. وهم لو درسوا الأمر لعلموا أن الإسلام لم يخطر له يوماً ببال .. حتى في أقسى مواقفه ضد المسيحية أن يجدف على قدسية المسيح روح الله وكلمته وأن يقذف مريم مثلما قذفها اليهود في تاريخهم .. فلقد أحاط المسلمون بإكرام لتلك العذراء التي جعلها الله سيدة نساء العالمين فكرموها في كل بلد خلفوا فيه المسيحيين في كنائس نجران والحيرة وطرطوس وإنطاكية والقسطنطينية والمغرب . وإستقبلوا تمثالها بالتهليل يوم ... على ضياع لبنان ١٩٥٤م . وعند البحث في القرآن الكريم .. والأحاديث .. وكتابات أئمة الإسلام والمتصوفين نرى الكثيرين منهم يكتبون عن المسيحية بإحترام . وإن كان البعض لا يفهمون الأمر جيداً بسبب عمى التعصب فإن الدراسة يحتاج اليها المسلم أيضاً لكي يتتبع ميادين التآخي ويسير في أروقة إحترام الإسلام للمسيحيين ، فالإسلام لم يناقش العقدة المسيحية الصرفة ولكنه جازها قبل أن يتعرض لها .. وإذا كان إشكال الإسلام عدم قبول أن الله ولد .. وكما قال أحدهم : لو كان لله ولد فأنا أول العابدين فإن الأمر يحتاج الى وقفة علمية إذ أن هنالك توالداً عقلياً هو غير التناسل والكلمة هي وليدة الفكر الأزلي كذا المسيح إبن الله .. وإذا كان الأدب العربي يقر أن المصري هو إبن النيل .. والرجل الطيب هو إبن الفضيلة .. وأن مصر هي أم الدنيا .. وأن المواطن هو إبن لوطنه وأرضه .. فسوف تقترب الحقائق يوماً .

صخرة الشك :

والأديان تتوافق ولكن لا تتطابق .. وهناك عقبات عقائدية كأداء لا يمكن أن يذللها التفاهم مهما كان أصحاب الدعوة اليه متجردون .. ولا يكفي أن يتصافح

المسلم مع المسيحي لكي تزول النقائص إنما يحترم كل طرف الطرف الآخر .. ويعيش الناس تحت مظلة لاهوت القبول التي يقبل فيها كل واحد الآخر في الله الذي يقبلنا جميعاً ويظلل علينا بسمائه ويشرق علينا جميعاً بشمسه .. ويحتاج المسلم الى دراسة جديدة لإكرام الإسلام للمسيحية ويحتاج المسيحي الى تفهم الدين الإسلامي بإخلاص لمعتقد الإنفتاح على ما بينه وبين المسيحية من قربى .. ويحاول كلا الطرفين أن يبني فكراً ويتبنى قضية وفاق بين الدينين ليس لكي يجعل منهما دين آخر أو عقيدة أخرى لن تكون سوى صنيعة ممسوخة لصناع خياليين ومثل محاولات التطابق تفشل فشلاً ذريعاً .. لأن الفوارق بين الديانتين تغور حتى الجذور العميقة .

حول المسيح :

وحول المسيح يتفق المسيحيون والمسلمون .. وحوله أيضاً يختلفون .. فالإسلام يقوم على الإيمان بالله لم يعلن سر ذاته لأحد ولن يستطيع أحد أن يتعمق في أغواره العالية .. وعلى حسب القرآن وقف الرسول الكريم ليلة معراجه قريباً الى الله . ولم يعط للبشر من معرفتهم لله سوى جهلهم به لأن بين العبد والمعبود هوة عميقة الغور لا يقطعها إنسان وليس على العبد سوى التسليم أو الإسلام للإرادة التي لا تحتكم إلا الى ذاتها فتهدى من تشاء .. وتضل من تشاء .. والمسيحية أيضاً تنزه الله تنزيهاً لا يقل عن الإسلام حيث تعلن أن الله لا يدركه المحدود البشري ولكنها توافق أيضاً أن الله أوحى هو ذاته وسر وجوده فذات الله هي المحبة وهذه المحبة لم ندركها قدر ما أدركناها في تجسيد كلمة الله في المسيح فأصبح الله قريباً للإنسان وصار الله معنا في شخص عمانوئيل والإختلاف هنا حول المسيح لأنه وضع لقيام وسقوط كثيرين فالمسيح هو صخرة الشك التي بها يصطدم الناس جميعاً وعليه يقتتلون لو يعلمون .. وهكذا كان الأمر عند ظهور المسيح منذ الفي عام بين معاصريه .. ويستمر الأمر هكذا في كل التاريخ والى إنتهاء الزمان حينما يأتي المسيح في مجيئه الثاني للدينونة .. وكما يقول الحديث الشريف : سينزل بينكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورا .. أو كما في حديث آخر : لن تأتي الساعة إلا إذا أتى عيسى بن مريم دياناً للناس بالقسط .. ولقد إجتمع المسيحيون والمسلمون معاً وهم معنا على إنتظار نزول الحاكم يوم الدين .. والبشر في الأرض يصرخون الى الله أن تأتي الساعة ..

والمظلومون في الأرض ينتظرون عدالته .. والبؤساء المعذبون في الأرض ينتظرون خلاصهم على يديه من العذاب والصيحات من هنا ومن هناك في المسيحية والإسلام هي صيحة حق في أصوات الفقراء الى الله ، وأصواتهم قد خنقها شوك التهريج السياسي .. وصخب المدينة الحديثة وضجيج التسليح وشبح الذرة والسلاح النووي .. ولكن تظل صلوات النساك والعباد تتجه نحو الله حتى تصل الى العرش الألهي . ونحتكم الى أمر الله الأزلي ولقد بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ .. وطوبى للغرباء وطوبى لمن يحضر هداية المسيح .. وطوبى لمن يعيش بعد المسيح ويأكل خبزاً في ملكوته .

نحو الله :

وفي تاريخ العلاقة بين المسيحية والإسلام أيام مليئة بالمتناقضات وبالأوجاع .. ومحاولة السيطرة كل على الآخر ولكن تبقى ثروة الأخوة والإخاء ثروة لا تعادلها غنائم الخصومات مهما تعاظمت وكبرت لأننا في وسط زحمة الأعاصير التي تهب على العالم من كل حدب وصوب نحتاج الى أن نقف صفاً واحداً للدفاع عن قضية الله .. ونكون جبهة واحدة هي جبهة المؤمنين بالله وهي جبهة تعتقد أن حلول السياسة هي مهدئات خادعة ومشكلة الإنسان اليوم ليست مشكلة سياسية وليست إقتصادية وليست إجتماعية إنما مشكلته مشكلة روحية ، فالصراعات في دنيا الإقتصاد والسياسة والثقافة ليست سوى عوارض سطحية ظاهرة لما يحدث في أعماق الإنسان من إصطدام بين الإيمان والكفر بين الخير والشر ، بين الله والشيطان ولقد آن الآوان أن يلتقي المؤمنون بالخير وبالله الذي هو الخير الأكبر .. نجتمع معاً حول الله .. ونحاول أن نفهم في موضوعية وبعيون رفع عنها غشاوة التعصب والتوتر والإنفعال .

رحلة التاريخ :

وقد عاش الإسلام مع المسيحية منذ ثلاثة عشر قرناً .. في رقعة جغرافية واحدة .. وفي إطار لغة واحدة .. وفي شطر تاريخي واحد صنعه المسلمون والمسيحيون معاً تلاقوا حيناً .. وتنافروا أحياناً ، تحابوا حيناً .. وتقاتلوا واحتربوا أحياناً أخرى .. حاول المسلمون أن يدمروا المسيحية ويغلقوا الكنائس وما تمكنوا وحاول المسيحيون أن يردوا المسلمين الى المسيحية وجاءوا من أوروبا تحت راية الصليب يقصدون إعادة المسيحية الى المسلمين الذين كانوا قبلاً مسيحيين .. وما

نجحوا في هذا بل بقيت الحروب الصليبية جرحاً غائراً لم يقدر أحد أن يتجاوزه .. وكل هذه محاولات بشرية فاشلة .

وعلى مر التاريخ كان هناك من يحاور ويناقش .. ويكتب ويتكلم .. ونشأ العديد من رجال الدعوة الإسلامية والتبشير المسيحي .. وحاول بعضهم في هدوء أن يملأ الساحة بفكر مستنير .. وحاول البعض الآخر أن يسخر من غيره ويستهزئ بعقيدته .. ويظل صوت الحكماء مستمرا رغم أن كثيرين لا يقيمون له وزناً .. ونحن مهمتنا أن نبحث عن محطات التلاقي وأن ينزل هذا التلاقي الى الأعماق ويكون واقعاً روحياً .. ولا داعي أن تفصل بيننا هذه القفار التي تفرقنا ، فنحن لم نرث من الزمن بسبب سطحيتنا سوى ثروة تقليدية ورثناها من جدود هي جهل وعنف .. وتوتر وإرهاب .. ومحاولة لتكفير الآخرين .. بل تدمير الآخرين إن لم يكونوا على رأينا ويفكروا مثلنا حتى ولو كانوا كلهم مسلمين .

وعندما بدأ الإسلام في الجزيرة العربية لم يجد من يأويه لاجئاً غير ملك مسيحي لا يظلم الناس عنده .. فلقد كان أول لقاء علني بين الإسلام والمسيحية عندما غادر الرسول الكريم مكة مدينته وكانت فيها فتنة على دين جديد ما جاء ليخلف المتوحدين من النصارى واليهود بل لكي يقدم عقاباً من نار للذين جعلوا الصنم لهم رباً وآلهاً له يسجدون ويتعبدون ويملأون ساحات مكة باللات والعزة .. وكل الآلهة التي من حجر .. وعندما قامت فتنة في مكة هاجر الصحابة الى الحبشة عند ملكها المسيحي وهناك وجدوا لهم ملاذاً من ظلم أهليهم .. وملجأ يقيهم في ساعات البؤس .. وحلوا مكرمين عند الملك المسيحي .. وبعضهم رجع فيما بعد .. وبعضهم طاب له العيش هناك .. وعندما مات النجاشي صلى محمد رسول الإسلام عليه في البقيع معلناً أول حداد إسلامي على نصراني قد مات .

وقد لاقى الرسول من المسيحيين في بدء هجرته من مكة الى المدينة إخلاصاً جعله يحفظ المودة الأولى في آيات قرآنية (ولتجدن أقرب الناس مودة الذين قالوا إنا نصارى لأن منهم قسيسين ورهباناً وهم لا يستكبرون) .. وعندما وفد مدينة نجران في المدينة المنورة وفد مسيحي أوسع محمد الرسول لهم مكاناً يصلوا أسبوع الآلام وعيد الفصح وتمّ في عهد الرسول إقامة أول قداس مسيحي في أول جامع إسلامي في المدينة المنورة سنة ٦٣١م .. ولم يتكرر هذا ثانية

وعندما دخل عمر بن الخطاب مدينة القدس رفض أن يصلي في كنيسة القدس ليس تكبراً أو عدم إعتراف منه بقدسية المكان إنما خوفاً من أن يأتي بعده متعصبون يقولون هنا صلى عمر ويهدمون الكنيسة ويبنون عوضها جامعاً .. بل إن عمر بن الخطاب إستشار البابا في موضع يقيم عليه جامعاً فأشار اليه بهذا .. فالإسلام في أيامه الأولى شهد تآخياً وحباً وإحتراماً للمسيحية والمسيح والعذراء وللكتاب المقدس .. فالمسيحية في نظر الإسلام دين سماوي الهي .. هدى للناس ورحمة على يد المسيح عيسى بن مريم .. والمسيحيون في نظر القرآن لهم أجرهم عند ربهم .. وهم غير المشركين وغير الذين كفروا .. والمسيح هو كلمة الله ولد من عذراء طهور ومات ورفع الى السماء .. والإنجيل له مكانته العظيمة في القرآن .. وهو معترف به .. كمرجع من أهل الذكر ولن يكون المؤمنين على حق حتى يقيموا التوراة والإنجيل .. ولم يتكلم القرآن عن تحريف الإنجيل ولا عن إنجيل برنابا المزيف الذي هو تفكهة عصرية في مسرح الدين .. حتى ما يعارضه الإسلام من عقائد مسيحية هي ليست عقائد مسيحية إنما عقائد مدسوسة كثالوث مريم والله والمسيح .. وتأليه مريم .. وقد تحدث القرآن عن الأنصار الذين هم تلاميذ المسيح الحواريين .. ونحن في دائرة إحترام الإسلام للمسيحية سوف نبحث ونفتش في القرآن الكريم والأحاديث .. ولن نتكلم عن المرارات الأخرى لأننا نريد أن نتعايش معاً في سلام كما شاء النبي للمسلمين أن يكونوا .. وكما دعا السيد المسيح أتباعه أن يحبوا كل الناس .. يحبوا الله والقريب وغير القريب حتى الأعداء . هذه هي أهمية الدراسة .. وهذا هو إطارها المحترم ، وهو إحترام الإسلام للمسيحيين ووصية الرسول بالقبط خيراً .. والسماح لهم بالأكل معاً وطعام كل واحد فيهم حلال للآخر وملف التعايش هو الهدف الحقيقي وراء هذه الدراسة وهو ملف ثري غني يفيض حباً وتعاطفاً وودأ وإحتراماً وهذا الملف ينبغي أن يظل مفتوحاً وفي كل يوم نضيف اليه الجديد .. والجديد يقوم على التاريخ القديم للتعايش ونخشى أن يأتي يوم يعتبر فيه الناس أن الحديث عن التعايش صار حديثاً « ماضوياً » ويصبح حلة أنيقة يلبسها الحكام عندما تحدث توترات ويدعون رجال الدين الإسلامي والمسيحي ويعقدون لقاءات معهما تبثها وسائل الإعلام وتظل المشكلة باقية في القاعدة الشعبية .. لهذا ينبغي أن ننفذ بأفكار التعايش الى القاعدة الشعبية وتقوم بتنزيل نصوص التعايش ومواقف التعايش الى كل أفراد شعبنا فنحن نتعامل مع شعب متدين يمكن أن يكون طيباً

ونقيـاً طاهراً تحت مظلة الدين ومن الممكن أن يكون متطرفاً عندما يشعر بأن الدين في خطر ، ونحن نعلم أن الدين هو لله ، والله هو الذي أعطانا أن نعبده في دين رسم هو بنفسه قواعده ونظمه والله نفسه هو الذي يحمي الدين ويدافع عنه ويودع في ضمائرنا ما يجعلنا كل يوم نتقرب الى الله .. ونكون من المقربين مثل حديث القرآن الكريم عن السيد المسيح أنه وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين .. ونرجو أن تزداد درجة قرابتنا لله وإقترابنا اليه حتى تتلاقى إرادتنا مع إرادة الله الذي يريد أن الجميع يخلصون والى معرفة الحق يقبلون .

ملف المرارات :

وملف المرارات يحوي الكثير ولكنه يحوي ما يحوي من تعديات بسبب عدم فهم الدين وعدم معرفة التدين الحقيقي لأن من يقول إنه دين أو متدين وهو لا يحب أخاه كيف يقدر أن يكون مقبولاً أمام الله .. وملف المرارات الآن هو ملف مفتوح لكي تعالج هذه المرارات ، فالحروب الصليبية الوافدة الينا تحمل أعلاماً فيها الصليب يحملها محاربون عتاة قساة لم يرحموا أنفسهم ولم يرحموا الآخرين .. هذه مرارة يقال إن بابا روما عين لجنة لدراسة إعتذار يقدم للشرق من الغرب بسبب مرارات الحروب الصليبية وإن كان من المعروف أن المسيحيين في الشرق فهموا الأمر ورفضوا أن تكون هناك حرباً تحت شعار صليب السيد المسيح ملك السلام والذي قال لبطرس ضع سيفك في غمدك لأن الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون .. ولا يمكن لمسيحي رفض الحرب ونادى بالسلام .. المسيحية طالبت الناس أن يطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجلاً أن يقبلوا الحرب بأسم الصليب ولقد تعاون المسيحيون مع المسلمين في إنهاء أزمة الحرب الصليبية .

والمرارات المرة التي قاساها المسيحيون من المسلمين كانت بسبب قسوة الحكام ورغبتهم الشديدة في الضرائب والجزية ولم يكن هذا من الإسلام في شئ وكانوا يقولون إن من لا يدفع الجزية ليس هناك طريق أمامه إلا الإسلام وهو إسلام مرفوض لأنه تحت ضغط ضيق ذات اليد ولأنه ضد فقه لا إكراه في الدين وهو فقه واضح يرفض الإكراه . لقد كانت المرارات بسبب الحكام الطغاة القساة فكثير من الحكام حكموا بإسم الإسلام وهم لم يكونوا من الإسلام في شئ بل كانت قصورهم تعيش الفساد في أبشع صوره والخطيئة بكل جوانبها والسهرات الماجنة والسكر والميسر .. ولكنهم حكام وصنعوا ما أرادوا .. ولقد شعرت تركيا صاحب

الخلافة العثمانية بأنها ضاعت داخلياً فقام أتاتورك وحرر تركيا من رغبة حكم الآخرين تحت لواء الإسلام وأعاد بناء تركيا الجديدة .. وإنحسر الحكم بأسم الإسلام ، ثم ظهر الإستعمار في بلادنا وهو ملف مرارات جديدة لأنه كان يستفيد بالخلافات بين المسلمين والمسيحيين .. وأعتقد أنه سوف يأتي الوقت الذي يعتذر فيه المسلمون عن المرارات والإضطهادات والآلام التي عاشها أهل الكتاب بسبب إستبداد الحكام ورغبتهم في المال وجشعهم على السلطة .. ولكي نصل معاً الى حياة سلام وأمان نحتاج الى تعميق لاهوت قبول الآخر والى تأكيد أن الإسلام لم يأت الينا عدواً للمسيحية إنما دعوة محبة في وسط مجتمع وثني إمتلأت قلوب أهله بالشرك وعبادة الذات .. ورسالتنا أن نتلاقى ونتوافق دون أن نتطابق .. ورسالتنا أن نقرأ من جديد كتبنا المقدسة من واقع الإحترام المتبادل فكل واحد له دين .. والله هو الديان ولهذا تأتي دراستنا هنا لتؤكد التوافق . وتركز على محطات التلاقي .. وتدعم فكر التآخي وسوف نجد من يؤيدنا ونجد أيضاً من يعارضنا ولا غرو في ذلك فالذي يرغب في البناء لا يتم له بناء إلا بالصبر والمثابرة والثبات على المبدأ ولكن نشكر الله أن الكتاب المقدس والقرآن الكريم أكثر تأييداً لنا وأكثر تشجيعاً لطريقنا .. وأقدر على تحقيق أهدافنا السامية والتي تعلمناها من الله والذي وصف ويوصف بأنه المحبة .. « الله محبة »



الفصل الثالث

المسيحية في عيون المسلمين

ملف التعايش

الإحترام هو الأصل :

إن الأصل في الإسلام هو إحترام المسيحية فلم يقصد الإسلام إطلاقاً أن يكون حرباً على المسيحية إنما كان حرباً على الوثنية .. وقد كانت للرسول الكريم علاقة طيبة مع المسيحيين لأنهم أهل توحيد وأهل كتاب وقد كان على قمة أصدقاء الرسول أثنان من رجال الدين المسيحي أحدهما ورقة بن نوفل والثاني هو العلامة البحيرة سرجيوس .. وكان الأول يحيا في البلاد العربية مع الرسول وهو خال خديجة أول الزوجات ويستنتج البعض بأن الرسول نفسه تزوج من خديجة زواجاً مسيحياً فلا يعقل أن يكون زواجه زواجاً وثنياً وهو ضد الوثنية .. ولا يعقل أن قساً مثل ورقة يزوج إبنة أخته زواجاً وثنياً ولم يكن الوحي قد آتى ولم يكن قد بدأ الزواج الإسلامي على سنة الله ورسوله .. وقد كان لورقة تأثير كبير في الوحي حتى قيل أن الوحي قد بهت بموت ورقة بن نوفل .. أما الكاهن الثاني فقد كان « البحيرة » وهو لقبه الذي يكنى به بإعتباره بحر زاخر بالعلم والمعرفة .. وقد كان سرجيوس راهباً أسطورياً ودخل في خلاف مع رئيس الدير . وترك ديره وإتخذ له مكاناً خلوياً في طريق التجارة وسير القوافل على أطراف الصحراء وكان بجواره نبع ماء ونخيل وعاش حياة النساك يأكل من تمر النخيل ويشرب من ماء النبع وكان التجار يستريحون عنده في الطريق وكان يحدثهم عن السيد المسيح كما كان يقرأ الطالع ولقد رأي طالع الرسول الكريم وتنبأ بمستقبل واسع وعريض له .

ملف التعايش :

وملف التعايش زاخر بالأقوال والمواقف التي تؤكد إحترام الإسلام للمسيحية ولا يمكن أن يكون المسلم مسلماً إن لم يعترف بالمسيحية كما يحث الإسلام تابعيه أن يتعاملوا تعاملاً حسناً مع المسيحيين ويأتي هذا إما في أقوال القرآن الكريم أو الأحاديث الشريفة أو مواقف الرسول وخلفاؤه الراشدين . ونورد هنا ثلاث عشرة دليلاً ليست هي كل الأدلة إنما هي براهين يأتي بعدها براهين أخرى لنفتح معاً

هذا الملف من التعايش والتوادد :-

١- لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم. وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين « سورة الممتحنة آية ٨ »

٢- يوافق الإسلام على أن يأكل المسلم من أكل أهل الكتاب (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم) .

ويزيد على ذلك في نفس هذا النص القرآني إباحة مصاهرة غير المسلمين :

(والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) « سورة المائدة آية ٥ »

٣- حدد الإسلام أدب الجدال بين المسلم وأهل الكتاب :

(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا ءامنا بالذي أنزل إلينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلاهكم واحد ونحن له مسلمون) « سورة العنكبوت آية ٤٦ »

٤- كان الرسول الكريم مثلاً أعلى في معاملة أهل الكتاب وقد روي عنه أنه كان يحضر ولائمهم ويشيع جنازاتهم ويهتم بمرضاهم ويزورهم ويكرمهم حتى روي عنه أنه لما زاره وفد نصارى نجران فرش لهم عباءته وأجلسهم عليها .. وروي أنه كان يقترض من أهل الكتاب نقوداً ويرهن عندهم أمتعته حتى أنه توفى ودرعه مرهون عند بعض يهود المدينة في دين .. لا عجزاً من أصحابه على إقراضه إذ كان منهم الأثرياء الذين هم مستعدون لأن يضحوا بأنفسهم وأموالهم في مرضاته بل كان يفعل ذلك تعليماً للمسلمين وإرشاداً لهم .

٥- من أقوال الرسول :

« من آذى ذمياً فليس مني » ... « من آذى نصرانياً جنده الله في يوم القيامة بسياط من لهيب جهنم » وقد كان حرص المسلمين على الوفاء لأهل الذمة حقيقة مشهورة معروفة حتى أنه يروى أن واصل بن عطا زعيم المعتزلة قابل مرة عصابة من الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين الذين يخالفونهم في العقيدة ورأى واصل أن الطريق لنجاته هو وصحبه من موت محقق أن يدعي أنه وصحبه ذميون .. هكذا فعل .. وهكذا نجا .

٦-عندما إنتصر عمر بن الخطاب في إيليأ « القدس » ذهب الى المدينة حقناً

للدماء وكتب بينه وبين المسيحيين عهداً جاء فيه :-

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان .. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم .. سقيمها وبريئها وسائر ملتها : أنه لا تسكن كنائسهم .. ولا تهدم . ولا ينقص منها ولا من خيرها .. ولا من صليبهم .. ولا من شئ من أموالهم .. ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم .. ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود .

٧- كتب عمر بن الخطاب للنصارى في بيت المقدس أماناً على أنفسهم وأهلهم يتعهد فيه بسلامة كنائسهم فلا تهدم ولا تسكن ولهم أن يباشروا طقوس دينهم وعبادتهم دون أي تدخل أو ضغط . وقد سجل عمر بن الخطاب وصيته الى ولاته أن يمنعوا المسلمين من ظلم أهل الذمة وأن يوفوا لهم بعهدهم ويخففوا عنهم وألا يكلفوهم فوق طاقتهم وقد سجل ذلك في وصيته قبل موته .

٨- دخل عمر بن الخطاب الى كنيسة القيامة ولما حان وقت الصلاة خرج عمر وصلى خارج الكنيسة وقال للبطريرك « لو صليت داخل الكنيسة خفت أن يقول المسلمون من بعدي هذا مصلى عمر وأن يحاولوا أن يقيموا في ذلك المكان مسجدا » .

٩- رأى ابن الخطاب شيخاً يهودياً يسأل الناس بسبب حاجته .. فسأله عمر : ما الذي حملك على السؤال ؟ فأجاب الرجل : الحاجة والسن .. فأخذ عمر بيده وذهب الى منزله حيث أعطاه عطاءاً سخياً ثم أرسله الى خازن بيت المال مع رسالة قال فيها : أنظر هذا وضرباءه .. فو الله ما أنصفناه إن أكلنا شيبته ثم خذلناه عند الهرم .. إنما الصدقات للفقراء والمساكين .. وهذا من مساكين أهل الكتاب .

١٠- روي أن نصارى تغلب كانوا يناوئون واليهم الوليد بن عقبة فنفذ صبر الوليد بما كانوا يعملون فقال شعراً يتوعدهم ويهددهم وسمع عمر بعض هذا الشعر فخشي أن يقسو الوليد عليهم وأن يبطش بهم فعزله عن ولايته وعين أميراً غيره .

١١- مر عمر بن الخطاب وهو في أرض الشام بقوم مصابون بمرض الجزام فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت بإنتظام .

١٢- في محيط العلاقات الإنسانية بين الأطفال والصبيان كان أحد أبناء عمرو بن العاص يلعب مع ابن أحد الأقباط .. وفي شعور بالعظمة قام ابن عمرو بن العاص بصفع القبطي على وجهه ، وكان من الطبيعي أن يسأل الصبي القبطي لماذا تصفعني ؟ فأجاب العربي .. انني ابن الأكرمين .. وشاعت القصة بين الأقباط مع شعور بالألم والإمتعاض ، ووصل الخبر الى الخليفة عمر بن الخطاب فما كان منه إلا أن أمر القبطي أن يرد الضربة الى صاحبها ويصفع ابن الأكرمين لأنه أخطأ في حقه وقال عمر أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ..

١٣- أوضح القرآن أنه لا يجوز إجبار أحد على تغيير دينه فيما يلي :

(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) «البقرة آية ٢٥٦»

(أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) «النحل آية ١٢٥»

(لكم دينكم ولي دين) «الكافرون آية ٦» - (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) «الرعد آية ٤٠» .

(فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر) «الغاشية آية ٢١ - ٢٢»

وتأتي مشكلة عدم التعايش بسبب أن الإنسان نفسه يريد أن يسيطر على الآخرين ويقمع الآخرين على أن يعتمدوا فكره ودينه مع أن الإسلام له موقف واضح من ناحية الدين المسيحي يتسم بالتفهم والإحترام ويرفض وسائل الضغط على الآخرين بسبب الدين .. ويترك أمر اليوم الآخر لله وهو الوحيد الذي يحاسب الناس بالقسط فهو الآله العادل . ونحن الآن وفي كل يوم نضيف الجديد والمفيد من المواقف قولاً وعملاً .. نقدم مواقفاً جديدة مثل مشاركة المسلمين للمسيحيين في أعيادهم في الإجازات العامة . وفي أعياد المسيحيين مثل عيد الميلاد وشم النسيم . وفي إهتمام المسيحيين بمشاركة المسلمين في مأدبة إفطار رمضان . وهكذا تستمر المسيرة .

الباب الثاني

روافد تلتقي في نهر المحبة والتوادد



الفصل الأول

نظرة القرآن الى النصارى

القرآن والمسيحية :

جاء القرآن الكريم بعد إنتشار المسيحية في ربوع كثيرة في عالم الأمس .. وبعد ما يقارب من سبعة قرون من فجر المسيحية المشرق ومولد السيد المسيح ذلك الميلاد العظيم الذي شهد له القرآن نفسه .. وكان في البلاد العربية مجموعة صغيرة من المؤمنين بالسيد المسيح وكان غير المؤمنين قساة الرقاب غلاظ الفهم فتعرض النصارى للكثير من المتاعب والمضايقات .. وكانت المسيحية في شبه الجزيرة العربية قد تعرضت لعدة هرطقات وبدع مما جعلها ضعيفة التأثير وإكتفى المسيحيون بأن يكون معبودهم وسط معبودات الوثنية في سوق عكاظ .. ولقد كانت في قبائل العرب قبائل مسيحية مثل قبيلة نجران ، كما كان في وسطهم شعراء مسيحيون عرب ، ولنا في المسيحيين العرب مبحث آخر .

ولقد تعرض القرآن الكريم للمسيحية بوجه عام وشرح كيف أنها ديانة سماوية .. وكيف أنها من الله وقد أتت هدى للناس ورحمة للعالمين على يد السيد المسيح عيسى بن مريم .. وتحدث القرآن عن المؤمنين بالمسيحية وسجل لهم أجرهم عند ربهم ولم يصف القرآن المسيحية بالكفر ولا المسيحيين بالكفرة ، إنما وصف المشركين بالكفر والمشركين هم الذين عبدوا آلهة متعددة فالمسيحيين هم أقرب الناس مودة للمسلمين وهم في تواضع ووداعة يسلكون فهم ليسوا من أهل الإستكبار .. وللمسيح في القرآن مكانة كبيرة ومركز مرموق فهو وجيه في الدنيا . ووجيه في الآخرة .. ومن المقربين ..

ودرجة الإقتراب الى الله لم يحددها القرآن ولكنه ذكرها واضحة فالمسيح في القرآن هو كلمة الله وروح منه ولد بطريقة معجزة لم يولد بها إنسان من قبل ولا من بعد بدون أب جسدي ومن أم عذراء بتول الطهر ليس في محياها فقط بل في كل سلوكها فهي لم يمسها بشر .. ويتحدث القرآن عن موت المسيح وعن رفعه أو صعوده الى السماء بطريقة عجيبة حار فيها المفسرون والعلماء . وتحدث القرآن عن أن السيد المسيح بشّر الناس بالإنجيل . وإحترام القرآن للإنجيل وإعتبره مصدقاً للقرآن ولم يتحدث القرآن إطلاقاً عن أي نسخ أو تحريف في التوراة والإنجيل وأمن القرآن على أن الأنجيل هو سنة الله وأكد أنه ليس لسنة الله

تبديلا كما أكد أن الله هو الحامي والحافظ لكلامه (وقال المؤمنون ليسوا على شئ حتى يقيموا التوراة والإنجيل) .. وتحدث القرآن عن الأنصار وهم تلاميذ السيد المسيح وأهل الحوار معه . بل إن القرآن إنبرى محارباً للبدع والهرطقات الدينية السائدة آنئذ ودخل مع المبتدعين في إحتراب تم تأويله من البعض على أنه ضد المسيحية ولكنه كان لحماية المسيحية التي تقوم في كل جيل والتي يحارب أخطاءها محاربون أقوياء من أولياء الله الصالحين .

القرآن والنصارى :

وقدم القرآن بعض الأسس في معاملة النصارى كما تكلم عن رأيه فيهم ، والنصارى هم أتباع يسوع الذي دعي ناصرياً لأنه تربى في الناصرة ويسمى أتباعه بالنصارى وهذا هو رأي القرآن الكريم في النصارى :-

١- النصارى هم أهل الكتاب :

والكتاب هنا يقصد به الكتاب المقدس وعندما نقول الكتاب بالألف واللام لا نقصد غيره فهو الكتاب الصامد عبر رحلة الزمان والدهور .. وهو الكتاب الذي تشهد له الآثار وتتكلم عنه الأحجار وتؤكد الإكتشافات الآثرية في كل يوم صدق كل كلمة فيه من خلال المقارنة بين الكتاب الذي في أيدينا والمخطوطات القديمة . وما أكتشف في وادي قمران .. وفي جزيرة فيلة .. وفي أماكن أثرية في مصر وغيرها إنما يؤكد صدق الإنجيل بكل ما فيه وما الحديث الآن عن تحريف الإنجيل سوى بدعة جديدة تفتقر الى أبسط دليل .

ويذكر القرآن الكريم أن أهل النصارى هم أهل الكتاب وهم « الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » أو « الذين آتيناهم الكتاب » أو النصارى فهم الذين إستقبلوا الوحي من قبل وعرفوا الله من قبل ولهم عند ربهم مكان ومكانة فهم مؤمنون متعبدون ساجدون راكعون وهم أهل خير ورحمة ومودة . يعيشون حياة الصالحين مع الله ويقول في ذلك (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الكتاب آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين)

« سورة آل عمران ١١٣- ١١٤» وهم في عالم الروح أقدم وأفهم وأعتق .

٢- النصارى أهل تقوى :

ويرى القرآن أن المسيحيين هم نفر أتقياء .. يرفضون الشر ويبتعدون عن الإثم وتسرع أرجلهم في طريق الخير . وهم يهتمون بالكتاب ويحفظون كلماته بالقول والعمل .. ويعيشون حياة التقوى في المسيح ورسالة المسيح اليهم أن إتقوا الله .. ولهذا فهم من الصالحين المؤمنين الساجدين الذين يصلون ليلهم بنهارهم في العبادة .. والذين يقطعون الليل الى نصفين ويرفعون أكف الضراعة نحو الله وربما يقصد هنا صلاة نصف الليل وهي ثلاث هجعات أو ثلاث ركعات، مثلما صلى يسوع في بستان جسيماني ومثل قول داؤد « في نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك » وفي هذا يقول القرآن :

(الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) « سورة البقرة ١٢١ »

(ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن أتقوا الله) « سورة النساء ١٣١ »

(الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) « سورة القصص ٥٢ »

٣- آداب الحوار :

وأوصى القرآن أتباعه أن يتبعوا آداب الحوار مع المسيحيين .. ولا يكون هناك جدال إلا بالتي هي أحسن لأن المسلم يؤمن إيماناً قاطعاً بالذي أنزل للمسيحيين ويؤمن أيضاً بأنهم موحدون ..

كما يؤكد أنهم مرجع من المراجع الهامة يزيلون الشك عندما تظهر بعض الحقائق إنها تحتاج الى دليل وفي هذا يقول القرآن الكريم (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا ءامنا بالذي أنزل إلينا وإنزل اليكم وإلهنا وإلاهكم واحد ونحن له مسلمون) «سورة العنكبوت ٤٦ »..

ويوجه القرآن أهل الإسلام الى المسيحيين باعتبار أنهم أهل رأي صحيح وإفتاء شرعي حيث يقول القرآن (فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فأسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) « سورة يونس ٩٤ »

(وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) « سورة الأنبياء ٧»

٤- المسيحيون أهل مودة :

ويستمر القرآن الكريم في شرح صفات النصارى ويتحدث عن قلوبهم التي تنبض بالرحمة ويوصي أن المودة من المسيحيين للمسلمين تجعلهم يرفضون مسافات التباعد ويرغبون في حياة التوادد . وفي هذا يقول القرآن :

(وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين إتبعوه رأفة ورحمة) « سورة الحديد ٢٧»

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) « سورة المائدة ٨٢»

والمسيحيون كأهل مودة تأتي تقواهم نابعة من تعبدهم لله .. وقد ذكر القرآن الكريم البيع وهي الكنائس وتسمى الكنيسة بيعة لأن الله إبتاعها له والكنيسة هي بيعة الله التي إقتناها بدمه .. وفي هذا يقول القرآن (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) « سورة الحج ٤٠ » والقرآن هنا يتحدث عن الصوامع والكنائس والمساجد على أنها في مستوى واحد ولها هدف واحد هو أن يذكر فيها اسم الله كثيراً .

٥- المسيحيون ليسوا مشركين ولا كفرة :

وعندما تحدث القرآن الكريم عن علاقات المسلمين بغير المسلمين تحدث عن العداوة متمثلة في اليهود والذين أشركوا وميز النصارى عن الذين أشركوا وذكر ثلاث طوائف وهي تبدأ باليهود ثم الذين أشركوا ثم النصارى .. والتمييز والفصل بين النصارى والمشركين أمر واضح جداً في القرآن وهذه بعض الأمثلة :

(إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شئ شهيد) « سورة الحج ١٧ » شهد القرآن الكريم بأن المسيحيين ليسوا كفرة وأعطاهم مكانة عظيمة ترفعهم على الكافرين بالمسيحية وفي هذا يقول : (إذ قال الله يا عيسى أني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) « سورة آل عمران ٥٥ » وقد وصف القرآن أن الذين ينحرفون من

المسيحيين عن تعاليم الإنجيل هم الفاسقون : (وليحكم أهل الإنجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) « سورة المائدة ٤٧ »

٦- لا خوف عليهم :

ولا يخاف القرآن الكريم على المسيحيين إنما يرى أنهم مؤمنون بالله واليوم الآخر ويرى أنهم يعملون الصالحات ولهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. وفي هذا يقول القرآن :

(إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) « سورة البقرة ٦٢ »

ويذكر القرآن نفس النص السابق في سورة المائدة وفي العدد التاسع والستين .. وفي هذا تأكيد من القرآن أن الله نفسه مطمئن جداً على إيمان المسيحيين أو على دين النصارى وليست لدى القرآن الكريم مخاوف إطلاقاً على مصير المسيحيين ، بل ليست لدى المسيحيين في نظر القرآن أحزان على مستقبل المسيحيين وهذا يعني أن مصيرهم هو الملكوت السماوي عندما يعيشون بالتقوى في إنجيل المسيح .

إعادة قراءة :

أرجو من المسيحيين والمسلمين أن يعيدوا قراءة القرآن الكريم في ضوء المحبة وتحت مجهر التوادد والإحترام الذي يقدمه الإسلام للمسيحية وعندما تصبح بعض الأمور غير متفق عليها فيما بين الديانتين فهذا الأمر ليس صعباً لأن الأديان تتوافق ولكن لا تتطابق ولو حدثت المطابقة لكان الدين واحد ولكن مشيئة الله أن تبقى الأديان متنوعة لكي يتوحد الناس في الله رغم إختلافهم في طرق التعبد له .. ولو شاء الله لوحد الأديان والأقوام ولكن لو وحدها لكان هذا ضد حرية الإرادة .. فالإنسان مخلوق الهي كائن حر ومريد ويبقى التعايش فناً ، والديانة الحقيقية هي قبول الآخر واللغة الروحية هي لغة المحبة .. وحضارة الإنسان أن يحيا مع غيره دون أن يكيل له الإتهامات إنما في ظل الإحترام المتبادل .

الفصل الثاني

القرآن الكريم يشهد بسلامة الإنجيل المقدس

هدف الدراسة :

أرجو أن أذكر بأن هدف هذه الدراسة هو التوفيق وليس الجدل والتفريق فالكتاب المقدس يطالبنا أن نتجنب المباحثات الغبية السخيفة لأنها تولد الخصومات ورجل الله لا يخاصم بل يملأ الدنيا سلاماً .. والقرآن نفسه يطالب أن لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن .. وساحة البحث هي ساحة التلاقي . والحوار هو فن التعارف وليس وعظاً أو تبشيراً إنما هو حوار هادف ليؤكد أطر التعايش بعيداً عن اللعب الخشن متجنباً لبؤر وحفر الإختلاف . وعند الحديث عن سلامة الكتاب المقدس من التحريف من واقع القرآن الكريم نرى أن إدعاء التحريف هو تهمة غير صادقة وليس لديها أي أدلة وبينات . ولا يمكن أن يقام إتهام بدون بينة وبدون إسناده الى فاعل محدد ولا إلى زمان معين ولا الى مكان بعينه .. والذين يقولون بأن الكتاب المقدس لعبت به الأيدي لم يقدموا لنا الكتاب الحقيقي الذي لم تلعب به الأيدي وتجاهلوا أن الكتاب المقدس هو كتاب الله ولا يمكن لكتاب الله أن تعبث به الأيد ي كما يقولون وكما يؤكد القرآن الكريم نفسه هذا .. وأعتقد أن هذه الدعوى لتحريف الكتاب هي من صنع الشيطان لأنه لا يرغب أن يحيا البشر في سلام مع بعضهم فهو الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس والذي يرغب في أن يضعف مكانة كلمة الله في قلوب الناس لكي يكون الشيطان ملكاً على القلوب وزعيماً على الأفكار .

إستحالة التحريف :

إن تحريف الكتاب أمر مستحيل .. وهو رمية من غير رام كما رأينا ودعوة الشك في صحة الكتاب المقدس باطلة فالكتاب هو كتاب الله والله وحده هو القادر أن يحميه من كل وصمة يحاولون أن يلحقوها به .. ولا يوجد دليل واحد على التحريف إنما توجد أدلة متعددة على صحة الكتاب المقدس ويمكن أن نوجز هذه الأدلة فيما يلي :

١- كان اليهود في منتهى الحرص على الكتاب ومن وصايا التلمود أن يكون الرجل حصناً منيعاً للتوراة .. ولقد كان لليهود عناية دقيقة بالتوراة فقد أحصوا

عدد كلماتها وحروفها وقالوا أن العالم قائم على ثلاثة أعمدة : التوراة ، العبادة ، والعمل الصالح .. والتوراة التي بين أيدينا الآن هي نفسها التوراة التي كانت في يد الأجيال الأولى ، وأقدم النسخ لا تختلف عن النسخة التي بين أيدينا الآن وهذا هو عين ما حدث في العهد الجديد فما بين أيدينا الآن هو نفسه ما كان قبل الآن ، والنسخ القديمة المحفوظة في المتاحف الكبرى هي صورة طبق الأصل للنسخ الحديثة .. وقد شهد تاريخ اليهود العمومي بصدق النبوات التي ذكرها الكتاب عن السبئ وخراب الهيكل وخراب أورشليم والشتات في أنحاء العالم .

٢- شهد الوثنيون بصحة الكتاب المقدس ولم يتعرضوا له ولم يتهموه بالتحريف ولو كان الكتاب محرفاً لما سكت هؤلاء بل هناك بعض الشهادات من الوثنيين بصدق الكتاب المقدس والفضل ما شهدت به الأعداء ، ويحمل كتاب « شهادة قدماء الوثنيين لصحة كتاب الله الثمين العديد من الشهادات تؤكد أحداث *الصليب والقيامة* ، *وكتب يوسيفوس المؤرخ اليهودي* عن السيد المسيح قائلاً عنه إنه كان معلماً وكان له تلاميذ كثيرون وصنع العديد من *المعجزات وأنه هو الذي* سلمه اليهود الى الصليب وأنه قام بعد ثلاثة أيام .

٣- شهادة الآثار :

وتصرخ الأحجار والآثار لكي تؤكد صدق الكتاب المقدس وعندما تمّ فك الطلاسم التي على الأحجار ظهرت آثار تؤكد صحة كل ما ذكره الكتاب المقدس من أحداث وهناك كتب تناولت بالبحث هذا الأمر مثل كتاب « أصداء التوراة » وكتاب « شهادة الآثار » ولم تزل الأرض تخرج من جوفها ما يؤكد صحة الكتاب المقدس مثل الإكتشاف الذي تمّ في مدينة روما والذي يرجع الى القرن الأول وأكتشف فيه قبور المسيحيين وعبارات كاملة من الكتاب المقدس عليها .

٤- شهادة العوائد والتاريخ السياسي .. عوائد الأمم التي ذكرها الكتاب المقدس عن الشعوب المختلفة ذكرتها سجلات تاريخ هذه الأمم والولاة المذكورين في الكتاب والملوك بأسمائهم وهؤلاء المشاهير مذكورين في التاريخ السياسي مثلما ذكروا في الكتاب .

٥- ومن الأدلة العقلية على صدق الكتاب أن يصعب مثلاً أن نجمع كل النسخ الموجودة في العالم لكي يحدث تحريف كما أنه ليس من الممكن أن يتفق اليهود والوثنيين والمسيحيين في مثل هذا الأمر فهم أعداء يصعب أن يجتمعوا معا .

شهادة القرآن الكريم :

يؤكد القرآن الكريم أن الكتاب المقدس كتاب منزل وهناك نصوص تؤكد صدق الزبور وأخرى تؤكد صدق الإنجيل ويعطي القرآن للكتاب المقدس ما أعطاه للقرآن من صفات ومن ألقاب ، والقرآن في نصوصه يحترم الإنجيل ويعتبره مرجعاً للأمور التي تستعصي على المسلم والنصوص كلها تؤكد إستحالة التحريف قبل الإسلام وبعد الإسلام .

١- تنزيل التوراة :

يقول القرآن (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) « سورة البقرة ٥٣ » والفرقان هنا يعني أن التوراة جامعة ومنزلة وحجة تفرق بين الحق والباطل (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين) « سورة الأنبياء ٤٨ » (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة) « سورة الجاثية ١٦ » (*ولقد مننا على موسى وهارون وآتيناهما الكتاب المستبين*) « *الصافات* ١١٧» (ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل) « سورة السجدة ٢٣ » والمرية هي الشك والنص القرآني يؤكد عدم الشك في التوراة وتستمر النصوص التي تؤكد سلامة التوراة :

(قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله) « سورة الأنعام ٩١ »

(ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب) « سورة غافر ٥٣ - ٥٤» (ومن قبله « أي من قبل القرآن » كتاب موسى إماماً ورحمة « سورة هود ١٧»

(ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل) « سورة البقرة ٨٧ » (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) « سورة المائدة ٤٣ - ٤٤ »

٢- تنزيل الزبور :

والزبور هو سفر المزامير الذي يحوي طلبات وصلوات وأناشيد وترانيم روحية لتمجيد اسم الله .. هنا يقول القرآن :

(ولقد كـتبنا في الزبـور من بعد الذكـــر أن الأرض يرثها عبادي الصـالحون) « سـورة الأنبـيـاء ١٠٥ » وهكذا تقـول تطويبـة يسـوع طوبى للودعـاء لأنهـم يرثون الأرض .

(ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داؤد زبورا) « سورة الإسراء ٥٥ »
(وآتينا داؤد زبورا) « سورة النساء ١٦٣ »

٣- تنزيل الإنجيل :

يرى القرآن الكريم أن الإنجيل كتاب مقدس سماوي منزل من الله بل يرى أنه من واجب المسلم والمسيحي أن يقرأوا الإنجيل ويصدقوا كل ما قيل فيه بل إن القرآن أتى مصدقاً لما في الإنجيل وهل يمكن أن يصدق القرآن على صدق أو كيف يصدق القرآن على كتاب محرف .. وإذا كان الإنجيل محرفاً فكيف يقول القرآن أن يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله لهم .. بل حتى القرآن عندما يذكر أمر التنزيل يقول (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله « القرآن » والكتاب الذي أنزل من قبل « الكتاب المقدس » ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيدا) « سورة النساء ١٣٦ » وواضح هنا أن القرآن لم يعتبر نفسه الكتاب الوحيد وإلا لقال الكتاب إنما هو يقول كتبه وهنا يطالب القرآن كل مسلم لا أن يؤمن فقط بالقرآن إنما أن يؤمن بالكتب المنزلة وهي بالتحديد التوراة والزبور والإنجيل ، وهذه بعض نصوص تؤكد تنزيل الإنجيل :

(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا *عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس)* « *سورة البقرة* ٢٥٣ »

(ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل) « سورة الحديد ٢٧ »

(وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) « سورة المائدة ٤٦ - ٤٧ »

(قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) « سورة مريم ٣٠ »

(ويعلـمه « المسيح » الكـتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) « سورة آل عمران ٤٨ »

(إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) « سورة المائدة ١١٠ »

٤- تنزيل الكتاب المقدس :

لقد كرم القرآن الكتاب المقدس كله أعظم تكريم على مستوى أقسامه من توراة ومزامير وإنجيل وعلى مستوى الكتاب كله .. وأكد القرآن أن أهل الكتاب هم المرجع الصادق للإسلام وعندما يدخل المسلم في دائرة الشك لا يجد من يزيل شكوكه سوى أهل الكتاب لأنهم لهم باع طويل وسبق كبير في معرفة كلام الله .. ويصف القرآن الكتاب المقدس بأنه الكتاب المنير ويؤكد أن كل كلام الكتاب المقدس منزل أي موحى به من الله كما يرى القرآن .

إن معرفة المسيحيين للكتاب المقدس هي معرفة ودية وواضحة كما يعرف الأب ابنه هكذا يعرف أهل الكتاب كتابهم بل عندما تقف بعض القضايا الغامضة أمام المسلم فليس عليه إلا أن يسأل أهل الذكر يوضحون الحقائق ويعطونه من علمهم .. ولهذا كانت نصيحة القرآن عدم الجدال مع أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن .. وعلى الأخص أن الله الواحد هو الذي أنزل الكتاب وهذه بعض نصوص عن تنزيل الكتاب المقدس :

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) « سورة الأنعام ٢٠ »

(فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فأسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) « سورة يونس ٩٤ »

(ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) « سورة العنكبوت ٢٧ »

(وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم) « سورة الشورى ١٥ »

(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا

آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وآلهنا وآلهكم واحد ونحن له مسلمون) « سورة العنكبوت ٤٦ »

(وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) « سورة آل عمران ٣-٤ »

(جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير) « سورة فاطر ٢٥ »

(وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) « سورة الأنبياء ٧ »

ألقاب الكتاب المقدس :

أعطى القرآن الكريم للكتاب المقدس عدة ألقاب وهي الكتاب والذكر والفرقان والبينات .. وهذه الألقاب هي نفسها الألقاب التي ذكر بها القرآن وهذا تأكيد للإحترام فالقرآن لم يفضل نفسه على الكتاب المقدس بل أعتبر الكتاب المقدس مرجعاً له .. وهذه الألقاب هي دليل على إيمان القرآن بأن الكتاب المقدس كتاب منزل من الله ، ولقد أتى لقب الكتاب أكثر من عشرين مرة في سورة آل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأحزاب .

أما اللقب الثاني وهو الفرقان فقد آتى في سورتي الفرقان والبقرة أما اللقب الثالث وهو الذكر فقد ورد في سورة الأنبياء .

صفات الكتاب المقدس :

ولقد وصف الكتاب المقدس بأنه هدى .. ونور ورحمة وموعظة وذكرى لأولي الألباب .. والكتاب المنير الذي أشرق بنوره على البشر كما يقول داؤد « سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي » ولم يذكر القرآن أي شئ ضد الكتاب المقدس بل وضعه مع نفسه في صف واحد بلا تمييز ولا تفضيل وهذه بعض صفات الكتاب المقدس من واقع نصوص القرآن :

(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ..) « سورة المائدة ٤٤ »

(وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) « سورة المائدة ٤٦ »

(من قبله كتاب موسى إماما ورحمة) « سورة هود والأحقاف »

(ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب .. هدى وذكرى لأولي الألباب) « سورة غافر ٥٣ - ٥٤ »

(ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون) « سورة القصص ٤٣ »

(ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شئ وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) « سورة الأنعام ١٥٤ »

(وكتبنا له في الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا) « الأعراف ١٤٥ »

(فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير) « آل عمران ١٨٤ »

(وآتيناهما الكتاب المستبين) « الصافات ١١٧»

الفصل الثالث

القرآن الكريم ضد دعوى تحريف الكتاب المقدس

إدعاء كاذب :

يدعي البعض أن العهد الجديد قد لحقه التحريف وهي دعوة باطلة وليس لها أي بينة تؤيد صدقها فالإنجيل فيه آيات بينات من الهدى .. والمعجزات التي صنعها السيد المسيح هي بينات لقوم يعقلون .. فالإنجيل إنجيل منزل فيه بينات والله يهدي من يريد .. والقول بتحريف الإنجيل إنما هو دسيسة شيطانية حيث يصعب تحريف الإنجيل وذلك للأسباب الآتية :-

١- كان للمسيحية أعداء كثر ولم يذكر أي من هؤلاء الأعداء مثل هذا الإتهام ولو كانت هذه الفرية موجودة لما تمكنت المسيحية من تكملة المشوار وسط أعداء يتربصون بها ولها .. ويعلنون رغبتهم في إبادتها وما تمكنوا من هذا .. ولقد كان الأعداء ليسوا هم أهل الوثنية فقط إنما أهل اليهودية بل على العكس إستقبلت المسيحية العدد الكبير من علماء الوثنية وجهابذة اليهودية .

٢- لم يذكر التاريخ حرفاً عما وقع في الإنجيل من التحريف إن كان هناك تحريف ولا يصح أن يغفل التاريخ حادثة خطيرة كهذه لو كان لها نصيب من الصحة .

٣- لا يمكن للرسل أن يحرفوا فهم لم يكونوا مخدوعين وهم ليسوا خادعين والخداع ليس سهلاً عليهم فلقد كانوا مجموعة من بسطاء الناس فبطرس ويوحنا قيل عنهما أنهما عديما العلم وعاميان (أعمال ٤:١٣) فهم ليسوا أصحاب نية رديئة ولا أهل مكر وخبث ولقد إمتلأوا من الروح القدس وقدموا شهاداتهم من خلال رؤياهم ومعايشتهم للسيد المسيح وتحدثوا في وسط يمتلئ بالشهود الآخرين الذين أكدوا على شهاداتهم .. وهم يتحدثون على جليتهم يذكرون عيوبهم ويتحدثون عن نقائصهم وعندما نادوا يسوع ربا والها تجسد عنا كان هذا النداء يؤدي الى الموت وماتوا ولم يغيروا شهاداتهم . ولو كان في إمكانهم التحريف لحرفوا الآيات التي تلزمهم إحتمال الصعوبات وتصعب عليهم جهد الخلاص .

٤- كان اليهود حريصون على حفظ كتبهم المقدسة . ثم جاء المسيحيون أكثر حرصاً وأكثر قوة في حماية كلمة الله يحملون كتبهم ويوصون بأن توضع معهم في

قبورهم ويؤثرون الموت على تسليمها غير المؤمنين ، وروي أن بعض مؤمني أفريقيا سمعوا مرة أسقفهم يستبدل كلمة سرير في قصة المفلوج بكلمة فراش فإحتجوا عليه إحتجاجاً شديداً .. وإذ حرف كاسيانوس الهرطوقي نصاً من الإنجيل أجابه أكليمندس الإسكندري : إن هذا النص مزور لأننا لا نجده في أناجيل المسيح الأربعة .. والكتاب المقدس يحوي آخر نصوصه من الرؤيا : لأني أشهد لكل من يسمع أقوال نبؤة هذا الكتاب إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب وإن كان أحد يحذف من أقوال هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب (رؤيا ٢٢:١٨ ، ١٩) ولا يمكن لمن مات من أجل يسوع ومن أجل الإنجيل أن يحرم نفسه من ميراث السماء ويقع عليه عقاب التحريف بل كان رجال اللاهوت يعتبرون أن تحريف أي نص هو جريمة مثل جريمة عبادة العجل الذهبي .. وأن من يجرؤ على تحريف أي نص إنما هو رسول الشيطان .

كيف ومتى وأين ؟ :

نحن نسمع فقط أصواتاً تقول إن الإنجيل محرف ولكن أحداً لم يقدم أي دليل على هذا ولم نعرف كيف كان هذا ولا متى كان ولا أين كان .. وعندما ندرس التاريخ لا نجد أي دليل على هذه الدعوى الباطلة ولا يوجد زمن يشك فيه أحد أن هناك تحريفاً في الكتاب .. ولم يحدث أي تحريف قبل ظهور الإسلام ولا بعده لأن القرآن يشهد بذلك بل يؤكد القرآن أن الإنجيل منزل وأنه كلام الله والله قادر على حماية كلمته حتى لا يدخلها التحريف .

القرآن ضد دعوى التحريف :

١- قبل ظهور الإسلام :

جاء القرآن مصدقاً لما في الكتاب المقدس ولا يمكن أن يصدق على كتاب غير صادق ولم يرد أي إفتراء على الكتاب من القرآن بل جاء يؤكد كل أحداث الكتاب المقدس وهذا يعني أن تحريفاً لم يقع قبل ظهور الإسلام واليك النصوص القرآنية : (وما كان هذا القرآن أن يفتري من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه) « سورة يونس ٣٧ »

(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق

الذي بين يديه) « سورة يوسف ١١١ »

(يا بني إسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وأياي فأرهبون .. وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به) « سورة البقرة ٤٠ - ٤١ »

(ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) « سورة آل عمران ٨١ »

(قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) « سورة البقرة ٩٧ »

(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) « سورة البقرة ٨٩ »

(وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم) « سورة البقرة ٩١ »

(نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) « سورة آل عمران ٣ »

(وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه) « سورة الأنعام ٩٢»

(والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير) « سورة فاطر ٣١ »

(يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم) « سورة النساء ٤٧ »

٢- بعد ظهور الإسلام :

لا يمكن الإدعاء أن تحريفاً لمس الكتاب المقدس بعد ظهور الإسلام وليس في التاريخ إشارة ولو عابرة الى وقوع مثل هذا الحدث كما أن وقوعه آمر مستحيل ، فالكتاب الذي بين أيدينا اليوم هو الكتاب الذي تداوله وحفظه ومات من أجله أهل الكتاب .. هو نفسه الكتاب الموحي به من الله الى موسى ومن الأنبياء في العهد القديم ، وهو نفسه الكتاب الذي صدر عن الرسل .. وعقائدنا اليوم هي نفس العقائد يوم ظهور الإسلام .. وكانت المسيحية في القرن السابع عند ظهور

رسالة محمد قد وصلت الى كـل بقاع الدنيا صوب كل جهات العالم .. فهل يعقل أن النصارى الموجودين في هذه البلاد المتباعدة يجتمعون ويتفقون على تحريف كتابهم الذي عاشوا معه وعاش فيهم وتبادلوا معه قوة الحب وتضحيات المحبة وجادوا بأموالهم وأرواحهم من أجله ؟ إن المسيحي يصنع كل شئ لأجل أن يكون له نصيب في سفر الحياة ولا يقدر أن يكتب في سفر الحياة من يزيد أو ينقص شيئاً في كتاب الله (رؤيا ٢٢)..

أ- والقرآن وجه أهل الإنجيل لكي يكون مرجعهم في حياتهم .. وأستنكر أن يحكم أهل الإنجيل بغير الإنجيل وفي إستفهام تعجبي يقول القرآن (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) « سورة المائدة ٤٣ »

ب - ولا ننسى أن القرآن وجه المسلمين الى الكتاب المقدس لكي يتأكدوا من صدق دعوى الإسلام عندما يدخلون في أي خلاف أو إختلاف .. أو شك أو فرية هنا يقول (فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فأسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) وهنا يرى البيضاوي أن القرآن مصدق لما في الكتب المتقدمة فإن الكتاب المقدس مرجع ثابت يحقق صدق ما يعرفون لأن الحق عندهم ثابت ومحقق .. وفي تفسير الجلالين فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك من القصص فرضاً فأسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدق ..

ج - لا يمكن أن يرضى رسول الإسلام أن يسأل قوماً حرفوا كتابهم .. ولا يمكن أن يعتمد الكتاب المقدس كمرجع ويقول إنهم أكثر خبرة لأنهم يقرأون الكتاب من قبلنا .. وهم لا يتحدثون حديثاً أو يجيبوا سؤالاً إلا إستناداً على قول ورأي الكتاب المقدس .. وليست هناك حجة لدى من يدعون تحريف الإنجيل .

د - القرآن أوصى أن ينتفع أهل الكتاب بالكتاب وأن يستفيدوا بتعاليمه وإنتقد الذين يحفظون الكلام دون أن يعملوا به وقال (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) « سورة الجمعة الآية ٥ » وهذا إنتقاد للذين تعبوا من حمل الأسفار دون أن ينتفعوا بها ومثلهم بالحمار لأن الحمار إذا حمل أسفارا لا يفهم أما أنه يتعرض لها بتحريف أو تغيير فهذا ما لا يستطيعه .

هـ - طالب القرآن زعماء اليهود أن يرجعوا الى التوراة وقال : (قل فأتوا

بالتوراة فأتلوها إن كنتم صادقين) « سورة آل عمران الآية ٩٣ » .. وكان هنا يحاججهم فيما يختص بالطعام (كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) والقرآن هنا يحاجج أهل إسرائيل بكتبهم ويبكتهم بتوراتهم ولا يمكن أن يصنع القرآن هذا .. ويطالب الإسترشاد بالتوراة وهي محرفة .

٣- إستمرارية الصدق :

وصدق الإنجيل قائم وسلامته من التحريف سارية المفعول .. وأحداثه هي صادقة بالأمس واليوم وغداً والى الأبد وذلك لما يلي :-

أ- هيمنة الله :

الله هو المهيمن والمسيطر على كلمته .. يقول القرآن (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) « سورة المائدة الآية ٤٨ » ، ويقول البيضاوي مهيمناً عليه رقيباً على سائر الكتب يحفظها من التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات .. والقول بهيمنة القرآن على التوراة والإنجيل دليل على أن الإسلام يعترف بأنهما قد حفظا ويحفظا سالمين لا تقدر أن تلعب بهما أيدي المحرفين لا من أمام ولا من خلف ولا من قبل ولا من بعد ..

ب- الله يحفظ كلامه :

الإنجيل منزل من الله بحسب كلام القرآن .. والله يحفظ ويحافظ على كلامه كما يقول القرآن (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) « سورة الحجر الآية ٩ » ويقول تفسير الجلالين هنا : إن الله يحفظ ما أنزله من التبديل والتحريف والزيادة والنقص .. على أن الذكر هنا يقصد به التوراة والإنجيل .

ج - لا تبديل ولا تغيير:

وفي القرآن أكثر من دليل على أن أحداً ومهماً أوتي من قوة لا يقدر أن يبدل كلام الله .. ففي « سورة الكهف الآية ٢٧ » (لا مبدل لكلماته) وفي « سورة يونس الآية ٦٤ » (لا تبديل لكلمات الله) وفي « سورة الأنعام الآية ٣٤ » (ولا مبدل لكلمات الله) وأيضاً « الأنعام الآية ١١٥ » (لا مبدل لكلماته) وفي « سورة الفتح الآية ٢٣ » (ولن تجد لسنة الله تبديلا) .. والكلام هنا واضح إن الكتاب منزل من الله وأنه لا أحد يقدر حتى أن يقول أنه محرف لأن هذا يمس إمكانيات الله في حماية كلماته .

الفصل الرابع

القرآن لم ينسخ الإنجيل

معنى النسخ :

تفيد كلمة نسخ معنى الإزالة كما تفيد معنى النقل .. وعندما يقال مثلاً : نسخت الشمس الظل فهذا يعني إزالة الظل . ونقول : نسخ الكتاب أي نقله عن كتاب آخر حرفاً بحرف .. ويعني إصطلاح النسخ أي رفع الحكم بعد ثبوته .. وقد أجاز المسلمون النسخ بينما رفضه اليهود ولهذا يرى بعض المسلمين أن الكتاب المقدس هو كتاب صحيح سليم لم يحرف ولكنه نسخ بالقرآن أي أن القرآن الغى دور الإنجيل . وهذا قول ينقصه الدليل ولا يقوم على إثباته برهان .. والقرآن لم ينسخ الإنجيل لأن هذا يتعارض مع حديث القرآن عن الانجيل بأنه كتاب منزل صادق .. وإن القرآن يصدق على مافي الإنجيل ولا ينسخه .. وأن الإنجيل هو المرجع الصادق للقرآن وللمسلمين ، ولقد ذكر الإنجيل أخبار السيد المسيح ولا يمكن أن يلغي خبراً من الأخبار لأن الخبر هو حدث قد وقع ولا يمكن للنسخ أن ينفي أمراً واقعاً أو ينقض مبدءاً طبيعياً فالسيد المسيح ما جاء لينقض بل ليكمل .

النسخ في القرآن :

يذكر القرآن الكريم أمر النسخ ولكن في القرآن نفسه .. فالقرآن لم ينسخ الكتاب المقدس ولكن النسخ يقع في القرآن فقط في إطاره وداخل أحاديثه ففي القرآن مثلاً (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) « سورة البقرة ٢١٩ » ويرى المسلمون أن هناك آية أخرى نسخت هذه الآية وهي (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فإجتنبوه لعلكم تفلحون) « سورة المائدة ٩٠» وهذا هو النسخ في القرآن وفي هذا النص بالذات التحريم الأول يتحدث عن المنافع ولكن النص الثاني يؤكد أنه ليست هناك منافع إنما هذا رجس من عمل الشيطان .. والنسخ في القرآن ثلاثة أنواع :

١- نوع ينسخ تلاوة وحكماً كقول عائشة : كان فيما نزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس رضعات معلومات .

٢- نوع ينسخ تلاوة لا حكماً كآية (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما آلبته نكالاً من الله والله عزيز حكيم) .

٣- نوع ينسخ حكما لا تلاوة كآية (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) فقد قيل إنها منسوخة بآية (يوصيكم الله في أولادكم) . وهذا عين ما يتم في نص (أينما تولوا فهتم وجه الله) وقد نسخت بالآية (فول وجهك شطر المسجد الحرام) .

الكتاب المقدس غير منسوخ :

النسخ أمر خاص بالقرآن وله حدود معينة وظروف معينة أما الكتاب المقدس فهو كتاب غير منسوخ فلا يوجد نص واحد لا في القرآن ولا في الأحاديث يشير الى هذا بقليل أو كثير هذا عدا تصريح القرآن بوجوب إعتماد الكتاب المقدس ، كما أن للنسخ حدود حددها علـــماء الإسلام ، وهذه أدلة عدم نسخ القرآن للإنجيل :

١- لم ترد في القرآن أي آيات تقول أن ينسخ الكتاب المقدس ، ولكن ما ورد في القرآن من آيات النسخ إنما قصد به القرآن ومن ذلك قوله في سورة الرعد « الآية ٣٩» (يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) .. وقوله في سورة البقرة « الآية ١٠٦» (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) ويرى مفسرو القرآن الكريم أن المقصود بهذا النسخ هو القرآن ويرى الرازي أن النص الأخير كان رداً على اليهود الذين طعنوا في الإسلام بقولهم : ألا ترون محمداً يأمر أتباعه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه .. ومن آيات النسخ قوله في سورة النحل « الآية ١٠١» (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون) ويفسر الرازي هذا النص بأنه كانت إذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية أكثر ليناً منها قال كفار قريش إن محمداً يسخر بأصحابه .. اليوم يأمر وغداً ينهى وأنه لا يقول هذا إلا من عند نفسه أو إنه مفتر كذاب وهم لا يعلمون فائدة النسخ . وقد أكد الإمام جلال الدين السيوطي أن النسخ هو ميزة خص الله بها الإسلام فقط في قوله : إن النسخ مما خص الله به هذه الأمة وواقع النسخ في عدة أمور منها تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وتحليل النساء في الصوم والصلاة على المنافقين .

٢- لم يرد في الأحاديث شئ عن نسخ التوراة والإنجيل لا بالقرآن ولا بغير القرآن .. وقال السيوطي أنه لا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين بل ولا إجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح لأن النسخ يتضمن رفع حكم وأثبات حكم

والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والإجتهاد .

٣- شهد القرآن بأن الكتاب المقدس جاء مصدقاً لما فيه .. ومهيمناً عليه .. بل وإعتمد القرآن الكتاب المقدس كمرجع علمي والهي .

٤- حدد علماء الإسلام حدود النسخ وعرفوه بما يبطل الزعم بأن القرآن ناسخ للتوراة والإنجيل فقد قالوا بما يشبه الإجماع أن النسخ لا يقع إلا في مواضع معينة فهو لا يقع إلا في الأمر والنهي ولو بلفظ الخبر أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد .. فالخبر لا ينسخ .

٥- والقرآن لا يجيز النسخ فقط في نصوصه إنما أيضاً يجيز النسيان : فالقرآن الكريم لم ينزل الى البشر مكتوباً إنما بحسب رأي الإسلام فإن جبريل كان يأتي حاملاً نصوص القرآن الكريم الى الرسول الكريم .. وكان على الرسول البلاغ فكان الناس يحفظون نصوص القرآن في صدورهم أو عن ظهر قلب كما يقولون والإنسان كثير النسيان ولكن القرآن تحدث عن النسيان كأمر الهي حيث يروى أنهم كانوا يقرأون السورة فيصبحون وقد نسوها ..

وقد تعني كلمة ننسها نتركها وتصبح الآية هنا منسوخة في الحكم ولكنها غير منسوخة في التلاوة ، ويفسر البيضاوي الأمر بأن الآيات التي تنسخ والآيات التي تنسى يأتي الله بمثلها أو بما هو أفضل منها والنص هنا يجيز النسخ كما يجيز النسيان .. ويعتبر النسخ أمر الهي لمن هو على كل شئ قدير ويعني النسيان أيضاً تأخير الآية من قدومها من اللوح المحفوظ والنسيان أيضاً إذا كان من الله فهو يعني أن الله يمحوها من القلب ويأتي بخير منها بما هو أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر كما يرى الذين تحدثوا عن الساعة من علماء المسلمين أنه من علامات الساعة أن يرفع القرآن من الصدور والسطور بما يعني أن حفظة القرآن ينسون . وأن كتب القرآن تصير صفحات بيضاء كعلامة نهاية لهذا العالم .

٦- إن القول بأن القرآن نسخ التوراة والإنجيل لا يتفق إطلاقاً مع ما يقوله القرآن بأن التنزيل واحد في الثلاثة وأن الديان واحد في الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام وفي هذا يقول القرآن الكريم :

(نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل .. من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) « سورة آل عمران الآية ٣ - ٤ »

(وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهديً وموعظة للمتقين) « سورة المائدة الآية ٤٦ »

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين) « سورة الشورى الآية ١٣ »

٧- إن القول بأن القرآن نسخ الإنجيل يتعارض مع إعلان القرآن بإستقلال كل أمة في شرعها حيث يقول القرآن (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) « سورة المائدة الآية ٤٨ » (ولكل وجهة هو موليها) « سورة البقرة الآية ١٤٨ » ، ويلاحظ أن هذا النص قيل عندما فارق محمد الرسول قبلة أهل الكتاب وقال البيضاوي أن هذا يعني أن لكل أمة قبلة مستقلة فلا تنسخ قبلة قبلة هي عنوان الدين .

٨-تتعارض فكرة النسخ مع إعلان القرآن أنه لا يفرق بين كتب الله ورسله « البقرة ١٣٦ » « آل عمران ٨٥ » حيث تكررت كلمة لا نفرق بين أحداً منهم .

٩- تتعارض فكرة النسخ مع قيام القرآن وبحث أهل الكتاب الإحتكام بالتوراة والإنجيل (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأؤلئك هم الفاسقون) « سورة المائدة الآية ٤٧ » ولا يمكن أن يحيل القرآن أهل الكتاب الى كتاب منسوخ .

الفصل الخامس

القرآن الكريم ضد الكافرين بالكتاب المقدس

تأكيد التنزيل :

أكد القرآن أن الكتاب المقدس منزل من الله وقد ناقشنا النصوص العديدة التي تؤكد التنزيل وتؤكد أن الكتاب المقدس موحى به من الله وله مكانته السامية وصفاته المجيدة وألقابه المقدسة التي لقب بها من القرآن نفسه .. ولقد ورد تعبير مصدقاً لما بين يديه سبعة مرات في القرآن الكريم كما ورد تعبير مصدقاً لما معكم أربعة مرات وهذا يعني أن القرآن الكريم تحدث إحدى عشر مرة عن صدق الكتاب المقدس وهذا تأكيد قاطع يعبر عن رأي القرآن في الكتاب .. ولقد وقف القرآن الكريم موقفاً ممتازاً مع صدق الكتاب .. ووقف موقفاً جريئاً مع الكافرين بالكتاب المقدس .. وحكم بضلالة غير المؤمنين بالكتاب .. وحذر من الكفر بجزء من الكتاب المقدس .. ودعى الى العمل بالكتاب .. وأدان الذين لا يعملون به ووصفهم بأنهم الفاسقون والآن الى أدلة الإحترام للكتاب وأدلة التحريم لمن لا يحترم الكتاب ..

أدلة الإحترام :

١- القرآن ينقل شرع الكتاب :

أطلق القرآن على نفسه أنه له مهمة محددة وهي نقل شرع الكتاب المقدس بلسان عربي مبين وقال عن الرسول الكريم (إنه رسول مبين) وهدف القرآن هو توضيح ما في الكتاب المقدس للعرب وهذه بعض النصوص :-

(يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم) « النساء الآية ٢٦ »

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) « الشورى الآية ١٣ »

(لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) « آل عمران الآية ١٦٤ » ويقصد بالكتاب والحكمة الإنجيل ، حيث يذكر في نصين آخرين نفس هذا المعنى والنصين أولهما (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) « آل عمران الآية ٤٨ » والثاني (ولما

جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) « الزخرف الآية ٦٣ » .

(وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزّل اليهم) « النحل الآية ٤٤ »

٢- الكتاب المقدس هو إمام القرآن :

والإمام هو الشخص الذي يقف في المقدمة ويقول القرآن : (ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة) « هود الآية ١٧ »

(ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) « الأحقاف الآية ١٢ »

٣- القرآن يرفع الشك عن الكتاب :

(ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل) « السجدة الآية ٢٣ »

٤- الشرع واحد في الكتاب المقدس والقرآن الكريم :

حيث يقول (إن الله إشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن) « التوبة الآية ١١١ »

٥- القرآن يدعو المؤمنين لدراسة الكتاب المقدس :

(ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شئ وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) « الأنعام الآية ١٥٤ » (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين) « الأنعام الآية ١٥٦» ، وأوضح أن الطائفتين هما اليهود والنصارى .

٦- القرآن يدعوا المسلمين للإيمان بالكتاب المقدس :

ويعتبر من يكفر بالكتاب قد ضلّ ضلالاً مبيناً ويرى أن لا ينبغي التفريق ما بين الكتاب ولا بين الأنبياء .. (يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) « النساء الآية ١٣٦ »

(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وآلهنا وآلهكم واحد ونحن له مسلمون) «

العنكبوت الآية ٤٦ »

(قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) « آل عمران الآية ٨٤ »

(قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) « البقرة الآية ١٣٦ » (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) « البقرة الآية ٢٨٥ »

٧- القرآن يمتدح الذين يؤمنون بالكتاب المقدس ويعتبرهم على هدى :

ويعتبرهم أهل الفلاح المصلحين حيث يقول : (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) « البقرة الآيات من ٤ - ٥ »

٨- القرآن يعد بالجزاء العظيم للمؤمنين بالكتاب المقدس :

ويعتبرهم راسخون في العلم حيث يقول (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيما) « النساء الآية ١٦٢ »

أدلة التحريم :

إن من لا يحترم الكتاب المقدس يعد في نظر القرآن الكريم قد دخل الى دائرة التحريم والكفر والضلال المبين بل يكون من الفاسقين وعندما لا يعمل بما في الكتاب المقدس يكون مثله مثل الحمار الذي يحمل أسفارا ولا يدرك قيمتها ومعناها .. (مثل الذين حُملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل آسفارا) « الجمعة ٥ » .. وهذه بعض النصوص التي تحمل أدلة التحريم :-

١- القرآن يحكم بضلال غير المؤمنين بالكتاب المقدس :

حيث يقول (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على

رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) « النساء الآية ١٣٦ »

٢- القرآن يرفض ويحذر من الكفر بجزء من الكتاب المقدس :

فالكتاب كله موحى به من الله نافع للتعليم والتوبيخ فالوحي الآلهي يجعل كل جزء في الكتاب المقدس وكل كلمة فيه كلمة مقدسة نافذة المفعول .. وكل من يأخذ جزءاً من الكتاب ويرفض جزءاً آخر هو من أهل الخزي والعذاب في اليوم الآخر ..

والقرآن يرفض أيضاً ليس الذين يقبلون جزءاً ويرفضون جزءاً من الكتاب فقط إنما الذين يكفرون ببعض الأنبياء ويقبلون بعضهم دون البعض الآخر لأنه يتبنى فكرة المساواة بين الأنبياء وهنا يقول القرآن (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) « البقرة ٨٥ »

(إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا .. أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا .. والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً) « النساء ١٥٠ - ١٥٢»

٣- القرآن يدين الذين لا يعملون بالكتاب المقدس :

لقد شدد القرآن على مكانة الكتاب المقدس وإندهش عندما طلب المسلمون أن يكون القرآن هو المرجع في أحكام المسيحيين وتعجب قائلاً .. (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) « سورة المائدة الآية ٤٣ » كما قال (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) « سورة المائدة الآية ٤٧ »

صعوبة التحريف :

١- وتهمة التحريف تأتي صعوبتها من أنه لا يمكن حتى ولو إفترضنا أن يحرف الكتاب لا من اليهود ولا من المسيحيين لأن علماء الوثنية كانوا لهما بالمرصاد وكان

للوثنية علماء وفلاسفة ومفكرين ومكاتب ورجال دين ومؤلفات وطقوس وكان الكتاب المقدس خصماً للوثنية ولهذا حاربته الوثنية .

٢- ولو كان الكتاب محرفاً لإكتشف علماء الوثنية هذا وما سكتوا عن الكلام عنه .. ولا يمكن أن يتم التحريف دون إتفاق بين اليهودية والمسيحية وهذا لم يحدث .. فلقد بدأت المسيحية في رحاب اليهودية كمذهب تحت مظلتها ولكن اليهود سرعان ما قلبوا للمسيحية ظهر المجن وحاربوها حرباً ضروساً وأودعوا رسل المسيحية السجن وعندما أخرجوهم كتبوهم تعهدات لكي لا يبشروا بالمسيحية وأعتبر اليهود أن المسيحية ضد اليهودية لأنها تنقض العوائد القديمة وهنا يصبح من الصعوبة بمكان إتفاق اليهود مع المسيحيون لتحريف الكتاب .

٣- لم يقم اليهود بمفردهم بتحريف الكتاب المقدس لأن كتب اليهود جزء من كتب المسيحيين والخلافات بينهما على أشدها .. هذا عدا وجود العديد من الطوائف اليهودية المتباينة والمتصارعة .. وكان الكتاب منسوخاً وكان كتبة الأسفار المقدسة ملتزمون بقواعد صارمة في النسخ .. ولو كان اليهود في إمكانهم أن يحذفوا لحذفوا النصوص التي تتحدث عن الويلات لليهود والتي تدين أعمالهم والنصوص التي تتحدث عن صفات ونقائص الملوك والأنبياء اليهود .. كما أن أسفار العهد القديم هي وحدة مترابطة يصعب إجتياز صفوفها ويستحيل إختراق وحدتها فلقد دونت خلال قرنين ونصف من الزمان ودوّن الأسفار أربعون كاتباً من عصور مختلفة ومن ثقافات وبيئات متباينة ولكن الوحدة عجيبة وقوية .

٤- المسيحيون أيضاً لم يقوموا بالتحريف فهذا أبداً ليس من مصلحتهم فالكتاب المقدس كان موجوداً بين أيدي اليهود وغير اليهود وكانت الصراعات بين هذه الأديان متعددة .

في الأيام الأولى للمسيحية نشأت العديد من الهرطقات والبدع مما يجعل الإتفاق على التحريف أمراً مستحيلاً .. كما أن التوافق بين العهد القديم والعهد الجديد توافقاً واضحاً .. فقد أكد العهد الجديد أهمية العهد القديم لأن المسيحية كانت في بطن اليهودية نبؤات ورموز ودعوات مقدسة لأنبياء العهد القديم ..

ولقد مات نفر ليس بقليل من المسيحيين شهداء للإيمان فهل يكون الإستشهاد من أجل إيمان محرف ؟! ولقد إنتشرت المسيحية بواسطة الرسل في مواجهة مع

تعصب اليهود وعنف الرومان وفلسفة اليونان ولولا تماسك المؤمنين وحبهم لكتابهم المقدس لفقدوا مكانهم كما أن الكتاب المقدس لو كان محرفاً من المسيحيين لما بقيت فيه النصوص التي تحث على التسامح والإحتمال والنصوص التي تسجل الإهانات الموجهة للسيد المسيح والنصوص التي تتحدث عن أمور تفوق إدراك العقل البشري هذا عدا الويلات التي ذكرها سفر الرؤيا لمن يزيد أو ينقص أو يحذف في الكتاب المقدس .

٥- ويؤكد صدق الإنجيل أدلة أخرى من التاريخ ومن الآثار ومن الناحية العقلية ومن الناحية الموضوعية ومن الناحية الدينية .

أ/ من الناحية التاريخية : لا نرى إعتراضاً من معاصري السيد المسيح ولا خلفاؤهم عما ورد في الأناجيل من اليهود ولا من الوثنيين بل لقد إعتنق مشاهير الفلاسفة الإيمان المسيحي بعد بحث ومناقشة ولقد نشر الإنجيل كتابه دون تنقيح وترجم الى لغات متعددة وكان مكتوباً على ورق البردي أو جدد الغزل ولم تحرق النسخ الأصلية للإنجيل سعياً وراء نص واحد .

ب/ من الناحية الأثرية : يوجد الآن نسخ من التوراة والإنجيل يرجع تاريخها الى أوائل القرن الثاني وما بعده فهناك ست نسخ كاملة هي النسخة الأخميمية والسيتائية والفاتيكانية والأسكندرانية الآفرايمية وهي نسخ عاصرها الآباء وكتبوا منها وتوجد جداول لمحتويات الكتاب المقدس يرجع تاريخها الى القرن الثالث ويوجد كتب دينية بها الكثير من الإقتباسات ترجع الى القرن الأول .

ج/ أما عن سلامة الإنجيل من الناحية العقلية : فلم يخطر ببال أحد أن يقوم بالتحريف لأنه أمر يتم من خلال نية شريرة ولأن بقاء الآيات التي تتعارض في ظاهرها مع عظمة المسيح دليل عدم التحريف كما أن بقاء الآيات التي تتعارض مع غرائز البشر وميولهم دليل الصدق .

د/ ومن الناحية الموضوعية : فعندما تقارن بين العقائد والعادات التي كانت منتشرة بين اليهود والوثنيين مع ما ذكره الإنجيل نجد تطابقاً تاماً .

هـ/ وعن سلامة الإنجيل من الناحية الدينية : نرى أن الكتاب نفسه يحرم كل شخص من محاولة الإزادة أو النقص على ما في الكتب كما أن هناك رموز ونبؤات في العهد القديم تشير الى الكثير مما جاء في الإنجيل لأن الإنجيل كان موجودا في نبؤات ورموز العهد القديم وقد تمت هذه النبؤات بكل ما فيها ..

وكان المسيحيون يحترمون كتابهم ويموتون من أجله شهداء وفي هذا يقول العقاد أن من بدع أهل القرن العشرين سهولة الإتهام كلما نظروا في تاريخ الأقدمين .. يروى في كتابه « عبقرية المسيح » أن إتهام الرسل بالكذب إتهام يأباه التاريخ الصحيح لأنه هناك فرق بين مؤمن يموت تصديقاً لعقيدته ومحتال يدعو الناس الى الأكاذيب .. وأكد العقاد أن الرسل لم يكذبوا فيما رووه وفيما قالوا إنهم سمعوه أو سمعوه ممن رآه .

الفصل السادس

تفنيد إدعاءات تحريف الإنجيل

إدعاء كاذب :

لا يخفى علينا أن إدعاء تحريف الإنجيل هو إدعاء كاذب لأنه لا يملك الأدلة ولا البينة .. لكن الذين يدّعون التحريف لديهم بعض الأسباب لزم أن نبحثها سبباً سبباً .. وهم يقدمون أسبابا تقول بوجود نصوص قرآنية خاصة بالتحريف .. كما يسألون لماذا أربعة أناجيل ويتحدثون عن الإختلاف بين وجهات نظر الإسلام والمسيحية حول طبيعة المسيح وحوادث الصلب والدفن والقيامة والصعود .. وهم يعتقدون أيضاً أن المسيحيين أخفوا اسم محمد من الكتاب المقدس .. وأن القرآن في مجيئه بعد الكتاب إنما قام بنسخ الكتاب والغاء أهميته كما يتهم أهل التحريف المسيحية بالشرك ويعتمدون على خرافة إنجيل برنابا كدليل على التحريف وسوف نبحث معاً في هذه الإدعاءات التي يدعيها الذين يدعون تحريف الإنجيل واحدة واحدة .

النصوص القرآنية الخاصة بالتحريف :

لقد درسنا أن نصوص القرآن تشهد شهادة لا تقبل الشك بأن الكتاب المقدس كتاب صادق وأنه مرجع للإسلام وإنه إمام لهم وأنه مركز إفتاء .. ويطالب المسلمون بقراءة الكتاب المقدس . ولو كانت هناك نصوص أخرى تتجه نحو تحريف الكتاب لكان معنى هذا تعارض النصوص مع بعضها البعض ولكن يمكننا القول بأن السور المدنية التي قيلت أثناء الصراع بين الرسول الكريم واليهود تضمنت نصوصاً إتهمت اليهود بتهم ثلاث وهي كتمان الحق . واللي باللسان ، والتحريف .. ونناقش معاً هذه الإتهامات الثلاث :-

١- كتمان الحق :

لقد دار صراع بين اليهود وأتباع الرسول وفي سورة البقرة وآل عمران إنعكاس لهذا الصراع وهذه بعض النصوص :-

أ/ يا بني إسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فأرهبون .. وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فأتقون .. ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق

وأنتم تعلمون .. وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وأركعوا مع الراكعين .. أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) « البقرة ٤٠ - ٤٤ »

وهذا النص واضح جداً أنه لا يتحدث عن التحريف إنما يتحدث عن غياب القدوة لأن أقرب الناس الى الوسيلة أثبتوا أنهم أبعد الناس عن الغاية .. والذي يعرف الوصية ولا يحياها لا يعقل كلام الله .. وهذا الحديث موجه لليهود وليس للمسيحية كما أنه حديث يؤكد سلامة النص في التوراة وهو فقط ينتقد التطبيق لأنه ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت الله إنما الذي يفعل إرادة الأب السماوي .. الغياب هنا هو غياب التنفيذ غياب الحياة العملية والتي هي ترجمة فورية لكلام الله .. والتهمة هي تلبيس الحق بالباطل وكتمان الحق وفي هذا يقول البيضاوي لا تخلطوا الحق المنزل عليكم بالباطل الذي تخترعونه وتكتمونه حتى لا يميز بينها .. ولا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب خلط الباطل الذي تكتمونه في خلاله أو تذكرونه في تأويله .

ب/ (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) « سورة البقرة الآية ١٠١ » ويلاحظ أن التهمة هنا موجهة الى فريق من اليهود وليس كل البشر يقبلون كلام الله .

ج/ (أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل ءأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون) « سورة البقرة الآية ١٤٠ » .. وهذا النص يعبر عن الصراع الذي كان بين اليهودية والإسلام فقد دار نقاش قال فيه اليهود كونوا يهودا تهتدوا فرد عليهم القرآن بأن الهدى في الإسلام فرد اليهود بأن الأنبياء كانوا يهوداً « البقرة ١٣٥-١٤٠ » وكان رد القرآن مستشهداً بالتوراة بأن الدين اليهودي بدأ بموسى وأن من سبقوه من الآباء والأسباط كانوا قبل اليهودية ،، وواضح هنا أن النص يستشهد بالتوراة وهذا دليل إيمان القرآن بسلامة التوراة .. وأن الإتهام هنا كتمان الشهادة أي كتمان التفسير السليم .

د/ (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) والتهمة هنا ليست متصلة بالحق الذي في التوراة فهو قائم ومدون ومكتوب .. وهم يعرفون التوراة معرفة جيدة .. ويمكن كتمان الحق هو كتمان المعنى بسبب فساد التفسير .

هـ / (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم) « سورة البقرة الآية ١٧٤ » .. والكتمان هنا أيضاً هو في التفسير والتطبيق وليس في نصاً كتابياً هذا أمر محال ..

و/ (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) « سورة آل عمران الآية ٧٠ » والكفر هنا لا يعني إخفاء شئ بقدر ما يعني آن الكتاب موجود ولكن هناك من يكفر به .. والله موجود وهناك من يكفر به .. وما قلناه في تفسير نصوص القرآن السابقة وغيرها إنما يؤكد أن النص قائم ولكن العيب في التطبيق وعلى غرار هذا تراجع كل الآيات القرآنية التي تتحدث عن الكتمان ومن بينها (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون) « سورة آل عمران الآية ١٨٧ »

٢- اللي بالسان :

واللي باللسان يعني القراءة المغلوطة لتحريف الكلام من مواضعه وقد وردت هذه التهمة في معنيين يفسر كل واحد منهما الآخر .. (وإن منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكـــذب وهم يعلمون) « سورة آل عمران الآية ٧٨ » ،

والنص الثاني يقول (من الذين هادوا يحرفون الكلام عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وأسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعنا في الدين) « سورة النساء الآية ٤٦ » .. ولا يمكن أن يكون اللي باللسان إلا في التأويل لأن لا تبديل لكلمات الله ولأن الكتاب بلغت أحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور في الشرق والغرب .. لكن اللي هو صرف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل كما يفعل أهل البدع في إستعمال نصوص معينة وتأويلها تأويلاً باطلاً ولكن الذي في أيدينا هو الأصل من الكتاب ولا شئ غير الأصل .

٣- التحريف :

هناك ثلاث نصوص تتحدث عن التحريف وهي :-

أ/ (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقاً منهم يسمعون كلام الله ثم

يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) « سورة البقرة الآية ٧٥ » .. والتحريف هنا في السماع وليس في النص ..

ب/ (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل) « المائدة ١٢ » (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلام عن مواضعه) « سورة المائدة الآية ١٣ » وهذا أمر طبيعي فالتوراة نفسها فيها أقوال عن الله قسى قلوب البشر أو سمح بقساوة قلوبهم لئلا يرجعوا فيشفيهم فالقسوة نحو كلام الله ليست غريبة في تاريخ التعامل مع كلمة الله .. والتهمة هنا موجهة نحو بني إسرائيل يقول بولس الرسول أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل « رومية ١١:٢٥ » ووصف أول شهداء المسيحية اليهود بقساوة القلب وقال لهم : يا قساة الرقاب « أعمال ٧ :٥١» في المزمور يقول داؤد (إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم) « مزمور ٩٥:٨» .

ج/ (ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلام من بعد مواضعه) « سورة المائدة الآية ٤١ »

(فإن جاءوك فأحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فأحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين .. وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) « سورة المائدة ٤٢-٤٣ » .. ويأتي المفسرون برواية عن أن شريفاً من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين ورغب اليهود في عدم رجمهما فأرسلوهما مع بعض الناس الى بني قريظة ليسألوا الرسول الكريم وقالوا لهم : أن أمر الرسول بالرجم ولكن الله رفض للرسول التدخل وقال كيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله .. ؟!

ملاحظات في التحريف :

واضح أن النصوص التي وردت عن التحريف سواء كان بالكتمان أو اللي باللسان أو بالكلمة تحريف نفسها كل هذه النصوص يلاحظ فها ما يلي : -

١- النصوص موجهة لليهود فقط وليس للمسيحيين وتخص التوراة وليس الإنجيل ..

٢- التحريف يخص التطبيق أو التفسير أو التأويل ولا يمس النصوص الأصلية

التي يصعب تغييرها ولكن يسهل تفسيرها على هوى الناس لتحقيق أهداف خاصة فالتحريف في المعنى وليس في النص وهنا يقول أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام الجزء الأول صفحة ٣٥٨ أن أئمة الحديث والفقه والكلام ذهبوا الى أن التبديل وقع في التأويل وليس في التنزيل وحجة هؤلاء أن التوراة طبقت مشارق الأرض ومغاربها ولا يعلم عدد نسخها إلا الله ومن الممتنع أن يقع التواطؤ علي التغيير في جميع تلك النسخ بحيث لا يبقى في الأرض نسخة إلا مبدلة مغيرة والتغيير على منهاج واحد وهذا ما يحيله العقل ويشهد ببطلانه .

٣- الإتهام موجه ضد فريق من اليهود وليس الى كل اليهود ولا تملك الفرق والطوائف المتعددة أن تحرف التوراة فالإجماع عندهم على وحدة النص والإختلاف في التفسير وهذا أمر موجود في كل الأديان .

٤- تتحصر تهمة التحريف في موضوعين هما ما ذكرته التوراة عن النبي الآتي الذي تنبأ عنه موسى فلقد قرأوها النبي الأمي والموضوع الثاني تأويل اليهود للرجم بالجلد .

٥- فهم هذه النصوص على أنه حدث تحريف في نصوص الكتاب المقدس لا يتفق إطلاقاً مع مكانة الكتاب المقدس في القرآن فهي مكانة سامية تتلخص في :-

أ/ القرآن يحيل الرسول الكريم لأهل الكتاب عند الشك في صحة القرآن (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فأسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) « سورة يونس الآية ٩٤ »

ب/ القرآن يرضى لليهود حكم التوراة وليس حكم الرسول (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) « سورة المائدة الآية ٤٣ » .

ج/ القرآن يشهد للمسيحيين أنهم يتلون الكتاب حق تلاوته (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) « سورة البقرة الآية ١٢١ » .

د/ القرآن يشهد بحرص المسيحيين على كتابهم .. (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) « سورة آل عمران الآية ١١٣ »

هـ / القـرآن الكـريم يحـيل المسلـمين الى المسيحـيين لفهم الأمـور الهامـة (فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) « سورة النحل آية ٤٣ »

و/ القرآن يمتدح المسيحيين (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) « سورة المائدة الآية ٨٢ »

ز/ القرآن يبيح للمسلمين طعام اليهود والمسيحيين دون المشركين .

ح/ القرآن يبيح للمسلمين الزواج من اليهوديات والمسيحيات ويرفض الزواج من المشركات .

الباب الثالث

التوحيد في المسيحية والقرآن الكريم

الفصل الأول

خرافة إنجيل برنابا

إنجيل مزيف :

إن الذين يدعون أن الكتاب محرف إنما يرتكبون خطأ ضد الفكر وضد الدين وضد القران الكريم وهم لا يعلمون إلي أي منقلب ينقلبون .. فالمسيح هو الحق الذي فيه يمترون والكتاب هو كلمة الحق الذي فيه يشكون وآخر صيحة في عالم الاتهامات أن الكتاب لم يذكر إنجيل برنابا مع أن إنجيل برنابا قال كل من درسوه أنه إنجيل مزيف وأن برنابا نفسه برئ من هذا الاتهام فبرنابا لم يكن من تلاميذ السيد المسيح ولم يشهد أحداث المجيء الأول للسيد المسيح ولهذا لا يمكن أن يكتب عن شي لم يكن شاهداً له .. لأن برنابا دخل الإيمان المسيحي وهو في قبرص بعد السيد المسيح بتسعة أعوام (أعمال ٣٦:٤،٣٧) فلم يحضر الأحداث ولم يكن قريباً إليها لأنه عاش في قبرص بعيداً عن الأحداث .. لكن كاتب إنجيل برنابا أسنده إليه لكي يأخذ مكانته بين الأناجيل وهو ليس سوى إنجيل مزيف أو كتاب مزيف أدخل حديثاً خلسة إلى العالم لتشويه حقائق المسيحية ونشر آراء مضادة لها بهدف تحويل البسطاء عن عقائدهم .. وهذا الإنجيل كما سوف نرى مرفوض من المسلمين ومن المسيحيين .. ولقد قبله بعض المتعصبين لأنه يتحدث عن السيد المسيح مثل شخص عادي .. كما أنه يرى أن يسوع لم يصلب بل القي شبيهه على يهوذا الأسخريوطى فصلب بدله .. كما أن اسم هذا الكتاب المزيف يحمل على الشك لأنه مكتوب عليه الإنجيل الصحيح ليسوع المسمى المسيح وليس معقولاً أن كتاباً من الوحي الإلهي يكون عنوانه الإنجيل الصحيح .. كما آن عبارة المسمى المسيح تتسم بطابع جدلي هجومي .. والكتاب ليس قديماً لأنه من خلال أوراقه المكتوب عليها ترجع كتابته إلى العصور الوسطى وقد وجد مكتوباً باللغة الإيطالية وهذه اللغة غريبة على الأناجيل .. ولم يكتشف هذا الإنجيل إلا في سنة ١٧٠٩م أي أوائل القرن الثامن عشر ولم توجد عنه أي إشارة في كتابات الآباء الأقدمين .. ولقد ترجمه من الإنجليزية إلى العربية خليل سعادة ١٩٠٨م وتوجد طبعة عربية له طبعت سنة ١٩٥٨م في ٣٢٠ صفحة نشرها السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار .. وقال عنه مترجمه إنه مملؤ بالأخطاء الجسيمة الدينية والأدبية والعقلية والتاريخية والجغرافية وأخطاء ضد المسيحية وأخرى ضد

الإسـلام ومملؤ أيضـاً بالشتائم والتوبيخات وعبارات الحلف والدموع والبكاء وكثرة المتناقضات..

إكتشاف إنجيل برنابا :

أجـمع العلمـاء الـذين اكـتشـفـوا إنجـيل برنـابا ودرسـوه دراسـة دقـيـقـة على أن النسـخـة الأصليـة ظهـرت في أول الأمـر سنة ١٧٠٩م بـاللغـة الإيطاليـة عند رجل يدعى « كـرامـر » كان مسـتشـار الملك بروسيـا وبعد أن أهداه هذا الملك إلى الأمير أوجين سـافوي أودعت بمكتبة ڤينا سنة ١٨٣٨م ولاتزال مـحفوظة هناك إلى الآن .. كما اجمعوا أن الرسم الموجود على غـلاف هذه النسخـة هو من طراز عـربي .. وأن بالصـفحة الأولـى منها عبارات مكتوبة باللغة العـربية مثل « الله عظيم » إذا « أرديتم » « أدتم » من اللـه شيـئـاً أرديتم « أردتم » خـيـر الأشـيـاء .. كـمـا أنه تـوجد بهوامش النسخـة المذكورة عبارات بـاللغة العـربية بعضـها سـقيم التـركيب والبـعض الأخـر سليم ، ولما فـحص هؤلاء العلمـاء الورق المسـتخـدم في هـذه النسخة ودرسـوا الخط والأسلوب المكتوب بهـمـا إتضح أنه كـتب في القـرن السـادس عـشـر لا في القرن الثامن عشر الذي أكتشف فيه .. كما إتضح لهم أن النسخة المذكورة لم تكن مترجمة من اليونانيـة التي كتب بها إنجيل المسيح إنما مكتوبة باللهجة الإيطاليـة التي إنتشرت بعد عصر دانتي.

ويقول دكـتور جورج سـأل العلامـة الإنجليزي الذي ترجم القران أنه وجـد نسخة من هذا الكتـاب باللغـة الإسبـانيـة تكاد تكون معـاصـرة للنسـخـة الإيطاليـة كـتبـهـا شـخص إسمه مـصطفى العـرنجي يقول إنه تـرجمهـا عن النسخة الإيطاليـة.. وفي مقـدمـة النسـخـة الإسـبـانيـة يذكـر قصـة إنجيل بر نابا حيث يقـول إن راهبـاً يدعى فـرامـارينو هو الذي يقـف وراء هذا الإكـتشـاف الحزين حيث كـان هـذا الـراهب في زيارة البـابا سكسـتوس الخـامس بابا رومـا ١٥٨٥ فعثـر لديه مـصادفـة على كـتاب للقديس إيريناوس ينقض فيه تعاليم بولس الرسـول ويشير إلى كـتاب يدعي إنجيل بر نابا.. وإشـتـدت رغبـة الـراهب في الحـصـول على إنجيل بر نابا فصلى طالبـاً أن ينام البابا وأستجيبت صـلاته وغط البابا في نوم عميق فتسلل الراهب إلى المكتبة وعثـر على إنجيل بـرنابا وفي الحـال خبـأه في ردائه وأنتظر حتـى إستيـقظ البـابا فإستـأذن منه وانصرف .. وتقول القصة أن هذا الراهب قرأ الكتـاب فأعجب به وكـان سببـاً في إعتنـاقـه الإسـلام ومـا أظن أن الإسـلام بكل هيبتـه وجلاله وإتسـاع

رقعته وكثرة الناس فيه يقبل أن ينضم اليه راهب كذاب ، وليس الكذب هو العيب الوحيد فيه بل لقد كان فيه جملة عيوب أخرى ..

وقصة الإكتشاف الحزين هذه هي قصة وهمية ولا يمكن أن تكون حقيقية .. مايريناوس مؤلف مسيحي مشهور وكتاباته موجودة عندنا ولم يحدث إطلاقاً أن أشار إلى إنجيل برنابا أو أشار إلى عداء مع بولس الرسول كما تقول المقدمة.. وبرنابا الحقيقي هو رجل متجرد مؤمن ناسك باع ممتلكاته ووزعها على الفقراء إكراما للسيد المسيح الذي مات لأجله ولأجل غيره من الناس (أعمال ٤ :٣٦،٣٧) وهو الذي عرف بولس وقدمه لجماعة التلاميذ (أعمال ٩ :٢٧) ولقد سافر برنابا مع بولس ومع مرقس للمناداة بالإنجيل في رحلات تبشيرية.. هناك وفي شمال إيطاليا قداس يسمى قداس بر نابا على الطقس الميلاني نسبة إلى ميلانو لأنه هو الذي بشر هناك..

وقصة إكتشاف إنجيل برنابا بالمستوى الذي يقولونه هي قصة تفتقر إلى الحقيقة فليس من المعقول أن يكون البابا قد غط في نوم عميق والراهب في زيارته وليس من المعقول أن يسرق الراهب الكتاب كان من الممكن أن يستعيره أو يقرأه على دفعات وإذا كان الراهب لصاً فكيف استجاب الله صلاته وأوقع على البابا سباتاً عميقاً ليتمكن الراهب المذكور من القيام بالسرقة المزعومة وهل هذا يعني أن لا مانع عند الله أن يستجيب دعوات اللصوص لكي ينام الناس ويسرقوهم ..

الفرق بين النسختين :-

وعند مراجعة الترجمة الإنجليزية لكل النسختين وجد أن النسخة الإسبانية هي ترجمة حرفية للنسخة الإيطالية وليس هناك فرق سوى في أمرين :

أ- تقول النسخة الإيطالية أنه لما جاء يهوذا الخائن مع الجند الروماني ليسلم يسوع كان يسوع يصلي في البستان بجانب الغرفة التي ينام فيها التلاميذ .. فلما أحس بالجنود خاف ولما رأى الله الخطر المحدق به أرسل ملائكته الأربعة فحملوه من النافذة إلى السماء الثالثة ولما دخل يهوذا الغرفة غير الله منظره وصوته فصار نظير وشبه يسوع تماماً فلما استيقظ التلاميذ ورأوه لم يشكوا في أنه هو يسوع إلا بطرس وهذا يعني إن النسخة الإيطالية إستثنت بطرس بينما النسخة الأسبانية لم تستثنه .

ب - ذكـرت النسـخـة الإيطاليـة اسم أحـد الملائكة الأربع أنه « أوريل » ولكن النسخة الأسبانية قالت عزرائيل واسم عزرائيل أساساً لم يظهر إلا بعد الإسلام .

من هو الكاتب :-

١- إن كـاتب إنجـيل برنابا ليس برنابا لأن برنابا لم يكن مع الرسل ولأنه قبرصي ولأنه لا يعرف اللغة الإيطالية.

٢- الكتـاب يدل على أن الكاتب من أهالي غـرب أوروبا وبالذات من إسـبانيـا وليس مـن أهالي فلسطين والذي يؤكـد أنه ليس مـن أهـالي فلسطين جهله بتـاريخ وجغرافية فلسطين فهو يتحدث عن أن الناصرة وأورشليم هما ميناءان على البحر وأن المسيح هرب إلى دمشق واتخذها مركزاً للاجتماع مع تلاميذه مع أن الناصرة مـدينة في السهل وأورشليم مدينة على الجبل ودمشـق عاصمة سوريا ولا تقع في بلاد فلسطين التي عاش فيها المسيح .. كما أنه يقول إن يسوع ذهب مع تلاميذه إلى جـبل سيناء وقضى معهم أربعين يومـاً في الصـوم وطبعـاً سينـاء بعيـدة عن أورشليم والسيد لم يخرج خارج فلسطين ويتحدث الإنجيل المزيف عن أن الحقول والأودية في فلسطين تكون جميلة في فصل الصيف وهذا لا يحدث في فلسطين إنما يحدث فـي أوروبا .. كما ذكر أنه عندما ولد يسـوع كان بيلاطس واليـاً على اليهودية وحنـان وقيافا رئيسي كهنة وأن هيرودس كان يعبد الأوثان مع أنه كان أدومياً متهوداً يحضـر أعياد اليهود (لوقا ٢٣:٧) كما ذكر أن نينوي كانت على البحـر المتوسط حيث طرح يونان هناك بينما نينوى مدينة آشـورية على الضـفـة الشرقية من نهر دجلة على فم رافد صغير إسمه الخسر.

٣- الكاتب يجهل عادات فلسطين فهو يتحدث عن الخمر بأنه كان يوضع في براميل يمكن دحرجتها مع أن البراميل لم تكن في وقت السيد المسيح .. إنما كان يوضع الخـمـر في زقاق من الجلد.. وأن العسـاكـر يتـدربون على الفنون الحربيـة وقت السلم وهذا ليس مـألوفاً في فلسطين ولكنه فقط في غرب أوروبا من القرن العاشر فقط. وأنه كان في فلسطين ثلاثة جيوش بكل منها مائتين ألف جندي وأن الأمم كانوا يدخلون الهيكل لمناقشة الأمور الدينية وهذا كان ممنوعاً، فلم يكن من الممكن تكوين جيوش .. وكان اليهود يرفضون للأمم دخول الهيكل لأنهم ينجسونه كما تحدث عن أن لعاذر كان من الموالي الذين يتحكمون في أرضهم كيفما شاءوا وهذا لم يكن سـوى في نظام الإقطاع .. ووصف الإنجيل المزيف المبـارزات التي

تقوم بين العشاق وأن يهوذا الأسخريوطي عندما صرخ أنه ليس يسوع وضعوا عليه رداءاً أبيضاً والمبارزات هي فروسية والرداء الأبيض هو علامة الحداد وهذه العادات من أسبانيا وليست في فلسطين ..

٤- تحدث الكاتب عن أن السارق يعدم شنقاً والقاتل يقطع رأسه فأثبت بهذا أنه لا يعرف قوانين أهل فلسطين ، فهذه العقوبة كانت في غرب أوروبا أما في فلسطين فالسارق يرد خمسة أو أربعة أمثال ويقدم ذبيحة كفارية (خروج ٢٢ ، عدد ٣٥).

٥- قال الكاتب أن كهنة اليهود كانوا شغوفين بركوب الخيل غير راغبين في الحروب وكانوا يحبون المجد مثل الجمهوريين وكلها أمور ترجع إلى العصور الوسطى وإلى أوروبا فقط .

٦- إن الكاتب هو نفسه الذي إكتشف الكتاب وهو راهب إيطالي منحرف هو فرامارينو وهو معاصر للبابا سكتوس الخامس ، ولقد طمع الراهب في أن يكون كاردينالاً وعندما أسقطه البابا من قائمة الترقي في الرتب الكنسية بسبب سوء أخلاقه وميوله الشهوانية وتم توقيع الحرم عليه مما جعله في غيظة يعتنق الإسلام وعاشر الدراويش الصوفية المتجولين والمتشردين في إيطاليا من أهل الأندلس والمغرب وأراد أن يكيد للكنيسة المسيحية فلفق وزور هذا الكتاب وترجع قصة هذا الراهب إلى القرن السادس عشر.

الكاتب هو الراهب المعزول :-

ومما يدل على أن هذا الراهب هو الكاتب وأن الكتاب كتب في القرن السادس عشر ما يلي :-

١- الراهب ادعى أنه سرق الكتاب من خزانة البابا الروماني أثناء نومه والسارق كذاب لا يؤخذ بشهادته .

٢- التجليد من الطراز الشرقي الحديث .

٣- الورق على صفحاته ختم مرساة كان ختم الأُمة الإيطالية في القرن السادس عشر .

٤- لم يرد ذكره في قوائم الكتب المقدسة التي وضعها الآباء ولا في كتابات الآباء أي اقتباس منه.

٥- لم يرد ذكره في المجامع المقدسة وأقوال الآباء وسير القديسين.

٦- لا توجد طائفة مسيحية تعرف كتاباً بإسم إنجيل برنابا.

٧- لم يرد أي ذكر له في كتابات المسلمين .

٨- لغة الكتابة هي اللغة الإيطالية والكتاب المقدس كله باللغة العبرية أو اليونانية .. هذا عدا أن اللغة الإيطالية نفسها هي اللغة الحديثة وليس اللغة القديمة .. وحتى الإقتباسات التي من العهد القديم هي من الترجمة اللاتينية الحديثة وليست القديمة .

٩- وجود خلافات بين النسخة الإيطالية والأسبانية لهذا الكتاب.

١٠- ذكر هذا الكتاب أن برنابا هو أحد الأثني عشر وأنه أحب التلاميذ للمسيح وأكثر من حاوره وهذا خطاء لأن برنابا ليس من التلاميذ إنما هو يهودي المبدأ قبرصي الجنس آمن بالسيد بعد القيامة بتسع سنوات.

١١- يذكر الكثير من المهاترات والتخاريف العقلية والأدبية والتاريخية والعلمية التي لا تصدر عن رجل مثل برنابا وصفه الكتاب المقدس بأنه رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروح القدس والإيمان.

١٢- ينسب الكاتب للقديس برنابا قوله أن الكلب أفضل من الرجل غير المختون بينما من المعروف أن برنابا في الكتاب المقدس حضر مجمع أورشليم الذي أعفى الأُمم من الختان وطالبهم بالإيمان.

١٣- الكتاب ملئ بالخرافات ويصف إبراهيم خليل الله بالمكر ويشبه نفس الإنسان بالحذاء ويقول أن الكلب خلق من روح الله.

١٤- ذكر أن سنة اليوبيل كل مائة سنة بينما كانت كل خمسين سنة حتى عهد بونيفاس الثامن سنة ١٣٠٠ .

١٥- يذكر وحدات الموازين التي إستحدثها العثمانيون في القرن السادس عشر مثل الرطل والأقة .

١٦- الكاتب متأثر بالكوميديا الإلهية للشاعر دانتي .. كما أنه يستعين بأقوال أُوغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠) فكيف يقول إنه تلميذ السيد المسيح ويقتبس أقوال قديس في القرن الخامس بعد المسيح ..!؟ .

الفصل الثاني

إنجيل برنابا المرفوض من المسيحيين والمسلمين

مسيرة التاريخ :-

في فجر التاريخ الميلادي كان ميلاد السيد المسيح ، وفي النصف الاول من القرن الأول كانت الكرازة من السيد المسيح ومن بعده تلاميذ المسيح وشقت المسيحية طريقها وسط الجبال والتلال والوديان والسهول والمرتفعات والمنخفضات ودخلت الى كل برج عال واجتازت كل سور منيع حتى مغاير الصخور وحفائر التراب .. ولكن المسيحية رغم إنتشارها وقوتها تركت مناطق كثيرة دون أن تنفذ بنور تعاليمها الى هناك .. وكانت المسيحية قوية في بعض المناطق حتى صارت ممالك وأباطرة وإمبراطوريات وكانت ضعيفة في مناطق أخرى وعلى الأخص البوادي والصحاري مثل شبه الجزيرة العربية .. وتكونت ثقافة مسيحية عميقة الجذور تملك زمام الكلمات وتحكم السلوك والتصرفات .

وفي القرن السابع كان ظهور الإسلام الذي ظهر لكي يحارب الوثنية وتعدد الآلهة وسط عرب بدو لم يعرفوا عن الله سوى التعددية والتماثيل التي يصنعونها ويسجدون لها ، وعندما جاء الإسلام كان منفتحاً على المسيحية فلقد جاء لكي يشهد للمسيحية وتأثر بالثقافة المسيحية واعتمد العبادة على الطريقة المسيحية صوماً وصلاة وصدقات في زكاة .. فلقد صلى المسلمون في أول الإسلام سبع صلوات مثل المسيحيين ثم إختصروها الى خمس صلوات والأثنان الآخران إختياريان .. وعلى نفس طريقة صوم المسيحية صام المسلمون وهكذا إعتمد الإسلام أيضاً الحياة الإجتماعية من أسرة وميراث وزواج وتبني على الطريقة المسيحية مع بعض التعديلات فلقد كانت المسيحية قد نشرت ثقافتها في كيان الإنسان والثقافة باقية حتى ولو في رواسب ومشتقات ولا يمكن لثقافة أن تلغي ثقافة اخرى ومنذ ظهور الإسلام وحتى الان مر علينا ثلاثة عشر قرنا .. وظلت المسيحية باقية في معاقلها كما هي وفي كيان الإسلام تأخذ منه وتعطي له لأن الثقافة أخذ وعطاء وتبادل سرياً وعلنياً إختيارياً وإجباريا .

صفاء المسيحية وصدقها :-

وجاء الإسلام مصدقاً على المسيحية مقراً بما فيها من تقوى .. ومن طموح

نحو الآخرة السعيدة .. ولم يكفر القرآن بالمسيحية ولم يكفر المسيحيين بل ظل الإسلام أميناً في علاقته مع المسيحية يؤكد دوماً ما فيها من صفاء ونقاء وقداسة وتقوى .. وركوع وخشوع وخضوع لله.. ووحدانية الواحد..

ورغم الإختلافات بين المسيحية والإسلام في الكثير من المفاهيم لم يحدث يوما أن إعترض الإسلام على ما في المسيحية من مفاهيم لاهوتية .. وفجأة وبدون تاريخ محدد ظهر إتهام للكتاب المقدس بأن الأيادي لعبت به وحرفته .. والتهمة دسيسة شيطانية ليس لها أي أدلة ولا بينات ولقد فندنا الأدلة التي ذكرها المغرضون الذين أرادوا أن يشوهوا تاريخ العلاقة الحميمة الطاهرة بين الدينين .. ومن بين أدلة إدعاء التحريف ظهور إنجيل برنابا وهو إنجيل مزور هو فكاهة عصرية في معرض الدين وهو كتاب مختلق أثار الكثير من المشاعر المتباينة والإعتراضات المنطقية .. وقبل هذا الكتاب أصحاب العرض والذين لايعرفون الى أي منقلب ينقلبون .. ورفض هذا الكتاب المسلمون بدءاً بعلمائهم والمسيحيون وكل رجال اللاهوت فيهم لأنه كتاب حوى من الأخطاء والمبالغات ما يجعله مرفوضاً على مستوى الكل بل جعل كثيرون يشمئزون من منطق هذا الكتاب ويشعرون أنه كان مضيعة للوقت ولكنه ومثل كل عمل شيطاني ترك شرخاً في العلاقات بين الدينين .. ولم يفكر أحداً في تعميم هذا الكتاب لأنه لو قرأه شخص واحد اشترى نسخة منه لأحجم الثاني عن شراء النسخة الثانية فهو كتاب لم يحترم الإسلام ولم يحترم المسيحية ولم يحترم أيضاً عقل البشر الذي هو هبة الهية من عند الله .. وسوف نبدأ هنا بذكر بعض هذه الأخطاء والمبالغات ثم نأتي برفض المسيحيين للكتاب ثم رفض المسلمون لهذا الكتاب الذي هو بدعة في عصرنا هذا .. والذي هو كتاب حديث لم يذكره أحد قبل العصور الوسطى فلقد ظهر فقط مع ظلمات العصور الوسطى لفكر مظلم يبتعد عن المنطق .. والذي ترجم الكتاب هو خليل سعادة اللبناني الأصل والذي نشر الكتاب هو رشيد رضا البغدادي الأصل الذي عاش في لبنان .

أخطاء ومبالغات في إنجيل برنابا :

يشتمل إنجيل برنابا على عدة أخطاء ومبالغات وسوف نذكر بعضا منها وهذه الأخطاء والمبالغات تجعل الشخص العاقل يشمئز من أسلوب هذا الكتاب ويدرك وبدون عناء ضعف المؤلف وتفاهة المؤلف فالكتاب والكاتب ليسوا في المستوى .

١- عدد الأنبياء :-

يقول إنجيل برنابا أن كل الأنبياء البالغين ١٠٤٤ الذين أرسلهم الله الى العالم قد تكلموا بالمعميات بظلام ولكن سيأتي بعده بهاء كل الأنبياء .. وهذا قطعاً عدد مبالغ فيه من الأنبياء وكلام لايناسب الوحي .

٢- مليون ملاك يحرسون ثياب المسيح :-

يقول إنجيل برنابا أن الملاك جبرائيل قال للمسيح لاتخف يا يسوع لأن الف الف من الذين يسكنون فوق السماء يحرسون ثيابك ولاتموت حتى يكون كل شي (فصل ١٣: ٩ ، ١٠) وهذا كلام غير معقول لأن ملاكاً واحداً يقدر أن يصنع ما لا يقدر عليه الآلاف من البشر وحراسة ثياب المسيح لاتحتاج الى هذا العدد وليست هذه الحراسة مهمة بمثل هذا الإهتمام .

٣- عقوبة الشيطان عذاب مليون ضربة وجحيم :-

في (فصل ٥١: ٢٢ ، ٢٣) يذكر أن الملاك ميخائيل سيضرب الشيطان في يوم الدينونة ١٠٠ الف ضربة وسيناله من كل ضربة عذاب ١٠ جحيمات نحن نسأل كيف سيكون الضرب وبأي سيف إذا كان الشيطان روحا ؟

٤- الشياطين يزرفون دموعاً من العين الواحدة أكثر من مياه نهر الأردن:

في (فصل ٥٥ : ١٤) الحق أقول لكم أن الشياطين والمنبوذين أمام الشيطان يبكون حينئذ حتى أنه ليجري من الماء من عين الواحد أكثر مما في الأردن ، وهذا أمر غريب لايمكن أن يصنعه الشيطان لأنه روح وليست لديه دموع وهذا أمر أيضاً لايقدر أن يصنعه إنسان.

٥ - ٧٠ الف سنة في المطهر :-

في (فصل ١٣٦ : ١٧، ١٨) يقول إن الذين لهم ايمان بدون عمل يمكثون جميعاً في الجحيم ٧٠ الف سنة ثم يخرجون بالشفاعة وهذه المبالغة تعلن عن الوجه الكاثوليكي لمؤلف انجيل برنابا .

٦- السموات عددها ٩ :-

إن السموات ٩ غير سماء السموات وبعضها يبعد عن بعض كما تبعد السماء الأولى عن الأرض والسماء الأولى تبعد عن الأرض سفر ٥٠٠ سنة وعليه فإن

الأرض تبعد عن أعلى السماء بمسافة ٤٠٥٠ سنة وكل حجم الأرض عن حجم كل السموات بالنسبة للجنة كنقطة بل حبة رمل .

٧- تفاحة ادم :

يذكر إنجيل برنابا أن الثمرة المحرمة كانت ثمرتان هما التفاح والحنطة (فصل ٣٩ : ٣٥ -٣٨) وهذا يعني أن الأكل من التفاح والحنطة يعد نجاسة ويستمر إنجيل برنابا في شرح الخرافة المسماه تفاحة آدم فيقول عن خطية آدم وبينما كان الطعام نازل ذكر كلام الله فلذلك كان أن يوقف الطعام فوضع يده في حلقه ومن هنا كانت تفاحة آدم .

٨- الله في إنجيل برنابا :

يصور إنجيل برنابا الله في صورة غريبة للغاية حيث يتحدث عن غيرة الله بطريقة غريبة حيث يقول في (فصل ٣٩) الحق أقول لكم أن الله غيور عن كرامته ويحب إسرائيل حب العاشق وانتم تعلمون انه متى كلف (اغرم) شاباً بامرأة لا تحبه بل تحب اخر جبار فإنه يقبله إني أقول لكم هكذا يفعل الله. ويستمر إنجيل برنابا في عرض هذه الصور الباهتة عن الله فيقول :-

١- الله غيار من الهيكل المقدس :

لما رأى الله أن الشعب اليهودي يفاخر بالهيكل أثار الله غضبه بواسطة نبوخذ نصر ملك بابل ومكنه وجيشه من المدينة المقدسة فأحرقها وأحرق هيكله (فصل ٣٩) وما معنى هذه الغيرة ؟! .

٢- الله غيارمن محبة الأب لأبنه :-

يقول إنجيل برنابا أن ابراهيم أحب ابنه إسماعيل أكثر قليلاً مما ينبغي لذلك أمر الله ابراهيم أن يذبح ابنه ليقتل المحبة الأثيمة في قلبه .. نحن نختلف مع إنجيل برنابا أن الذبيح ليس هو اسماعيل إنما اسحق ونسأل هل من المعقول أن الله اله المحبة يحاول أن ينزع المحبة من قلب أب نحو ابنه .

٣- آدم وحواء يبكيان ١٠٠ سنة :

يقول انجيل برنابا تعليقاً على خطيئة آدم (اذا عرف إنسان شقائه فانه يبكي هنا على الأرض دائماً ويعتبر نفسه أحقر من كل شئ آخر ولا سبب وراء هذا

سوى بكاء الإنسان الأول وآمراته ١٠٠ سنة بدون إنقطاع طالبين رحمة من الله) (فصل ٣٤ : ١٤ - ١٦) إن هذا أمر يتنافى مع صفات الله التي لايمكن أن تكون بهذه القسوة التي لامبرر لها ، كما أنه تشويه للعلاقات الإنسانية وتشويه لعلاقة الله بالإنسان .

٣- الله يعاقب العذراء مريم على محبتها لإبنها:

بنفس الأسلوب يتحدث إنجيل برنابا عن محبة السيدة العذراء لأبنها وعن محبة يعقوب لإبنه يوسف ومحبة أيوب لأبنائه السبعة وبناته الثلاثة وكأن الله لايحب أن يحب الآباء والأمهات آبائهم فهل هذا معقول ؟

٤- الله يقبل الكذب :

في فصل (١٦١) يقول : لأنه كما أن الله يقبل قتل الناس ذبيح فهكذا قبل الكذب الحق أقول لكم كما يغلط الطفل الذي يصنع حذائه بقياس رجله هكذا يغلط من يجعل الله خاضعا للشريعة ؟

وهذا يعني أن برنابا يصور الله بانه غير مطالب بالشريعة وعلى هذا فمن حقها أن لايعمل بها .

اللامعقول في انجيل برنابا :

ويمتلي انجيل برنابا بأمور غير معقولة ولا مقبولة مثل :-

١- القمل واللآلي :

في فصل (٥٧ : ١٤ ، ١٩) يقول : الحق أقول لكم أن قميص الشعر سيشرق كالشمس وكل قملة كانت علي انسان حباً في الله تتحول الي لؤلؤة .. الحق اقول لكم انه لو علم العالم هذا لفضل قميص الشعرالأرجوان والقمل على الذهب :

يبدو أن مارينو الراهب الذي ترك المسيحية يريد آن يصف نوعا منحرفا من النسك باعتبارة مثالية وهذا بسبب حياته مع الدراويش .

٢- الصلاة بغير اغتسال :

اقول لكم أيضاً انه لايقدم أحداً صلاة مرضية لله إن لم يغتسل لكنه يحمل نفسه خطية شبيهة لعبادة الأوثان . ولقد كان الإغتسال عادة يهودية ولكن المسيحية تحدثت عن غسل القلب بالتوبة .

٣- السمكة وسليمان :

وأخطأ سليمان لأنه فكر أن يدعو كل خلائق الله الى وليمة فأصلحت خطأه سمكة إذ اكلت كل ما كان قد هيأه (فصل ٧٤) .

٤- علامات اليوم الأخير :

وبعد هذا متى أخذ ذلك اليوم في الإقتراب تأتي كل يوم علامة مخوفة على سكان الارض مدي خمس عشر يوما ففي اليوم الاول تئن الشمس كما يئن آب على ابن مشرف على الموت وفي اليوم الخامس يبكي كل عشب ونبات دم .

خرافات في قصة الخليقة :

سجل إنجيل برنابا قصة الخليقة بطريقة خرافية مضحكة وهذه بعض أفكاره :--

١- كتلة من التراب :

يقول انجيل برنابا في (فصل ٣٥) ولما خلق الله كتلة من التراب وتركها خمس وعشرين الف سنة بدون أن يفعل شيئا آخر علم الشيطان الذي كان بمثابة كاهن ورئيس للملائكة لما كان عليه من الإدراك العظيم أن الله سيأخذ من تلك الكتلة مائة نبي او رسول الله الذي خلق الله وجهه قبل كل شئ اخر بستين الف سنة ولذلك غضب الشيطان فاغرى الملائكة قائلا (انظروا سيريد الله يوما ما أن نسجد لهذا التراب) .

٢- حوار الشيطان مع الله:

حينئذ قال الشيطان يارب إنك جعلتني قبيحاً ظلماً ولكنني راضي لذلك لأنني أروم أن أبطل كل مافعلت .. وقالت الشياطين الآخرين لا تدعوه رب يا كوكب الصبح لأنك أنت الرب حينئذ قال الله لأتباع الشيطان توبوا وإعترفوا بأنني الله خالقكم ، أجابوا إننا نتوب عن سجودنا لك لأنك غير عادل ولكن الشيطان عادل وبرئ وهو ربنا حينئذ قال الله إنصرفوا عني أيها الملاعين لأنه ليست عندي رحمة لكم .

٣- صرة ادم :

وبصق الشيطان أثناء إنصرافه على كتلة التراب فرفع جبرائيل ذلك البصاق

مع شئ من التراب فكان للإنسان بسبب ذلك صرة في بطنه وهذه خرافة لأن آدم وحواء بالذات لم يكن لهما صرة لأنهما لم يولدا من امرأة بل خلقهما الله خلقاً وأن صرة البطن هي مكان الحبل السري الذي يربط الجنين ببطن أمه.

٤- دور الخيل والكلب في قصة الخلق :

ويستمر انجيل برنابا في خرافاته فيذكر في (فصل ٣٩) أن الله خلق الحيوانات والطيور ولم يكن قد خلق الإنسان بعد فأتى الشيطان الى أبواب الجنة ورأى الخيل ترعى فأخبرها أنه اذا تأتي لتلك الكتلة من التراب أن يصير لها نفس أصابها ضنك لأن الإنسان سيركب الخيل ويستخدمها في حاجاته وهنا يكمل انجيل برنابا القصة فيقول عن الخيل .. لذلك كان من مصلحتها أن تدوس تلك القطعة من التراب بطريقة لا تكون بعدها صالحة لشئ فصارت الخيل وأخذت تعدو بشدة على تلك القطعة من التراب التي كانت بين الزنابق والورود فأعطى الله من ثم روحاً لذلك الجزء النجس من التراب الذي وقع عليه بصاق الشيطان الذي كان قد اخذه جبرائيل من الكتلة وانشأ الكلب فأخذ ينبح فروع الخيل فهرعت ثم أعطي الله للإنسان وكانت الملائكة كلها ترنم اللهم ربنا تبارك اسمك القدوس.. وبعد يا احبائي كفانا ما يعرضه هذا الكتاب من سخافات ولا يخدعنكم أحد بمثل هذا الأسلوب الذي لايقبله أي عقل .. وطبعا تأكدتم أن برنابا برئ جدا من تهمة هذا الانجيل براءة الذئب من دم ابن يعقوب كما يقولون .

٥- المسيحيون يرفضون :

لقد رفض المسيحيون بالإجماع الإدعاء بأن برنابا له إنجيل وذلك لأن إنجيل برنابا يختلف كثيراً في كل القضايا اللاهوتية ولأن المسيحية لا تعرف سوى الأناجيل الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا فهي الأناجيل المعتمدة وهذه بعض الإختلافات التي جعلت المسيحيون يرفضون إنجيل برنابا :-

١- يقول الإنجيل المحرف أن الذين نجوا من الطوفان مع نوح كانوا ٨٣ شخصاً وسفر التكوين يقول انهم ثمانية أشخاص (تكوين ٧:٧)

٢- يقول هو أن داؤد إعتلى العرش عندما كان عمره خمسة عشر عاماً والكتاب المقدس يقول عند ثلاثين عاما (٢ صموئيل ٥:٤،٥)

٣- يقول أن الله قال على لسان داؤد أن الصديق يسقط سبع مرات في اليوم

والذي قال هذا هو سليمان الحكيم وليس داؤد والقول الصواب هو: الصديق يسقط سبع مرات ويقوم (أمثال ٢٤:١٦).

٤- يقول أن ايليا لم يرى خبزاً مدة ثلاث سنوات ولكن الكتاب يقول أن الله كان ياتي ايليا بخبز ولحم (الملوك ٢٢) .

٥- يقول أن يونيل النبي ذكر: لعمري يقول الهكم لا أريد موت الخاطئ بل أود أن يتحول الى التوبة والصواب إن هذا قول حزقيال :هل مسرة أسر بموت الشرير إلا برجوعه عن طريق فيحيا (حزقيال ٢٨:٢٣) .

٦- يختلف الإنجيل المزيف مع الكتاب المقدس في قصة الخلق وقصة السقوط.. وفي الكتاب المزيف تفاصيل عن الخطية وعن تفاحة آدم وحديث حواء ليست في مستوى أن نذكرها.

٧- يورد الكتاب المزيف كلاماً عن السيد المسيح لا يتناسب مع ما للمسيح من مكانة حيث يقول أن السيد كان يبادر كل من يسأله بقوله يا مجنون وياغبي.

٨- ذكر أقوالاً عن السيد المسيح لا يمكن أن يكون قد قالها مثل :عساني أن أنال من الله قصاصاً في هذا العالم لأني لم أخدمه باخلاص كما يجب أن أفعل ، وأقوال أخرى كثيرة نخجل من ذكرها.

٩- ينسب كاتب الإنجيل الى برنابا مكانة لم تكن له ويخلط بين الموضوعات الواردة في الانجيل.

١٠- نفى كاتب الكتاب المزيف وجود يوحنا المعمدان وخلط كثيراً بين الميسا وبين رسول الإسلام وركز كثيراً في هذه المسألة وبهذا حاول أن يجذب إليه المسلمين ولكن أخواننا المسلمون فاهمون ورافضون لإنجيل برنابا.

١١- يهدف إنجيل برنابا إلى هدم المسيحية بوجه عام فلقد هاجم لاهوت المسيح وصلبه وزعم أن الذي صلب ليس هو السيد المسيح إنما يهوذا وأن السيد المسيح هو مجرد صوت جاء يصرخ في اليهودية ليعد الطريق أمام المسيح الحقيقي.

١٢- يختلف مع الأناجيل الأربعة ويقول إن يسوع المسيح أنكر ألوهيته وأنكر كونه ابن الله أمام ستمائة ألف جندي وأمام سكان اليهودية بأجمعهم .. ويتعارض في الأسلوب وفي طريقة الكتابة وفي الأحداث المذكورة ، ويتحدث عن الإختلاف

بين برنابا وبولس على أنه خلاف في العقيدة والأمر ليس كذلك.

المسلمون يرفضون :

لقد درس بعض علماء المسلمين هذا الكتاب المزيف بدقة وإخلاص ورفضوا هذا الكتاب جملة وتفصيلا ، وهذه آراء بعض علماء المسلمين :

أ/ رأي العقاد : كتب الأستاذ عباس محمود العقاد في صحيفة الأخبار القاهرية ١٩٥٩/١٠/٢٦م موضوعاً عن إنجيل برنابا تكلم فيه عن خمس نقاط هي :

١- أن الكثير من عبارات الإنجيل المذكور كتب بصيغة لم تكن معروفة قبل شيوع اللغة العربية في الأندلس وما جاورها

٢- يستند وصف الجحيم في إنجيل برنابا إلى معلومات متأخرة لم تكن شائعة بين اليهود في عصر المسيح

٣- بعض العبارات الواردة به كانت قد تسربت إلى القارة الأوروبية نقلاً عن مصادر عربية

٤- ليس من المألوف أن يكون السيد المسيح قد أعلن البشارة أمام الألوف بإسم (محمد رسول الله)

٥- تتكرر في هذا الإنجيل بعض أخطاء لايجهلها اليهودي المطلع على كتب قومه ، ولايرددها المسيحي المؤمن بالأناجيل المعتمدة في الكنيسة الغربية ، ولايتورط فيها المسلم الذي يفهم مافي إنجيل برنابا من المناقضة بينه وبين نصوص القرآن مثل القول عن محمد أنه المسيا أو المسيح .

ب - الموسوعة الميسرة:

قال د. محمد شفيق غبريال تحت كلمة برنابا مايأتي :

إنجيل مزيف وضعه أوروبي في القرن الخامس عشر في وصفه للوسط السياسي والديني في القدس أيام المسيح أخطاء جسيمة كما أنه يصرخ على لسان عيسى أنه ليس المسيح إنما جاء مبشراً بمحمد الذي سيكون المسيح (دائرة المعارف الميسرة ٣٥٤) .

ج- سجلت كتب التاريخ الإســـلامي القديمة مثل « مروج الذهب » و « القول الإبريزي » و « البداية والنهاية » و « التاريخ الكامل » و« تاريخ اليعقوبي » و« تاريخ

أبي الفداء » والكتب الحديثة أيضاً مثل كتاب « دائرة المعارف للناشئين » إن انجيل المسيحيين هو المكتوب بواسطة متى ومرقس ولوقا ويوحنا ولم يرد أي إقتباس من الكتاب الذي يدعى إنجيل برنابا وهذا دليل على عدم قدمه وعدم قانونيته .

د- قال الدكتور خليل سعادة الذي ترجم كتاب برنابا من الإنجليزية إلى العربية أنه انجيل تضاربت فيه أراء الباحثين وتشعبت بخصوصه مذاهب المؤرخين وخبطوا فيه بين ضلالة وهدى وتلمسوا حقيقته بين رشاد وهوى .. واستنطقوا الآثار والأسفار واستفسروا الإعصار والأمصار فما ظفروا بعد ذلك بما يشفي منهم عليلا أو يبرد لهم غليلا .. كما إعترف خليل سعادة بأنه لايوجد من هذا الكتاب سوى نسخة واحدة هي النسخة الإيطالية وتقع في مئتين وعشرين صفحة سميكة مجلدة بصفحتين رقيقتين متينتين من المقوى يغطيهما جلدان لونهما أدكن ضارب الى الصفرة النحاسية ويحيط بهما على الحوافي الأربع خطان مذهبان وفي مركز الجلد نقش بارز عطل من التذهيب تحيط به حافة مزدوجة من نقوش ذهبية متباينة الأشكال يسميها الغربيون بالطراز العربي ويستدلون من محمل التجليد المنوه عنه بأنها من طراز شرقي .. كما قال المترجم أن تاريخ هذه النسخة الأيطالية يتراوح بين منتصف القرن الخامس عشر والسادس عشر .. وقال أيضاً أن اللبيب يحتار في أمر الشروح والهوامش العربية الموجودة في النسخة الإيطالية وأن بعض هذه العبارات العربية صحيح العبارة محكم الوضع والبعض الآخر سقيم التركيب من أصله.

هـ- تقول مقدمة النسخة الإسبانية أن كاتب انجيل برنابا له إلمام بالقرآن الكريم حتى أن كثيراً من فقراته يكاد يكون ترجمة حرفية أو معنوية لآيات قرآنية.

ز- يرى المترجم سعادة أن إنجيل برنابا يباين أي يفرق عن الأناجيل الأصلية في بعض أساليبه لأنه كثيرا ما يخوض في المسائل الفلسفية والمباحث العقلية مما لم يرو قط عن المسيح الذي كانت تعاليمه الباهرة ومباحثاته الدينية على ما هي عليه من التفرد في السمو عنوان البساطة حتى كان يفهمها لأول وهلة الزارع والصانع والسيد والخادم والفتيى والشيخ دون ادنى إجهاد للذهن .

ح- يطالب الناشر محمد رشيد رضا أن لا يحسبن القارئ المسلم أن علماء أوروبا وبعض علماء بلادنا كالدكتور خليل سعادة وأصحاب المقتطف والهلال

يظهرون الريب في إنجيل برنابا تعصباً للنصرانية فإن الزمن الذي كان فيه التعصب يحمل العلماء على طمس الحقائق التاريخية وغيرها قد مضى والناشر هنا لا مانع عنده أن يقف مع الإعتراضات من إنجيل برنابا.

لماذا رفض الإسلام إنجيل برنابا :

إن إنجيل برنابا يحوي تعاليم غريبة وخرافات مدهشة لا تتفق مع الإسلام في شي وهذه بعض نقاط الإختلاف التي تؤكد مخالفة هذا الإنجيل المزيف لتعاليم الإسلام :-

١- يدعي أن العذراء ولدت دون ألم المخاض .

٢- يصرح بأكل الخنزير .

٣- يناقض قانون المعاملة عين بعين وسن بسن .

٤- ينادي بأن السماوات تسع بين كل سماء والأخرى مسيرة رجل ٥٠٠ سنة.

٥- يقول أن محمد هو القمر.

٦- يقول أن الجزاء في الآخرة عن طريق الأنبياء .

٧- يتحدث عن الله بصورة لا تتفق مع تنزيه الله.

٨- يقول أن محمد هو من نسل داؤد .

٩- يحذر من كل تعليم بعد المسيحية .

١٠ - يقول أن الشيوخ هم سبب الشر .

١١- يصف الله بصفات مرفوضة فيقول أنه يندب ويمازح .

١٢- يصف الرسول الكريم بصفات متعارضة فهو يقول عنه أنه موجود قبل خلق الكون ويسميه الرب المخلص وينسب اليه علم الغيب ويشفع في يوم الدينونة .. ويصفه بصفات طيبة مثل بهاء الأنبياء وانه مزدان بروح الفهم والمشورة روح الحكمة روح المحبة روح اللطف ولكن إنجيل برنابا أيضاً يصف الرسول الكريم بأنه مخبول وخائف ومجرد من الذاكرة ويعاني في الجحيم ولهذا رفض المسلمون هذا الكتاب المزيف وبهذا أيضاً يبطل هذا الإنجيل المزيف كدليل على تحريف الكتاب المقدس الذي هو الحق الإلهي الذي لايحق لهم أن يمترون فيه أو يشكون في كلامه.

الفصل الثالث

القرآن الكريم يؤكد أن المسيحيون ليسو مشركين

المسيحية مرجع :

يرى القرآن الكريم أن المسيحية مرجع معتمد لكل الأمور الدينية وهو لا يطالب المسلم بإحترام الكتاب المقدس فقط إنما يطالبه أن يطالع الكتاب ، وعندما طالب القرآن المسلم ألا يجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن فهذا يعني أنه يطالبهم بمطالعة الكتاب المقدس وإلا فكيف يجادلون وهم لا يقرأون ؟ ! وفي سورة آل عمران «٨٤ » (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) ولا يمكن أن يكون الإيمان إلا من خلال الاطلاع على التوراة والإنجيل .. وفي سورة البقرة «٤ » (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يؤقنون) ويرى القرآن الكريم أن من لا يقرأ الكتاب من المسلمين هو غافل ويستحق التوبيخ بل إن من يكتفي بالقرآن وحده فإن هذا لا يكفي لنوال الأجر العظيم أما من يهتم بالقرآن مع الكتاب المقدس فهذا يكون من المؤمنين المفلحين وهذه بعض النصوص التي تؤكد ذلك :

(أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين) « سورة الأنعام ١٥٦»

(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) « سورة البقرة ٨٥ »

(إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا .. أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا .. والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيما) سورة النساء « ١٥٠-١٥١-١٥٢»

لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك.. أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً.

التوحيد في المسيحية:

١- ينظر القرآن إلى المسيحيين على أنهم موحدون وغير مشركين فالقرآن أوصى بالمسيحيين خيراً بينما أباح دم المشركين وقال في سورة التوبة (أقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) يعني متابعة المشركين والترصد للقضاء عليهم بينما أكد الإسلام أن المسيحيون هم الراسخون في الإيمان والراسخون في العلم وهم لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وقد تحدث القرآن الكريم عن المسيحيين كمؤمنين بالله فقاه ساجدين آمرين بالمعروف.. وناهين عن المنكر .. مسارعين في الخيرات ومن الصالحين وهذا عندما تحدث عن اليهود في سورة آل عمران ١١٣ - ١١٤ حيث قال (ليسو سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون .. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) وواضح جداً أن القرآن يصف أهل الكتاب بأنهم مؤمنين صالحين ولا يمكن أن يعطي مثل هذه الشهادة لقوم هم كافرين.

٢- ولقد كان الفصل في القرآن واضحاً ما بين المسيحيين والمشركين وأشار القرآن إلى طائفتين مختلفتين متغايرين هما أهل الكتاب والمشركين ..ونزه القرآن الكريم المسيحية عن تعليم الإشراك وفي هذا يقول (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) « سورة المائدة ٨٢»

٣- حرم الإسلام على من يدينون به أن يتزوجوا بالمشركات دون أن يتخذن الإسلام لهن دينا في حين أنه ساوى بين المرأتين المسيحية والمسلمة في هذا فأباح للمسلم أن يتزوج من مسيحية دون أن يشترط الإسلام لتمام هذا الزواج وصحته وفي « سورة المائدة ٥» يقول (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان) وهذا النص القرآني أجاز للمسلم التزوج من المرأة النصرانية مع الحرص على حقها أن لا يهضم جاعلاً إياها في مرتبة المرأة المسلمة فلو كان الإسلام يعتبر المرأة المسيحية مشركة لكان قد حظر الزواج بها بل ولحرمه تحريما أو على الأقل لجعل الإسلام شرطاً ضرورياً لتمام هذا الزواج كما فعل

مع المشركات اللائي قال في حقهن (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ) « سورة البقرة ٢٢١ » أي أن المسلم لا يتزوج بمشركة إلا إذا آمنت بالإسلام وهنا لا تكون في رأيه مشركة إنما مسلمة.

خلافات غير حقيقية :

هناك بعض نقاط الخلاف يظنها البعض أنها منسوبة للمسيحيين وهي في الحقيقة ليست من المسيحية في شيء بل هي بدع وهرطقات حاربتها المسيحية وتتركز هذه الخلافات في ثلاثة أولهما يتحدث عن ألوهية العذراء والثاني عن وجود صاحبة لله والثالث عن ثالوث غير ثالوث المسيحية.

١-ألوهية العذراء: ورد في القرآن (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس إتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) « سورة المائدة ١١٦ » وما قاله القرآن كان إشارة إلى بدعة هي ليست من المسيحية في شيء تقول بتاليه العذراء .. والمسيحية لم تقل في أي لحظة بأن مريم لها صفة الألوهية أن مريم امتازت بالتواضع وقالت حين نالت أنها أمة الرب أي أمة الجارية أي عبدة للرب .. فالعذراء هي سيدة نساء العالمين وهي تمتاز عن كل النساء بأنها متواضعة أمام الله.. وقد صلت إلى الله ورفعت قلبها إليه في تسبحتها التي ذكرها إنجيل لوقا فقالت مريم تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي لأنه نظر إلي أتضاع أمته فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني لأن القدير صنع بي عظائم وأسمه قدوس .. صنع قوة بذراعه.. شتت المستكبرين بفكر قلوبهم.. أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين «لوقا ١» فالعذراء مريم في الانجيل هي العذراء البتول العابدة التي تسجد مع الساجدين للإله الواحد .. والمسيحية لم تنادي بألوهية مريم ولم تنادي إطلاقاً بإلهين وهي ضد الأثنينية التي آمنت بها الأديان الأولى مثل إله للشر وإله للخير.

٢- وجود صاحبة لله :

وفي القرآن حديث رافض لوجود صاحبة لله .. وليس بين المسيحية والقرآن خلاف في هذا الأمر فالله روح منزه عن الجسد وعن أعمال الجسد.. وحديث المسيحية عن بنوة المسيح هو حديث عن بنوة غير جسدية غير تناسلية إنما هي

مساواة روحية إلهية تتسامى فوق هذا المستوى الجسدي.. والأبوة والبنوة والروح القدس هي صفات للإله الواحد هي حركة روحية داخل الله وليست ضد وحدانية الله.

لقد ورد في القرآن الكريم (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) « سورة الأنعام ١٠١» كما ورد أيضاً (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً) « سورة الجن ٣» والمسيحية لم تختلف مع القران لا في الوقوف ضد ألوهية العذراء ولا في الوقوف ضد صاحبة لله .. وينبغي أن نحاول فهم معني النبوة الروحية التي تتحدث عنها المسيحية..

٣- أما الاختلاف الثالث فهو الخاص بالشرك بالله والمسيحيون ليسوا مشركين ولا شك أن الاجيال الأولى في الإسلام كانت تفهم المسيحية من خلال التوحيد ولم تعتقد الأجيال المسلمة الأولى في أن المسيحيين مشركين ولا عبدة ثلاثة آلهة أى انهم فهموا المغزى الروحي للتثليث والتوحيد في المسيحية والذي رفضه القران هو ثالوث آخر غير ثالوث المسيحية ثالوث مكون من الله وصاحبة لله وابن أنجبه الله من هذه الصاحبة وهذا كفر مبين تتنزه عنه المسيحية وهذا ثالوث يشبه ثالوث العبادات المصرية القديمة ذلك المكون من أوزوريس وزوجته ايزيس وابنهما حورس .

والحق يقال أن المسيحية هي ديانة توحيد وهي تعلم بتثليث لا ينقص الوحدانية أو ينافيها فهي تؤمن بالاب والابن والروح القدس اله واحد في جوهره وهي لا تعلم قط بتعدد الآلهة بل تنكر هذا التعليم انكاراً كلياً وتحاربه حرباً لا هوادة فيها وقانون ايمان المسيحية يبدأ بالقول : بالحقيقة نؤمن باله واحد وان كانت المسيحية تقصد بالتثليث التعدد والإشراك لما صرحت بأن هذا التعليم فوق الادراك وهي لم تصرح بهذا الا لما تعتقده من عدم مناقضته لوحدانية الله ، الله في المسيحية اله واحد مثلث الاقانيم وكلمة اقنوم تعني صفة وفي الإسلام تتعدد صفات الله لتصل الى اقل من المائة بصفة واحدة ..

والتثليث عقيدة مسيحية أساسية حتى أن الرسول يوحنا يقول : هذا هو ضد المسيح الذي ينكر الأب والأبن (١يوحنا ٢ :٢٢) والذي يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم في واحد(١يوحنا ٥:٧) فالأب في الأبن في الروح القدس ١×١×١= ١

اتفاق ضد الشرك :

١- والمسيحية تتفق مع الإسلام ضد الشرك فقد قال القرآن في « سورة النساء ١٧١ » (ولا تقولوا ثلاثة إنتهوا خيراً لكم إنما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا) فإن المسيحية تقول مثل هذا أيضاً أنها تنكر التعدد والشرك وتنكر أن يكون لله ولد من صاحبة بتناسل جسدي.

٢- وإن قيل في « سورة المائدة ٧٣ » (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد) فان المسيحية تقول هذا أيضاً ليس الله واحداً من ثلاثة آلهة لأنه لا يوجد سوى اله واحد لا شريك له..

٣- إن الإسلام يحارب ثالوثا تحاربه المسيحية فالثالوث مرتبط بالوحدانية في المسيحية فالله هو جوهر الهي أو ذات إلهية له عقل وله روح والثلاثة واحد كالنار لها ذات هي النار وتتولد منها حرارة وينبثق منها نور والنار بنورها وحرارتها شيء واحد كالإنسان ذاته وعقله وروحه كيان واحد والنبوؤة في اللاهوت كنبوؤة الفكر من العقل ، العقل يلد فكرا وليست له صاحبة..

وسوف يأتي اليوم الذي يفهم فيه الفكر المسيحي عن التثليث والتوحيد.. وكلما مر يوم علينا يجب أن نقترب إلى بعضنا البعض..وإن لم نقترب يحترم كل واحد منا عقيدة الأخر ولا يكيل له الإتهامات ولا يقمعه ولا يفرض عليه فكره أو عقيدته إنما يقبل كل واحد فينا الأخر على ما هو عليه لأن الله يشرق بشمسه كل صباح على الأبرار والأشرار .. وعلى أهل الدين وأهل الإلحاد..

الفصل الرابع

المسيحيون أهل التوحيد في القران الكريم

التوحيد في المسيحية :

إن المسيحية هي أول من علم العالم أول درس في التوحيد ويحمل الكتاب المقدس العديد من النصوص في العهد القديم والعهد الجديد التي تؤكد الإيمان بالتوحيد ورفض تعدد الآلهة ورفض الأثنينية أي عبادة الهين واحد للخير والأخر للشر ونورد هنا بعض النصوص :-

أسمع يا إسرائيل الرب ألهنا رب واحد (تثنية ٦:٤) أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض (٢ ملوك ١٩:١٩)

أليس اله واحد خلقنا أليس أب واحد لجميعنا ..

أنا الرب ألهك .. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي (خروج٢٠:٢،١) إليك وحدك أخطأت (مزمور ٥١:٤)

مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطرين لأجل أمور كثيرة ولكن الحاجة الى واحد (لوقا١٠:٤٢)

وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين الى واحد (يوحنا ١١:٥٢)

كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه (يوحنا ٥:٤٤) انت الاله الحقيقي وحدك (يوحنا ١٧:٣)

فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب ألهنا رب واحد (مرقس١٢:٢٩)

ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله (مرقس ١٠:١٨)

لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالأيمان (رومية ٣:٣٠)

رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة اله وآب واحد للكل الذي على الكل بالكل وفي كلكم (افسس ٤:٦)

انت تؤمن ان الله واحد حسنا تفعل (يعقوب ٢:١٩) .

الوحدانية المسيحية :

والمسيحية تؤمن بوحدانية الله وتترجم هذا إعلاناً واضحاً في قانون الإيمان وهذا القانون معتمد في كل الكنائس المسيحية رغم تعدد المذاهب ويبدأ قانون الإيمان بالقول : بالحقيقة نؤمن باله واحد .. ولكن هناك معنى لهذه الوحدانية فالمسيحية ترفض الواحد الجزء من جملة كثيرة مثل كتاب من كتب وترفض الواحد الفرد من الجنس مثل واحد من الناس وترفض الواحد المكرر مثل الطعام المتعدد الأنواع بتكراره صنف واحد وترفض الواحد المجهول مثل وكان مساء وكان صباح يوم واحد وترفض الواحد كنقطة إلتقاء في الزمان أو المكان مثل حلم في ليلة واحدة .. ومثل لتجمع المياه تحت السماء الى مكان واحد.. ورغم ذلك فأن كلمة واحد لها معان مضيئة تقبلها المسيحية وهي :

١- الوحدة :

جاء في سفر التكوين عن آدم وحواء لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بزوجته فيصيران جسداً واحداً (تكوين٢:٢٤) فالوحدة هنا تقوم على إتحاد الأثنين معاً والواحد هنا وهو الجسد هو الحياة المشتركة بين شخصين وهي التي تجعل الثنائية بينهما هي قاعدة الوحدة فهما اثنين لكنهما أيضاً واحد ، فالإتحاد لا يلغي الثنائية ولكنه يحولها الى وحدانية وتظل الثنائية قائمة في اطار الوحدانية.. ونفس الكلام ينطبق على الكنيسة التي توصف بأنها « جسد المسيح الواحد » (١ كورنثوس ١٢:٤،١٢) فالتعدد تجمعه الوحدة .. ونفس الكلام ينطبق على ما جاء في سفر الاعمال « وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة (أعمال ٢:٤٦) وهذا يعني أن عمل المسيح في الكنيسة يجعل التعدد وحدة .

٢- الطبيعة الانسانية :-

في حديث بولس في خطابه الدفاعي وجه الى وحدة الطبيعة الإنسانية عندما قال : وصنع من دم واحد كل الساكنين على الارض (أعمال ١٧:٢٦) وهذا يعني أن الدم الواحد هو الحياة الإنسانية الجسد والروح اللذان يوجدان بشكل واحد في كل الناس وهذه الطبيعة الإنسانية الواحدة لا تلغي التعدد والتمايز بل والإختلاف في شخصيات البشر.. ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) وهي أول آية في سورة النساء ..

وعلى مستوى تاريخ العلاقات الإنسانية فإن الطبيعة الإنسانية الواحدة تدعو الى الوحدة والسلام في العصور..

الايجابية والسلبية :

إن القول بأن الله واحد لا يقتصر على نفي الشرك وتعدد الالهة فقط ولكنه يعني الإيجابية في هذه الوحدة والحياة من حولنا لا تكتفي بالنواحي السلبية بل تؤكد على الإيجابية في :

١- أعضاء الكائن الحي تعمل وفق تناسق بديع فيه إيجابية الأخذ والعطاء وليس السلبية هذا في مظاهر الحياة البيولوجية.

٢- العقل لا يكتفي بنفي الأخطاء فهذه سلبية إنما للعقل عمل إيجابي هو السعي لإكتشاف الحقيقة وقوانين الكون والوصول لجوهر الأشياء وهذا سر تقدم العقول.

٣- التعليم ليس دورة أن ينفي الخرافات والأخطاء إنما هو يحاول دائماً التقدم وإكتشاف جمال الحق وكل ما فيه من إيجابيات.

٤- تاريخ الحضارة هو تاريخ البحث عن الإيجابيات لأن الإكتفاء بنفي السلبيات هو عقم لا يؤسس حضارة ولا يغني ثقافة..

٥- وخلال رحلة الإيمان يبحث الإنسان في كل يوم عن الله الذي يفوق كل أدراك ويعلو فوق كل تصور على المستوى الإيجابي.. ولقد كانت اليهودية هي ديانة التوحيد وسط عالم يموج بتعدد الآلهة وكانت قوة العهد القديم ليست في إنكار الشرك أو الإثنينية وتعدد الآلهة فقط بل في إعلانات الله المتكررة في الظهورات وكلمات الأنبياء ولهذا كانت معرفة الله تستند على نقطتين رئيسيتين:

أ/ لا إله غير الله .. وهي بداية الحياة الروحية بعد السقوط وطرد الإنسان من حضرة الله وإذ بدأ الإنسان يبحث عن الله ضل وسقط في الوثنية ولذلك كانت عبادة لا إله إلا الله ضرورة في بدء طريق معرفة الله .

ب/ أنا الرب ألهك .. وهذا النص المقدس هو روح الظهورات وطريق معرفة الله .. فلقد دخل الله في عهود مع الإنسان حتى يتم خلاص الإنسان وتجديد حياته بظهور أخير كامل ونهائي وأعظم من كل الظهورات السابقة.. ظهور معنى التوحيد وجوهره .. ظهور كشف لنا في العهد الجديد معنى التوحيد .. وكشف لنا

المضمون الإيجابي للتوحيد وليست سلبيات الشرك وتفاهة وخواء تعدد الآلهة ، فالدعوة هنا ليست لتجنب الخطأ بل لمعانقة الحق والتمتع بما فيه من جمال وحياة لأن الله لم يوقف الكلام الإنسان .. وكان كلامه ألينا بواسطة الأنبياء وكان كلامه إلينا أخيراً في السيد المسيح الذي هو كلمة الله والذي قال عنه بولس : الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في إبنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي صار أعظم من الملائكة بمقدار ما وصف اسماً اكثر منهم (عبرانيين ١:١،٢) ويؤكد القرآن الكريم في آيتين واضحتين أن السيد المسيح هو كلمة الله وروح منه وهو من الصالحين حيث وهو كلمة الله قدم للناس كلاماً منذ المهد وحتى كبر والآيتان هما :

أ/ (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه أسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين .. ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين) « آل عمران ٤٥ - ٤٦ »

ب/ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .

أنواع التوحيد:

هناك ثلاثة أنواع للتوحيد أولهما الوحدانية المجردة وثانيهما الوحدانية المطلقة وثالثهما الوحدانية الإيجابية:

أولاً : الوحدانية المجردة :

وهي وحدانية ظهرت في فجر التاريخ .. وحدانية ترفض تعدد الآلهة ولكنها بذلك تقدم ألهاً بعيداً عن البشر لا تربطه بهم علاقة فالناس لا يعرفون عنه إلا جهلهم به فهم يقرون بوجوده وبإحترامه ومثل هذا التوحيد لم يقدر أن يرفع الإنسان إلى مستوى الله بل جعل الله ألهاً والإنسان عبداً وكان هذا إنعكاس لظروف المجتمع المقسم إلى سادة وعبيد أو إلى حكماء وبرابرة .. وظل هذا التوحيد توحيد علماء وفلاسفة المدارس الأخلاقية وهذا النوع من التوحيد أدى إلى التطرف في فهم الحرية الإنسانية وجعلها تتحول إلى فوضى وأدى إلى الدكتاتورية والقهر لأن الإنسانية فقدت المصدر الأول للحرية الحقيقية التي تلتزم

بحريات الآخرين والتي تؤكد وجود الله في حياة الإنسان من خلال كلمته ومواثيقه .

ثانياً : الوحدانية المطلقة :

والتوحيد المطلق له ظرفه التاريخي فلقد إنتشرت الوثنية وانتشر تعدد الآلهة وامتلأت الدنيا بمذابح الآلهة ولم تنجح دعوة الحكماء إلى توحيد الآلهة في إله واحد لا على مستوى العالم ولا على مستوى كل وطن على حدة .. وهذا النوع من التوحيد نادى بإله واحد بلا حدود واعترف بوجوده وبصفاته ولكن اتباعه اختلفوا فيما بينهم هل الصفات أزلية أم زمنية ورفض هذا التوحيد بعنف الشرك والتعددية ولكنه تحدث عن إله بمعزل عن فكر الإنسان وحياته ولقد تميز هذا التوحيد المطلق بالأمور التالية:

١- التشديد على تجنب الشرك وصرف الذهن عن التفكير في الله .

٢- جعل الله بعيداً عن الإنسان وصورته كمتسلط أعطى أحكاماً وفرائض لا يمكن تطويرها .

٣- يصور الحياة بعد الموت كأنها إستمرار للحياة الأرضية في إشباع مطلق للذات وللغرائز وبهذا تكون أبتعاداً عن الله.

٤- أحكامه وفرائضه في صدام دائم مع التطور الاجتماعي .

٥- يؤدي إلى تقاعس الإنسان عن السلوك الإيجابي والعطاء والبذل

٦- تنشأ في ظله أنواع القهر والتسلط لأنه يصور الله كحاكم بعيد عن الإنسان وليس حاضراً مشاركاً له.

٧- يعطي قيمة مطلقة للوحي رافضاً اشتراك الإنسان في الحياة الإلهية .

٨- يركز على السلوك الأخلاقي ابتغاء مرضاة الله.

٩- يرفض هذا التوحيد كل نسبة أو علاقة بين الله ومخلوقاته وهذا الرفض له مشاكله.

ثالثاً : الوحدانية الإيجابية :

وهي وحدانية تنادي بوحدانية الله الحية الناطقة إذ ليس من المعقول أن تكون وحدانية الله جامدة مصمتة غير قادرة على التفكير والحياة وتقول هذه الوحدانية

الإيجابية ، إن الله يعلن عن نفسه ويقيم علاقات مع الإنسان لأنه غير ملوث بعقد التسلط والكبرياء والعجرفة والنرجسية فالله ذات واحدة يمكن وصفها وإدراك الكثير عنها فيتعرف عليه الإنسان ويقيم علاقة وثيقة معه وهذا النوع من التوحيد يتميز بما يلي :

١- يقدم حضور الله الحقيقي والدائم في حياة الإنسان ليقوده الله في طريق التقدم والنمو.

٢- يهتم بالتاريخ كمجال للتدخل الإلهي ويؤكد أن الله هو سيد التاريخ ويهتم بظهورات الله وإعلانات الوحي وعمل الخلاص.

٣- يهتم بدراسة طبيعة الإنسان وإمكانية مشابهته لله فتصبح كل عقيدة خاصة بالله متصلة بالعقائد الخاصة بالإنسان.

٤- يؤكد أن الحياة بعد الموت بعيداً عن الله هي الجحيم بعينه.

٥- يؤكد أن السماء هي رؤيا دائمة لله وإشتراك في حياته .

٦- يؤكد ان الله يسعى للإتحاد بالإنسان وهذا الإتحاد يبدأ على الأرض ويكمل في السماء بمعاينة الله .

٧- يؤكد على حرية الإنسان وكرامته.

٨- هذه الوحدانية الإيجابية فيها حل لمشكلات عديدة وتجيز أن تكون لله صفات متعددة .. كما يجيز الفداء وتجسد كلمة الله بشراً بيننا ويجعل إيماناً بالله حياة .. والتعامل مع الله متاحاً ومباحاً بل واجباً روحياً.

شهادة القرآن للتوحيد المسيحي:

لقد شهد القرأن الكريم شهادة واضحة للتوحيد في المسيحية وأقر بأن المسيحيون يؤمنون باله واحد.. ولقد أجاز القرآن الكريم هذه الشهادة دون ان يناقشها.. أجازها في هدوء دون أن يتحدث عن فحواها وهذا يعني أن الإسلام لم يضع المسيحية في قائمة المشركين انما أكد أن اله الإسلام واحد مع اله المسيحية .. أي اله واحد للمسيحيين والمسلمين كما تحدث في مساواة تامة عن الكنائس والمساجد التي يذكر فيها اسم الله كثيراً.. وتحدث عن المسيحيين كموحدين وسريعي الخطى نحو الخيرات وهم من الصالحين .. وهذه هي النصوص القرآنية :-

١- (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الاهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون) « سورة البقرة ١٣٣»

٢- (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً « سورة الحج ٤٠»

٣- (وألهنا وألهكم واحد ونحن له مسلمون) « سورة العنكبوت ٤٦»

٤- (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون .. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) « سورة آل عمران ١١٤» .

الباب الرابع

التثليث والتوحيد

الفصل الأول

التثليث والتوحيد في المسيحية

سر التثليث :

يعد التثليث في المسيحية مرتبطاً بالتوحيد ونحن لا نتكلم عن التثليث دون التوحيد أو عن التوحيد دون التثليث .. والتثليث سر روحي عميق والسر هو حقيقة تفوق العقل أعلنها الله لنا في كلمته.. ونحن نصدق هذا السر وإن كنا لا ندركه وهذا لا يعني أن السر يناقض العقل إنما يفوق العقل .. وفي السر إعلان لعظمة الله وسموه وعلو أفكاره عن أفكارنا .. وفي الحياة حقائق فوق مستوى فهم الإنسان والحقيقة الدينية لها وجهان وجه ظاهر واضح بين قابل للإدراك وهو الحقائق الطبيعية والعجائب والنبوات ونشأة المسيحية وإستمرارها .. والوجه الثاني للحقائق الدينية هو وجه غير ظاهر وجه غامض يؤكد أن الدين هو من الله لأنه لو كان من إختراع الإنسان لأدرك الإنسان كل شيء فيه ..

والوجود حولنا يمتلئ بالأسرار العديدة التي لا ندركها فنحن وحتى الآن ليس لنا الإلمام الكامل بالعلوم الرياضية والطبيعية والكيمائية .. وعندما نتأمل آلاف الكواكب في الفضاء بحركتها والشمس بأشعتها والأرض بدائرتها نشعر أننا لم نعرف شيئاً بعد .. والقمر الذي كان يوصف به كل شخص جميل صار الآن بعد معرفتنا لجزء منه ليس كما كنا نعرفه .. إن الكون ملئ بالأسرار ورحلة الإنسان نحو فهم هذه الأسرار رحلة سوف تستمر حتى نهاية الحياة ..

والعقل الإنساني هبة من هبات الله لنا ولكن هذا العقل له حدود فهو يدرك ما يدرك ولا يدرك ما لا يدرك وللقلب منطق غير منطق العقل ولو إكتفى الإنسان بمنطق العقل وتجرد من منطق القلب لتحولت الدنيا إلى قطعة ساخنة من جهنم مليئة بصنوف العذاب والمعاناة .. والإيمان هو الزاد المشرق في رحلة الحياة فنحن بالإيمان نرى ما لا نراه بالعيان .. ولهذا توجد حقائق لا يفهمها العقل ولكن يفهمها القلب عن طريق الإيمان .. والإيمان لا يلغي العقل بل أن بولس الرسول يتحدث عن العبادة العقلية (روميه١٢:١) ونحن كما يقول أوغسطينوس لا نؤمن إن لم نرى ما يحملنا على الإيمان.

أهمية التثليث :

يعد تعليم التثليث تعليماً ضرورياً لأنه يعني الحركة في إطار الوحدانية لأن الله كامل في ذاته وفي كيانه كل ما هو ضروري لكماله كما يعطي التعليم بالتثليث مكاناً لأهمية الفداء كما أن هذه الحركة في داخل الله جعلت الله قريباً إلينا وجعل أمامنا طريقاً روحياً للتشبه بالله في صفاته وكمالاته وهذه بعض الأسباب التي تؤكد أهمية تعليم التثليث :

١- يجب تعليم التثليث على الإعتراضات التي يعترض بها على الوحدانية المحضة والمعمدة مثل كيف يكون الله هو الودود أو المحب وبما أنه غير متغير فهو ودود منذ الأزل قبل خلق العالم فمن عساه يكون ذلك الموجود منذ الأزل عند الله .. فالآب هو الودود منذ الأزل .. والإبن هو الودود منذ الأزل كما قال يسوع أحببتني قبل إنشاء العالم .. والإعتقاد بوجود صفة المحبة في الله منذ الأزل يعني أن المحبة بدأت قبل خلقه العالم وأنها كانت بين الأب والإبن الذي بدأ معه الحب منذ الأزل .

٢- يعد تعليم التثليث حلاً لقضية الإنسان الذي يحتاج إلى سر الفداء ويحتاج أن يكون هذا الفداء من الله فالإيمان بإله عادل يجعل طبيعة الإنسان الساقطة غير قادرة على إيفاء العدل الإلهي إلا بوجود فادي إلهي حيث يعلن الله نفسه في شخص كلمته الأزلي الذي يحمل الآلام والأحزان والأوزار عن الإنسان .

٣- التثليث هو وسيلة لإتمام الله لعمل الفداء لأن الله وحده هو القادر أن يقربنا إليه ويجدد قلوبنا ويشفع فينا بأنات لا ينطق بها عن طريق حركة الروح القدس فينا .. فالأقنوم الثاني والأقنوم الثالث يقربنا إلى الأقنوم الأول .

٤- التثليث يجعل الله مثالاً للحياة البشرية فيما يتعلق بالمعاشرة والإلفة الإلهية وذلك بمعاشرة الأقانيم والنسبة البنوية بين البشر وهنا يتمثل الإنسان بحياة اللاهوت ويقوي محبتنا لبعضنا البعض كمحبتنا لأنفسنا وهذا تميز الإنسان على كل الكائنات.

٥- التثليث هو أعظم إكرام من الخليقة نحو الله فالإقرار بأن الله أرفع من أن يدرك بالعقل البشري هو أعظم إقرار له فالإيمان بما لا يدركه العقل يجعلنا نسمو في حياة الروح لأننا نعتقد بما يسمو عقلنا ويعلو فوق فهمنا البشري .

كلمة أقنوم :

إن لفظة أقنوم تنبئ عن كل شيء يوجد في الطبيعة قائم بالكمال الفائق إدراكاً وتعقلاً .. وكلمة أقنوم كلمة يونانية تعني صفة أو ذات فالله في جوهره هو الأب .. هو الإبن .. هو الروح القدس وكل من الأب والإبن والروح القدس هو باعتبار اقنومة في الذات الواحدة ولكل منهم جوهر اللاهوت الواحد بلا إنقسام ولا إنفصال .. فالأقانيم الثلاثة هي ثلاثة مظاهر منفصلة لحياة جوهر فرد غير منفصل .. فالأب هو الأصل هو المصدر وهو الأقنوم الأول قائم بذاته والأقنوم الثاني هو الإبن وهو مولود غير مخلوق واحد مع الأب في الجوهر والروح القدس هو الأقنوم الثالث وهو غير مصنوع ولا مخلوق ولا مولود ولكنه منبثق من الأب .. وكلمة أقنوم تعني صفة جوهرية ويخطئ من يقول إن وجود تعدد مع وحدة أمر مستحيل يناقض العقل لأننا لا يمكن أن ندرك الله كوحدة مطلقة بدون صفات .. والمسيحية تؤمن بأن ذات الله واحدة لا تعدد فيها ولا كثرة وإن ذاته قائمة بثلاثة أقانيم هي الأب والابن والروح القدس هذا التعدد بإعتبار الأقانيم لا يقدح في الوحدة الحقيقية وحدة الذات الألهية ولا يقول بتركيب فيها لذلك نقول الله واحد بذاته ثالوث بأقانيمه .

ولقد سميت الصفات الإلهية الثلاثة الوجود والنطق والحياة أقانيم لأنها صفات جوهرية لازمة لقيام الجوهر الإلهي والقول بها لايحمل قيام جوهر آخر غير جوهر الله عكس الصفات الأخرى مثل قادر فإنها تحمل معنى وجود جوهر آخر مقدور عليه .. وصفة جواد فإنها أيضاً تحمل معنى لوجود جوهر آخر مجود عليه .. وسميع فأنها تعني وجود جوهر آخر مسموع به.

ويلاحظ أن كلمة أقنوم يقرب معناها من معنى كلمة شخص وتطلق على الكائن متى توفرت فيه الشروط التالية :-

أ / العقل والإرادة

ب / إسناد الضمائر الشخصية العاقلة إليه

ج / الصفات الشخصية العاقلة والأفعال العاقلة

وقد نستعمل كلمة أقنوم للدلالة على البشر والملائكة لكن إستخدامها في اللاهوت يختلف عن المخلوق في :

أ / الأشخاص المخلوقون كالبشر والملائكة منفصلين الواحد عن الأخر بينما الاقانيم طبيعة واحدة وجوهر واحد في اللاهوت.

ب / في المخلوقات قيام الواحد ليس متعلقاً بوجود غيره بينما الأقانيم الإلهية واجبة الوجود.

ج / في المخلوقات يشترك أشخاصها في الطبيعة النوعية الجنسية العامة بينما يختلف الأفراد في طبائعهم الخاصة بينما في اللاهوت فالأقانيم متميزون في الأقنومية ولكن يشتركون في كل الكمالات الخاصة بالطبيعة الالهية.

د / لكل مخلوق ذات خاصة به بينما الاقانيم في ذات إلهية واحدة .

الثلاثة أقانيم :

يسمى الأقنوم الأول بالأب وهي كلمة سريانية تطلق عليه فقط ويسمى الأقنوم الثاني بالابن والابن هنا يختلف عن مفهومنا المادي الحرفي وهذه التسمية ترجع الى ضيق لغة البشر وعجزها في التعبير عن العلاقة بين الأقنوم الأول والثاني لذلك إستخدم الوحي الآلهي هذين اللفظين لأنهما المناسبان والقريبان للتعبير عن هذه العلاقة التي ظهرت لنا واضحة في سر التجسد الالهي .. فإن الأقنوم الثاني هو الذي أظهر لنا صورة الله وصفاته وهو الغير منظور لأنه الإعلان الكامل والنهائي عن الله .. ومن المسلم به أن الله ينظر اليه من ثلاثة وجوه مختلفة أولها أنه أزلي مستقل عما سواه وثانيها أنه خالق الكون ومنظم الطبيعة وما فيها ومتولي أمرها والعناية بها فهي منه صدرت وإليه تعود وثالثاً ينظر إلى الله كروح له صلة مستديمة بأرواحنا ينبهنا بواسطة العقل وهذا هو تعليم الثالوث في الوحدة ..

ويمكن بصورة أوضح أن تقول إن الأب هو الأصل والمصدر وهو الأقنوم الأول الذي لا يستمد أصله من أي كائن .. بل هو كائن بذاته وهو أصل اللاهوت وكما يقول اوريجينوس أن الأب هو الأصل أو الله الذي هو من ذاته وبذاته إله .. والأقنوم الثاني هو الابن وهو مولود غير مخلوق فهو ليس خليقة ولا معلولاً لعلة بل أن أصله الأزلي الأقنوم الأول وهذه الولادة ليست مادية وأن الله روح ولما كان الأب موجوداً منذ الأزل والابن الذي هو صورته ليس محدثاً وليس فيه شيء محدثاً بل هو ضروري الوجود أزلي ، أما الروح القدس فهو الأقنوم الثالث وهو

منبثق من الأب مسجود له مع الأب والابن وهو غير مصنوع ولا مخلوق ولا مولود ولكنه منبثق من الأب والأب هو أصله ..

ومما هو جدير بالذكر أن هذا التعبير أقنوم وغيره من التعبيرات التي تتحدث عن اللاهوت هي تعبيرات عاجزة وقاصرة عن إيضاح الحقائق الإلهية وقد قال العلامة أوجين دي بليسي : ما أعلى الحقائق التي تضمنتها عقيدة التثليث وما أدقها فما مستها اللغة البشرية إلا جرحتها في أحد جوانبها وقال اللاهوت بوسويه : لقد خلت الكتب المقدسة من حل لهذه المعضلة حتى وقف أباء الكنيسة حائرين زماناً طويلاً لأن الكلمة أقنوم لا توجد في قانون الإيمان الذي وضعه الرسل ولا في قانون مجمع نيقية وأخيراً إتفق أقدم الآباء على إنها كلمة تعطي فكرة ما عن كائن لا يمكن تعريفه بأي وجه من الوجوه .. وقال اغسطينوس : عندما يراد البحث عن كلمة للإعراب بها عن الثلاثة في الله تعجز اللغة البشرية عن ذلك عجزاً أليماً كما قال اغريغوريوس الكبير أن عجز اللغة يشمل جميع العبارات التي تستعمل في الكلام عن الله وكل ما يقال عنه أقل من أن يليق به ولما كان هذا العقل الزائل ليس كفؤاً بحمده فكيف يستطيع الإنسان ذلك ، وقال يوحنا الدمشقي أن الله بصلاحه الفائق قبل أن يسمى بأسماء الأشياء المألوفة لدينا حتى لا نحرم كل الحرمان من معرفته ولكي يكون عندنا فكر ما عنه حتى ولو كان غامضا .

الثالوث في المخلوقات :

من الصعوبة بمكان تمثيل ذات الله بأمثلة بشرية لعدم التناسب بين سمو الله ومكانتها المتواضعة ولكن هذه التشبيهات هي محاولة لتقريب الحقائق الدينية للإفهام للبشرية وهذه بعض التشبيهات :

١- كل موجود له ثلاث نسب هي الذات والصورة والقوة.

٢- كل شيء ندركه بحواسنا ينحصر تحت ثلاث مقولات الكم والكيف والنسبة.

٣- النار ثلاثة الحرارة والنور واللهيب وكل عنصر فيها يختلف عن الآخر ولكنها نار واحدة .

٤- الشمس قرص وحرارة ونور.

٥- شعاع الشمس نور وحرارة وقوة وهذه الثلاثة واحد.

٦- الإنسان بأصغريه قلبه ولسانه.

٧- في الإنسان ثلاث قوى متميزة هي العقل والفكر والإرادة.

٨- الرقم (٣) حسابياً هو الرقم الذي على وجه ما غير مشتق من غيره بل تتفرع منه سائر الكسور.

٩- المثلث الرياضي يعد شبهاً رياضياً للماهية الالهية.

١٠- الدائرة ثلاثة جواهر يستفرغ العلم الهندسي مجهوده فيها وهي المحور والشعاع والدائرة.

١١- العدد الثلاثي الموجود في تقسيم سائر العلوم وفي العلوم الطبيعية ثلاثة مواد هي المعدني والنباتي والحيواني .. وفي المعدني ثلاث حالات هي الجمودية والمائعية والغازية .. وفي النباتي ثلاثة هي الحشائش والجوم والأشجار .. وفي الحيواني ثلاثة أماكن يعيش فيها وهي اليابس والماء والهواء.

١٢- في الطبيعيات ثلاثة عوامل ممتازة هي النور والحرارة والمغنطيسية.. وفي العلوم الآلية ثلاثة أشياء كائنة في قوة واحدة هي المركز والوجه والإرتداد.

١٣- في العلوم الطبيعية لحفظ حياة الإنسان ثلاثة وظائف خصوصية هي التنفس ودورة الدم والهضم.

١٤- للنفس البشرية ثلاث قوى هي الحس والفهم والإرادة .. والحس إما طبيعي أو ادبي أو عقلي.

١٥- في القواعد اللغوية والكلامية وجد أن القياس الذي يستعمل في تعبير الصور يتضمن قضية كبرى وقضية صغرى ونتيجة.. وفي الجملة ثلاثة أجزاء فاعل وفعل وصفة وفي الفعل ثلاثة أزمنة ماضي وحاضر ومستقبل وفي الزمان ثلاثة أشخاص متكلم ومخاطب وكائن.

١٦- في الخليقة المادية في كنه الموجودات ثلاثة أشياء هي الجوهر والصورة والفاعلية.

١٧- كل مادة لها ثلاثة أبعاد طول وعرض وعمق وكلها في مركب واحد.

١٨- الألوان الأصلية ثلاثة الإحمرار والأصفرار والازرقاق.

١٩- الأسرة تستدعي أب وأم وأبناء.

٢٠- الهيئة الإجتماعية السلطة متقلد السلطة والمرؤوس.

التثليث عند الشعوب :

إن عقيدة التثليث كما في المسيحية أمر مميز لأنه تثليث مرتبط بالتوحيد ولم يسجل التاريخ في صفحاته مثل هذه العقيدة غير أن شعوب العالم عرفت تثليثاً لا يرقى إلى تثليث المسيحية ..

في المسيحية التثليث سر من أعمق أسرار الوجود والحياة وإذا كانت أي لغة مهما حوت من جمال وبيان وبديع هي عاجزة عن شرح الأمر فإن البشر والملائكة يصعب عليهم أن يدخلوا إلى غورها .. لكن التثليث في المسيحية هو حقيقة أعلنها الله لنفسه للبشر من خلال الكتابة من مطلعه وحتى منتهاه والكتاب وضع الخطوط الواضحة والقديمة ثم قام رجال اللاهوت بوضع الصيغة اللاهوتية التي انتهت إليها الأجيال في قانون الإيمان والذي تعترف به الآن كل الكنائس على إختلاف مذاهبها ومشاربها .. ونحن نذكر هنا بعض أفكار الشعوب عن التثليث :-

١- الفراعنة:

يعد الأقباط الفراعنة أول من عرفوا موضوع التثليث في ايزيس واوزوريس وحورس .. لكن هؤلاء كانوا ثلاثة ألهة يمثلون العائلة البشرية .. ولهذا قبل الفراعنة المسيحية قبولاً سريعاً وتجاوبوا مع الثالوث المقدس لكن ليس من أب وأم وولد وإنما من أب هو المصدر وابن هو الكلمة والروح القدس وحتى التوحيد لم يكن غريباً على الفراعنة.

٢- الهند:

يتألف الثالوث عند الهنود من ثلاثة هم براهما وفيشنو وسيفا .. وبراهما هو الموجود غير المتناهي الأزلي الذي أوحد المادة وظهر في إبداع العالم .. أما فيشنو فهو الحكمة الحافظة لهذا العالم المخلوق .. والثالث في الثالوث الهندي هو سيفا وهو إله الموت والملاشاة فيلاشي كل ما يجد .. ويرى الهنود أن هؤلاء الثلاثة يتولون معاً تدبير العالم.

٣- الصين :

يوضح الفيلسوف الصيني لاوشو عقيدة الصين في التثليث بقوله إن الذي تفتش عليه ولاتجده يدعى « أي 1 » والذي تصغى اليه ولا تسمع صوته يدعى

« H1 » والذي تمتد اليه يدك ولا تتمكن من لمسه يدعى « WEI » ولقد نخيل أهل الصين ثلاثة صفات لله وهي : المبدأ الذي تصغى اليه والروح الذي لاتتمكن من لمسه والحروف الثلاثة تكون كلمة « يهوة » وهي كلمة ليست في لغة الصين وهي مأخوذة من العبرانية.

٤- الفرس :

وقد كان الفرس يؤمنون بآلهين واحد للخير والآخر للشر غير أن فلاسفتهم وعلى قمتهم « لزور واسنار » كانوا يتعبدون لثلاثة في اله يسمى « هرموفروا العقل الذي له الكلمة السامية والروح الفاعل له الذي يتمم تلك الكلمة والى لسانه الذي يلفظ الكلمة السامية دون انقطاع ».

٥- اليونان :

تحدثت فلسفة الإغريق عن عدة عناصر لأصل العالم ولقد كان إفلاطون هو سيد الفلاسفة في وطن الفلسفة ويرجع تاريخه الى القرن الرابع قبل الميلاد وكان إفلاطون قد تحدث عن العقل السامي عله العالم ثم عن الروح الذي هو المثال الأول لكل تصورات فهو على وجه الفكر الإلهي أو كلمته وثالثاً يتحدث إفلاطون عن وجود روح عظيمة منتشرة تحيي العالم وتحركه وهي على مذهبه جزء أزلي من الله متحد بالمادة.

٦- في مدينة الاسكندرية :

تأسست المدرسة الإفلاطونية الجديدة تابعة للفيلسوف « فيلونين » في سنة ٢٦٠ق . م وهذا إعتراف بوجود ثالوث واحد في ثلاثة أقانيم الأول هو الوحدة الثابتة .. والثالث هو الروح الذي يحرك العالم .. أما الثاني فهو الذي يربط الأقنومين الأول والثالث وهو العقل المتحرك الذي يربط الأقنومين الأول والثالث وهو العقل المتحرك الذي ليس سوى التصور الالهي.

الفصل الثاني

التثليث والتوحيد في العهد القديم

سر التوحيد :

في أسفار العهد القديم تعليم لا يقبل الشك عن التوحيد وإهتمام شديد بإرساء مبدأ الإله الواحد ، وذلك لأن الشعب اليهودي كان محاطاً بأمم وثنية وكان ميالاً إلى تقليدها في إله يكون ظاهراً في تمثال كما صنعوا في غياب موسى عندما سبكوا عجلاً ذهبياً عبدوه وسط موسيقى راقصة أثارت موسى وجعلته يكسر لوحي العهد .. ولهذا كان التركيز شديداً على وحدانية الله غير أن هناك إشارات ضمنية وسط النبؤات والظهورات تتحدث عن التثليث وهنا نذكر :

أولاً : صيغة الجمع

في اللغات القديمة كان الفرد يتحدث بلغة المفرد وحتى الملوك لم يكن الملك يتكلم بصيغة الجمع فلقد قال لنخبوذ نصر بصيغة المفرد « فصدر مني أمر » وقال الملك داريوس « من قبلي صدر أمر » (دانيال ٤:٦، ٦:١٦) وفي كل إصطلاحات الكتاب حديث من العظماء بالمفرد في القول : أنا فرعون .. أنا يوسف أنا نخبوذ نصر .. أنا كورش ولكن العهد القديم يذكر لنا أن الله تحدث بضمير الجمع وهذه إشارة ضمنية للثالوث المقدس وهذه بعض الكلمات :

١- نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا (تكوين١ :٢٦)

٢- هوذا الإنسان قد صار كواحد منا (تكوين ٣:٢٢)

٣- هلم ننزل ونبلبل هناك ألسنتهم (تكوين١١ :٧)

٤- من أرسل ومن يذهب لأجلنا (أشعيا٦ :٨)

وعندما ندقق في الكلمات نرى أن الوحي كان يستعمل صيغة الجمع في التعبير عن الله وأن كل الأسماء الدالة على الله مذكورة بصيغة الجمع ما عدا بعض الأسماء التي ذكرها بعض الأنبياء مفردة لضرورة شعرية في اللغة العبرانية والذي ورد بصيغة الجمع منها على نحو ثلاثة آلاف مرة بل أكثر والذي ورد بصيغة المفرد لم يزد على خمسين مرة وهذا دليل على أن الله واحد وجمع معاً ويدل على وجود أقانيم في الوحدانية وهذه بعض أمثلة:

أ/ قال إبراهيم : وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي (تكوين ٢٠:١٣) تأتي في النصف العبراني « أتاهــوني الوهــيم » وتعني حرفياً أتاهــوني « آلهة » .

ب/ النص العبراني : اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد (تثنية ٦:٤،٥) يقول : اسمع يا إسرائيل يهوه الوهينا تعني الرب آلهتنا أي أن كلمة الله فيها تلميح في صيغة الجمع يؤكد الحركة داخل الوحدانية.

ج/ إن كنت سيداً فأين هيبتي (ملاخي ١:٦) وفي الأصل العبراني سيداً = أودنيم وتعني سادة.

د/ لأن بعلك رب الجنود اسمه (أشعيا ٥:٥) في الأصل العبراني بعليك عسيك أي بعولك صانعوك.

هـ/ أذكر خالقك (جامعة ١٢:١) في الأصل العبراني خالقيك.. وربما يسأل البعض كيف يكون الله جمعاً وواحداً في آن واحد؟ ! والإجابة أنه لا يمكن وضع حقيقة الله تحت قياس العقل لأن الله روح فوق المادة.. ولأن الله غير مدرك ونحن مدركون وغير محدود ونحن محدودون ولا يمكن البحث في كنه غير المحدود بالعقل المحدود.. وإذا كان التثليث والتوحيد قد سما عن عقولنا وتصوراتنا سمواً لا نهاية له فما علينا إلا أن نخضع ونسلم أن الله أعلن لنا ذاته واحداً وجمعاً لكي يوجه إلى تعدد الأقانيم .

ثانياً : ثلاثة رجال :-

يحكي سفر التكوين ما حدث مع إبراهيم إذ ظهر له الرب .. فرفع عينيه وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه.. وسجد إلى الأرض وقال يا سيد .. فلا تتجاوز عبدك (تكوين ١٨) وظهور الثلاثة رجال هو إشارة واضحة للأقانيم الثلاثة وهذا الظهور الإلهي يكشف لنا عن الحقائق الآتية:

١- أن ملاك الرب وهو «الله» ظهر لإبراهيم كما ذكر في الكتاب بالمفرد الدال في العربية على الوحدانية وإن كان في العبرانية جمعا.

٢- الله ظهر في ثلاثة أقانيم فهو الوهيم وخليله إبراهيم.

٣- إبراهيم وقف أمام الثلاثة وخاطبهم بصيغة المفرد يا سيد فلقد خاطب الثلاثة في الواحد كما نظر إلى الواحد في الثلاثة.

٤- الثلاثة سألوا إبراهيم قائلين : أين سارة امرأتك (تكوين ١٨:٩) وهذا دليل

على ان عمل الثالوث واحد.

٥- إن الذي بشر إبراهيم وسارة بغلام نحو زمان الحياة واحد مع إن السائلين ثلاثة فهم « ثلاثة في الواحد ».

٦- انصرف اثنان إلى سدوم وعمورة وأما إبراهيم فكان لم يزل خاشعاً وقائماً أمام الرب يناقشه في أمر العفو عن سدوم أو العفو عن إبراهيم.

٧- في نفس الوقت كان لوط قد إستضاف الأثنين وأخرجاه وآمراته وابنتيه قبل هلاك المدينة.. واستشفع بهم في صوغر (تكوين ١٩) وخاطب لوط الملاكان بصيغة المفرد .. وكان الرب حاضراً عند إبراهيم وحاضراً عند لوط وهذا دليل وجود الثالوث في الوحدانية.

ثالثاً: الكلمة والحكمة :-

اشتمل العهد القديم على عدة ظهورات للابن المتجسد قبل التجسد.. لأن الله لا يراه أحد ويعيش .. ولأن الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي في حضن الأب هو خبر (يوحنا ١:١٨) ومن بين هذه الظهورات :

١- ظهور الرب لإبراهيم حيث ظهر له الرب عند بلوطات ممرا (تكوين ١٨:١).

٢- وظهوره إلى لوط ومخاطبته للملاكين بصيغة المفرد لا يا سيد (تكوين١٩).

٣- ظهوره لهاجر على عين الماء في البرية حتى أنها دعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت ايل رئي وسمت بئر الماء « بئر لحي رئي» أي بئر الحي الذي يراني (تكوين ١٦:١٣-١٤).

٤- ظهور الرب ليعقوب في رؤيا السلم الذي على الأرض ورآسه يمس السماء حتى أن يعقوب قال ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء (تكوين ٢٨:١٠-١٧) ولقد ظهر ليعقوب مرة ثانية عندما صارعه إنسان حتى مطلع الفجر وسمي المكان فنيئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه (تكوين ٣٢:٢٤-٣٠).

٥- ظهوره لموسى عندما كان يرعى وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة.. وقال له أنا إله أبيك (خروج ٣) ولقد ظهر الله لموسى مراراً وتكراراً بكيفيات متعددة ومظاهر متنوعة وسأله وأجابه ونهاه وأمره وباركه وإنتهره وظهورات الرب لموسى تبدأ من الإصحاح الثالث من سفر الخروج حتى آخر سفر العدد.

٦- ظهور وجه الرب أمام بني يعقوب حيث طالب موسى الرب بهذا وقال للرب إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من ههنا (خروج ٣٣:١٢-١٧).

٧- ظهوره لبلعام : فلقد حمي غضب الرب على بلعام ووقف ملاك الرب في الطريق ليقاومه وهو راكب اتانه .. ولم يرى بلعام ملاك الرب بينما رآه حمار بلعام ثم سجد بلعام وتنبأ بنبؤة عن مجيء المسيا (عدد ٢٢).

٨- ظهور الرب ليشوع حيث ظهر رجل وسيفه مسلول بيده وعندما سأله يشوع هل لنا أنت أولاً لأعدائنا أجاب أنه رئيس جند الرب وكان رئيس جند الرب هو الرب نفسه فقال الرب ليشوع (٦:٢) وهذا تأكيد أن هذا الظهور هو ظهور التجسد قبل التجسد.

٩- ظهور الرب لجدعون وهو تحت البطمة وتشجيعه له الرب معك يا جبار البأس .. وملاك الرب هنا هو الرب متجسداً .. فقال له الرب أنى أكون معك وسنضرب المديانين كرجل واحد (قضاة ٦).

١٠- ظهور الرب لمنوح وامرأته وسمي هنا ملاك الله وسمي رجل الله وسمي أيضاً الرب .. وعمل عملاً عجيباً واسم عجيب من أسماء السيد المسيح (أشعيا٩:٦).

١١- ظهور لصموئيل أن الرب دعا صموئيل وظن صموئيل أن الذي دعاه هو عالي الكاهن .. وعندما قال تكلم يا رب فإن عبدك سامع ثم تحدث معه الله (صموئيل الأول ٣) ويلاحظ أن كل هذه الظهورات هي ظهورات الابن المتجسد .. هذا عدا أن العهد القديم كله يتحدث عن رموز ونبؤات لمجيء المسيا كلمة الرب حيث يقول الكتاب: بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها (مزمور ٣٣:٦) وقيل عن الله ما اسمه واسم ابنه أن عرفت (أمثال٣٠:٤).

رابعاً : الروح القدس :-

تحدث العهد القديم عن الروح القدس بإعتباره روح الله..ونسمة فيه (مزمور ٣٣:٦) وتحدث أشعيا عن الله : أنا هو الأول والأخر ويدي أسست الأرض وعيني نشرت السموات .. أنا أدعوهن فيقفن معاً تقدموا إلي وأسمعوا هذا لم أتكلم من البدء في الخفاء منذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلني وروحه (أشعيا ٤٨:١٢،١٣،١٦) يخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله ويحل عليه

روح الرب (أشعيا ١١) روح السيد الرب على لأنه مسحني لأبشر المساكين (أشعيا ١:٦١) وروحي قائم في وسطكم (حجي ٢ :٥-٧)

خامساً: يهوة والوهيم :-

استعمل العهد القديم كلمتان للتعبير عن الألوهية إحداهما يهوة والأخرى الوهيم وهذه بعض معاني هذان الاسمان العظيمان للرب الإله:

١- الاسم يهوه على مذهب أرباب اللغة العبرانية يطلق على ذات الله وعلى جوهره السامي ولا يستعمل هذا الاسم إلا مفرداً .

٢- الاسم يهوه يعني بالمعنى العربي «القيوم» الواجب الوجود الأزلي وقد اعتبر اليهود أن هذا الإسم هو اسم الذات الإلهية مباشرة .. ودعوه الإسم الأعظم لأن الله جعله اسماً لنفسه فسمى به ذاته أولاً لموسى النبي وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلي دور فدور (خروج ١٥:٣)

٣- تكرر اسم يهوه في أسفار الكتاب المقدس بغاية التبجيل والتعظيم كما يلي :

أ/ هكذا قال الرب صانعها مصورها .. يهوه اسمه (ارميا ٢:٢٣).

ب/ الرب إله الجنود يهوه اسمه (هوشع ٥:١٢).

ج/ هوذا الذي صنع الجبال . يهوه إله الجنود اسمه (عاموس ١٣:٤).

د/ الذي يدعو مياه البحر ويصبها على وجه الأرض يهوه اسمه (عاموس ٨:٥ ، ٦:٩)

٤- كان اسم يهوه عند اليهود اسماً موقراً كل التوقير حتى صار الواحد منهم لا يتجاسر على النطق به في كل وقت .. وعندما كانوا يقرآون الكتاب ويصلون في القراءة إلى هذا الاسم كانوا يخافون ويستبدلونه في القراءة فقط بالاسم أدوناي الذي معناه أربابي وكانوا لا ينطقون باسم يهوه إلا تحت شروط خاصة وأماكن خاصة.

٥- كان كاتب التوراة عندما يكتب يهوه لا يكتبه إلا إذا إغتسل وتناول قلماً جديداً وحبراً جديداً وركع على ركبتيه وعندئذ يكتبه وهو في حالة عبادة وخشوع

٦- من الملاحظ أن الإسم يهوه يطلق على كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة الكائنة في ذات الإله الواحد ، فعن الأب قال الرب لربي (مزمور ١:١١٠) وعن الابن

وأخلصهم بالرب ألههم (هوشع١ ٧:١) وعن الروح :يد السيد الرب وقعت على .. ورفعني روح بين الأرض والسماء (حزقيال ٨:١، ٣).

٧- كلمة الوهيم بمعنى الجمع في الإله الواحد أو تعدد الأقانيم فيه وهي كلمة تعبر عن تصور حضور الله وقدرته وهي لا تستعمل إلا بصيغة الجمع وقد استدل علماء اللاهوت بأنه في لفظة الوهيم وطريقة استعمالها ما يشير إلى وجود عدة أقانيم في الله وقد كتب العلامة مولينور دي مرانفور بحثاً دقيقاً في كتابه فلسفة التاريخ والتقليد وهو حاخام يهودي اهتدى إلى المسيحية..وشرح الأمر كفاهم له ، ويرى علماء اللاهوت أن كلمة الوهيم التي وردت في العهد القديم ألفي مرة إنما تشير بجلاء إلى التثليث في شخص الله الذي اتضح بالتدريج في الإعلانات الإلهية حتى أشرق نوره تماماً في العهد الجديد.

سادساً: البركة المثلثة والتقديس المثلث :

يذكر العهد القديم البركة المثلثة التي كان يقدمها كهنة العهد القديم للشعب ويقولون فيها: يباركك الرب ويحرسك يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك ويرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً (عدد ١٦:٢٣-٢٧) وهنا الاب يحرس الابن يرحم الروح القدس يمنح سلاما.. أما التقديس المثلث فمذكور في سفر اشعيا (٣:٦) قدوس قدوس قدوس .

سابعاً: تلميحات عمومية :

كان التوحيد في العهد القديم يعلو كل منازعة وجدل ولكن هذه الوحدانية كان فيها من التلميح ما يكشف عن طبيعة الثالوث التي يؤمن بها المسيحيون الآن وهذه بعض التلميحات:

١- قال الرب لربي أجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطناً لقدميك (مزمور ١١٠ :١)

٢-من صعد إلى السموات ونزل من جمع الريح في حفنتيه ؟ من صر المياه في ثوب ومن ثبت جميع أطراف الأرض ما إسمه وما اسم ابنه إن عرفت (أمثال٣٠ :٤)

٣- لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابنا وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً ألها قديراً أبديا رئيس السلام (اشعيا ٩ :٦)

٤- بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها (مزمور ٣٣ :٦) وهنا

كلمة الرب الابن والرب الاب ونسمة فيه أي الروح القدس.

٥- منذ الأزل مسحت .. لما رسم أسس الأرض كنت عنده صانعا (أمثال ٨:٢٢-٣٠) ومن هو الممسوح الأزلي الصانع في عمل الخلق سوى السيد المسيح ؟ !

٦- ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل ويكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل لأن الله معنا (أشعيا ٧:١٤،٨:٨،١٠)

٧- يمتلئ العهد القديم في كل كتبه بالنبؤات والرموز التي تتحدث عن السيد المسيح وتتحدث عن مكانته العظيمة وكيف يكون له خضوع شعوب (تكوين ٤٩ :١٠) وكيف أنه يسحق رأس الحية (تكوين٣:١٥) ولقد علم أيوب أن وليه حي والآخر على الأرض يقوم (أيوب ١٩ :25) وتحدث العهد القديم عن المسيح.

٨- المتألم والمسيح الممجد والحجر الذي رفضه البناؤون والذي صار رأساً للزاوية (مزمور ٢٢، ١١٨،٢٣) .. وتحدث العهد القديم عن السيد المسيح الملك والديان والقاضي لمساكين الشعب المخلص الموهوب على الدوام المسجود له والمعبود والصانع العجائب وحده (مزمور ٧٢) وتحدث النشيد عن جمال المسيح الذي هو أبرع جمالاً من بني البشر وتحدث أشعياء عن جبل بيت الرب الذي سوف يرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم (اشعياء ٢) ولقد سمي أشعياء بالنبي الانجيلي .. والسيد المسيح موجود في كل أسفار العهد القديم وهذا أمر يحتاج إلى بحث أوسع ولكن أردنا أن نوضح بعض التلميحات وعلى القارئ أن يلمح ويتأمل في البعض الأخر ليتأكد أن التثليث كان موجوداً في العهد القديم.

الفصل الثالث

التثليث والتوحيد في موكب التاريخ

سر التثليث :

إن عقيدة التثليث والتوحيد هي سر من أعمق أسرار الوجود والحياة وإذا كان علماء اللاهوت قد إعترفوا بأن اللغة مهما كانت جميلة وغنية عاجزة كل العجز عن التعبير عن اللاهوت .. فإننا نرى أنه مهما أوتي الإنسان من بلاغة وبيان فإن سر التثليث أعمق من أن يصل إليه بيان حتى ولو ركب المستحيل لأنه من الصعوبة بمكان تفصيل الأعماق في طبيعة الله ذاتها ، ويظل الإيمان بالتثليث والتوحيد سراً إلهياً لا ندركه إلا بنعمة من عند الله ولهذا فإن المسيحيين لم يؤمنوا بالتثليث بإعتباره رأي بشر أو نتاج فكر إنما لأنه حقيقة أعلنها الله وهذه الحقيقة سارية المفعول من مطلع الكتاب المقدس إلى نهايته .. والكتاب وإن كان لم يضع الصورة اللاهوتية التي انتهت إليها الأجيال إلا أنه رسم الخطوط الواضحة الصريحة الأكيدة التي تكونت منها هذه الصورة..

موكب التاريخ :-

لقد مرت هذه العقيدة في موكب تاريخي عبر زمن وملاحم فكرية .. ومناقشات ومساجلات ومناظرات ومجامع وعلماء وعندما وصلت إلى وضعها النهائي في ألفاظ دقيقة حاسمة صارت من المسلمات والثوابت في المسيحية وهذه رحلة التاريخ :

١- المسيحيون الأوائل في القرن الأول وحتى منتصف القرن الثاني كانوا يعيشون العقيدة المسيحية لكنهم لم ينشغلوا في هذه المرحلة بوضع صيغ محددة للإيمان وكان مرجعهم في أي صعوبة يقابلونها أن يعرضوا الأمر على الرسل أنفسهم من أجل حسم القضايا اللاهوتية.

٢- مع مرور الزمن صارت الحاجة إلى أن تقول الكنيسة كلمتها الحاسمة في قضايا اللاهوت حاجة ماسة وضرورية ولقد بدأ هذا منذ القرن الأول نفسه في أول مجمع مسكوني كنسي عقد سنة ٥١م وذكرت مضابطه في سفر أعمال الرسل وتم فيه حسم قضايا إيمانية ترتبط بدخول الأمم إلى المسيحية دون المرور باليهودية .. وصار قانون هذا المجمع ملزماً لكل الكنائس الموجودة آنئذ .

٣- عندما بدأت تتعدد الآراء وتتشعب دعى الإمبراطور قسطنطين إلى عقد أول مجمع مسكوني في نيقية عام ٣٢٥م وحضره ١١٨ أسقفاً يمثلون الكنائس .. وأصدر هذا المجمع قانون الإيمان .. حيث تم وضع صيغ لاهوتية دقيقة تلتزم بها كل الكنائس وتتحدث عن الإيمان بإله واحد هو الله الأب ضابط الكل .. والإيمان برب واحد هو يسوع المسيح ابن الله المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور .. إله حق من إله حق .. مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر به كان كل شيء وبغيره لم يكن شيئاً مما كان .

٤- توالت بعد هذا المجمع المسكوني مجامع حيث إنعقد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية من ١٥٠ أسقفاً يمثلون كل الكنائس سنة ٣٨١م وكانت الكنائس وقتها وحدة واحدة وقد أضاف هذا المجمع لقانون الإيمان ما يؤكد لاهوت الروح القدس الرب المحي المنبثق من الأب الناطق في الأنبياء .. وصار أمر الثالوث في الله أمراً واضحاً ومؤكداً .. الآن ورغم تعدد الطوائف المسيحية فإن قانون الإيمان هو قانون واحد .. وبعده كان مجمع أفسس المسكوني .. وتعددت المجامع الكنسية وأقرت كل هذه المجامع ما أقرته المجامع المسكونية الأولى وأخذ بهذا الإيمان بالتثليث والتوحيد جيوش الأباء والمفكرين وأهل اللاهوت وإشترك الجميع في تمجيد الثالوث الأقدس الأب والابن والروح القدس.. وقد ذكر مجمع أفسس المسكوني الذي إنعقد في أفسس ٤٣١م بحضور مائتي أسقف أن مهمة الإنسان المؤمن أن يكرز ويبشر بالثالوث المقدس لاهوت واحد يستحق السجود والتمجيد.

٥- وفي ظلال الأكربول .. وفي ساحة الإستشهاد كانت الأغنية القديمة تسبحة في أفواه الشهود تمجد الأب والابن والروح القدس.. تسبحة تتردد مرات في كل صلاة من الصلوات وقد استمرت هذه التسبحة مع موكب التاريخ في الكنيسة لكي تكون جزءاً من الصلوات الليثورجية في الكنائس..

٦- جاءت أقوال الآباء ورجال اللاهوت تؤكد التثليث والتوحيد وهذه بعض النماذج:

أ/ كتب بوليكاريوس يقول: ربنا يسوع المسيح الذي يخضع له كل شيء في السموات وعلى الأرض والذي تخدمه كل نفس.

ب/ قال يوحنا الدمشقي في القرن الخامس : الأقانيم متحدون دون إختلاط

أو إمتزاج ومتميزون دون إفتراق أو إنقسام أنهم الله الواحد.

ج/ توما الأكويني في القرن الثالث عشر يقول : الثلاثة أقانيم هم الله الواحد ولا ينفصل أحدهم عن الآخر لأن جوهرهم الواحد وهو اللاهوت غير قابل للإنقسام.

د/ قال الفيلسوف ليبنتز : إن الذين ينكرون لاهوت المسيح ومع ذلك يصلون له ربما يكونوا طيبين ولكنهم مع ذلك ليسو أستاذة في المنطق.

هـ/ قال تشارلس كنجلي: إن قلبي في حاجة إلى الثالوث كما يحتاج إليه فكري فإني أريد أن أشعر أن الله يعتني بي وأنه أبونا وأنه تدخل وتنازل وقدم نفسه.

إنني لا أريد أن أحب مسيحا هو خليفته وصنعة يديه .. إنني أريد أن أحب وأمجد الله الطاهر بنفسه وليس هناك ما يمكن أن ينتزع الراحة من نفسي حول يقيني في أن المسيح هو بهاء ذاك الذي به نحيا ونتحرك ونوجد.. وأني أقول بقوة وشجاعة أنه لم يكن هناك الثالوث في الكتاب فإنه يلزم أن يكون فكل ما في طبيعة الإنسان الروحية يصرخ في طلبه.. وفي خطاب آخر لهذا العالم إلى أستاذه سنة ١٨٦٥م كتب إليه يقول : لقد علمتني يقيناً أن عقيدة الثالوث حقيقية حية وليست مجرد وضع سفسطائي يهذر به اللسان .. فأنت تعني أن الأب أب حقاً وكذلك الأبن والروح القدس ولقد شققت السبيل من ذلك وما أزال أشق إلى كل دروسي العلمية بل سأجعل هذه الحقيقة منار خطواتي في الحياة .

الخلفية الكتابية:

في العهد الجديد يظهر تعليم التثليث والتوحيد بأجلى بيان كأنه شمس الظهيرة في كبد السماء ، والتثليث والتوحيد هو أول الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة (لوقا ١:١،٢) وهذه هي الخلفية الكتابية للتثليث والتوحيد في حياة السيد المسيح:-

١- البشارة:

في بشارة الملاك جبرائيل لعذراء الناصرة قال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لوقا١ :٣٥) وهنا نرى الله العلي يظلل العذراء بقوته.. وروحه القدوس يحل عليها وابنه القدوس يتجسد ويولد منها.

٢- العماد:

في مستهل خدمة السيد المسيح الجهادية وقت عماده المبارك ظهر الثالوث الأقدس بصورة ماثلة للحواس مما يقطع ظلمة الشك بنور اليقين ..

ولما إعتمد يسوع صعد للوقت من الماء فإذا السموات قد إنفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وأتيا عليه وصوت من السماء قائلا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت (متي ٣:١٦،١٧) وهنا الأب ينادي من السماء..والإبن على الأرض في الماء والروح القدس على شكل حمامة بين الأرض والسماء.

٣- إرسالية المسيح :

في الناصرة تحدث السيد عن إرساليته كإتمام من نبؤات الأنبياء وقال : روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للماسورين بالإطلاق والعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية (لوقا٤ :١٨) وهنا الأب أرسل ابنه .. والابن يؤدي رسالته .. والروح القدس حالاً على الابن مسحه وتأييداً .

٤- معجزات السيد المسيح :

صنع السيد العديد من المعجزات وكان الثالوث المقدس واضحاً فيها وعندما شفي المجنون الأعمى الأخرس قال : إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله (متي ١٢ :٢٨) وهنا الابن يخرج الشياطين والروح القدس يؤيده .. والأب يعلن ملكوته وكان السيد يظهر الثالوث في معجزاته ولا شك في هذا فهو المختار من الأب السماوي والذي قال عنه أشعياء هوذا فتاي الذي اخترته حبيبي الذي سرت به نفسي أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته (متي ١٢ :١٨،١٩) وهنا نرى أبا وابنا وروح قدس ونصرة للحق بلا ضوضاء ولا صياح.

٥- إرسالية التلاميذ :

زود السيد المسيح تلاميذه بالنصائح الغالية مساندة لإرساليتهم: هأنذا أرسلكم كغنم بين ذئاب .. وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم (متى ١٠) وهنا الأب يعطي الروح القدس .. والروح القدس

يتكلم في التلاميذ.. والابن يرسل تلاميذه.

٦- مع نيقوديموس:

أتى هذا العالم اليهودي ليلاً إلى السيد المسيح ودار بينه وبين السيد حوار من بين مضابطه أن أجاب يسوع الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله (يوحنا ٣:٥) وهنا نرى الثالوث في يسوع مؤسس الملكوت .. والله الأب صاحب الملكوت والروح القدس مصدر الولادة الجديدة.

٧- مع السامرية:

عند البئر كان الحوار بين المرأة السامرية والسيد المسيح وكان الحوار عن السجود.. تحدث السيد المسيح عن السجود الحقيقي تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للأب بالروح والحق (يوحنا ٤:٢١،٢٣) فالابن هنا هو الحق السماوي الداعي للسجود والأب هو المسجود له والروح القدس هو الذي يعطي الإنسان المقدرة على السجود.

٨- الفريسيين:

في المناظرة التي دارت بين المسيح والفريسيين في يوم ثلاثاء البصخة في أسبوع الآلام سأل السيد هؤلاء: ماذا تظنون في المسيح ؟ ابن من هو ؟ فقالوا: ابن داؤد فقال لهم :إن داؤود يدعوه بالروح رباً فكيف يكون ابنه ؟ قائلاً : قال الرب لربي أجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك فإن كان داوؤد يدعوه رباً فكيف يكون ابنه (متى ٢٢) .

٩- الخطاب الوداعي :

في كلمات السيد الوداعية كان الثالوث المقدس ماثلاً أمامه في آلامه كابن فادي .. وفي الأب الذي يرسل الروح القدس.. وفي الروح القدس القادم إلينا .. وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب بأسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم (يوحنا ١٤:٢٨) ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق وهو يشهد لي (يوحنا ١٥:٢٦) وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم

كل ما للأب وهو لي لهذا قلت لكم أنه يأخذ مما لي ويخبركم (يوحنا ١٦:١٣-١٥)

١٠- الإرسالية للخدمة :

بعد القيامة المجيدة ظهر الرب يسوع للتلاميذ داخلاً الى تجمعهم والأبواب مغلقة وقال لهم : سلام لكم .. كما أرسلني الأب أرسلكم أنا ولما قال هذا نفخ وقال لهم أقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت (يوحنا ٢٠:٢١-٢٣) فالإبن هنا مرسل من الأب والروح القدس يعطي السلطان للتلاميذ، وكانت آخر توصيات السيد المسيح : فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم بإسم الأب والإبن والروح القدس (متى ٢٨:١٩) .. والمعمودية هنا تتم بإسم واحد هو الله الواحد فلم يقل بأسماء إنما بإسم .. والثالوث تقوم على أساسه المعمودية والتي هي المدخل الى الإيمان المسيحي .

١١- الأناجيل الأربعة :

في الأناجيل الأربعة هناك مواقف كثيرة ذكر فيها الثالوث المقدس ونذكر منها :

١- بشارة الملاك لزكريا :-

(لوقا١:١٩،١٥) فصاحب البشارة هو الملاك جبرائيل الواقف قدام أقنوم الأب.. والمبشر هو يوحنا المعمدان الذي من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس.. وهو أيضاً الذي أعد الطريق أمام مجيء الفادي الابن المتجسد.

٢- تحية اليصابات للعذراء مريم:-

في منزل اليصابات وبعد مجيء مريم كان الثالوث المقدس واضحاً لأن اليصابات إمتلأت من الروح القدس.. وصرخت تقول مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي وهذا ترحيب بأقنوم الابن وقالت عن الأب السماوي: فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب (لوقا١:٣٩-٤٥).

٣- تسبحة زكريا: -

عندما تم مولد المعمدان الذي يهيئ الطريق أمام موكب تجسد الأقنوم الابن .. امتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ ذاكرا الله الأب قائلا: مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وضع فداء لشعبه.. وتحدث عن الخلاص القادم في شخص

المسيح الذي أرسله ابنه أن يتقدم أمام وجه الرب ويخبر بأحشاء رحمة الهنا أي الإبن التي بها إفتقدنا المشرق من العلاء (لوقا ١ :٦٧-٨٠).

٤- طلبة سمعان الشيخ :-

وهو رجل قد وصل من العمر أرذل أيامه وانتظر مجيء الميسا وطال به الانتظار إلى مائتين وثمانون عاماً على عمره وقت الترجمة السبعينية .. هذا كان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب .. فهو بأقنوم الروح القدس ينتظر .. وللاقنوم الثاني ينتظر .. وللآب السماوي يبارك قائلا : الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام (لوقا ٢ :٢٥-٣٥).

٥- وفي صبوة يسوع :-

كان الصبي وهو الابن ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة (من الروح القدس) وكانت نعمة الله (الأب) عليه (لوقا ٢ :٤٠).

٦- في التجربة : -

في تجربة السيد المسيح في البرية .. يسوع ابن الله يجرب من إبليس .. ويتحدث يسوع عن الأب السماوي للرب ألهك تسجد وإياه وحده تعبد .. والروح القدس وراء هذه الخبرة الروحية في التجربة ووراء كلام الله لأنه الناطق في الأنبياء بنبؤات العهد القديم (متى ٤) .

٧- كرازة المعمدان : -

كانت كرازة المعمدان من الله القادر أن يقيم من الحجارة أبناء لإبراهيم وكانت كرازة بالإبن الذي هو أقوى من المعمدان .. وكانت كرازة بمعمودية الروح القدس (متى٣ :٩-١٢).

الفصل الرابع

التثليث والتوحيد وخدمة العهد الجديد

إن لتلاميذ السيد المسيح مكـانة عظيمة في القـرآن الكـريم فهم « أنصار الله » كما في سورة الأعراف .. ولقد اعطتهم سورة يس «الآية ١٣» لقب المرسلون كما ذكرت عنهم سورة المائدة أنهم الحواريون وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي .. هؤلاء التلاميذ هم شهـود للثالوث المقدس فلقد رأوا مجد لاهوت الأب وسمعوا صوته في السماء .. وعاشوا مع الابـن وحـل عليهم الروح القدس في يوم الخمسين واختبروا عمـل الروح القدس في تجديد ومساندة كرازتهم ونورد هنا بعض أقـوال الرسل التي تؤكد وضوح عقيدة التثليث والتوحيد :-

١- بطرس الرسول:

أ / في خطابه في يوم الخمسين شهد: فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الأب سكب هذا الذي أنتم الان تنظرونه وتسمعونه (أعمال ٢:٣٢،٣٣).

ب / وأمام مجمع اليهود جاهر قائلاً عن يسوع: هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس الذي أعطاه الله للذين يطيعونه (أعمال ٥:٣١،٣٢).

ج / في بيت كرنيليوس كانت بشارته: يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذي جال ليصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه (أعمال١٠:٣٨).

د / في مجمع أورشليم قال بطرس في خطابه: والله العارف القلوب شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً لكن بنعمة الرب يسوع نؤمن أن نخلص كما أولئك (أعمال١٥:٨-١).

هـ / في رسائل بطرس الجامعة:

١- الدعوة للنعمة والإختيار بناء على علم الأب وكفارة الإبن وتقديس الروح.. المختارين بمقتضى علم الله السابق في تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح (بطرس الأولى١:١،٢).

٢- لأننا لم نتبع خرافات مصنعة اذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا معاينين عظمته لأنه أخذ من الله الأب كرامة ومجدا اذ أقبل عليه صوت من المجد الأسني هذا هو ابني الحبيب الذي سررت به .. عندنا الكلمة النبوية.. لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس (بطرس الثانية ١:١٦-٢١).

٣- فأن المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة لكي يقربنا الى الله مماتا في الجسد ولكن محييا في الروح (بطرس الأولى٣:١٨).

٤- إن عيرتم بإسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم (بطرس الأولى ٤:١٤).

٢- بولس الرسول والبركة الرسولية:

قدم بولس الرسول ملامح البركة الرسولية التي صارت فيما بعد هي البركة الختامية للصلوات في كل الكنائس المسيحية والتي تفتح بها رسائل البركة أيضا وتقول هذه البركة: نعمة ربنا يسوع ومحبة الله وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم (٢كورنثوس١٣:١٤) وكتأكيد للمساواة بين الأقانيم تبدأ هذه البركة أحيانا بالأب وأحيانا بالإبن وأحيانا بالروح القدس وفي الكنائس التقليدية يصرف العابدون بمحبة الله الأب ونعمة الإبن الوحيد وموهبة وعطية الروح القدس.. ولقد تخلل التثليث والتوحيد خطابات ورسائل بولس الرسول وإذا كان معلمنا بولس لم يذكر كلمة الثالوث لكنها تأتي تلقائية عندما يتعرض لعمل الله المتعدد الاتجاهات .. والثالوث قائم في وعي بولس بصورة واضحة وثابتة.. وبولس حريص أن يذكر عمل كل شخص في الثالوث حسب اختصاصه وأحياناً يأتي العمل الإختصاصي لكل شخص في الله متقارباً جدا مع العمل الآخر فيبدو الثالوث واضحاً للغاية والذي منه تستدل على وجود المسيح السابق لتجسده.. فلقد ذكر بولس البركة الرسولية حوالي ثلاثين مرة..ولقد كان بولس في سرده للعلاقة بين الثالوث المقدس عنده من الدقة والتمييز والتحديد وإعطاء الأمثلة المحددة..وهذه بعض أقوال وخطب بولس عن التثليث والتوحيد :-

١- في الخطاب لكهنة افسس : استدعى بولس قسوس الكنيسة وتحدث معهم عن « أن الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً : إن وثقا وشدائد تنتظرني ولكنني لست أحتسب لشيء ولا نفسي ثمينة عندي حتى أتمم بفرح سعي

والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله (أعمال ٢٠:٢٣،٢٤) فهنا نرى نعمة الله الأب.. وخدمة الرب يسوع .. وبنوة الروح القدس.

٢- يؤكد بولس عمل الثالوث وإن الثلاثة واحد وإن كان لكل أقنوم عمله فيقول: فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد.. وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد.. وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل (كورنثوس الأولى ١٢:٤-٦).

٣- صورة الثالوث تأتي بين سطور كلامه : ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني .. ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الأب إذا لست بعد عبد بل ابنا وإن كنت ابنا فوارث الله بالمسيح (غلاطية٤:٤-٧).

٤- التبني يعد عمل الروح القدس وجعلنا مع المسيح ورثة للأب السماوي : الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله .. إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الأب ، الروح نفسه يشهد مع أرواحنا أننا أولاد الله ، فإن كنا أولاداً فأننا أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح (رومية ٨:١٤-١٧).

٥- المعمودية لم يذكرها بولس إلا تحت مظلة الثالوث المقدس.. فالمعمودية ميلاد ثاني من رحمة الأب وتجديد بالروح القدس وهي في يسوع المسيح: ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس الذي سكبه بغني علينا بيسوع المسيح مخلصنا (تيموثاوس ٣:٤-٦) لكن أغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح ألهنا (كورنثوس الأولى٦:١١).

٦- الثالوث يعمل في كرازة بولس الأب مسحه رسولاً والإبن هو موضوع الرسالة والروح القدس هو ختم الرسالة : ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا (كورنثوس الثانية ١:٢١،٢٢).

٧- في كهنوت بولس الثالوث له عمله الأب يقبل الذبائح المستوفاة الشروط والابن يعطيها لحمه ودمه ميتاً ومقاما بالإنجيل والروح القدس يستوفي بالتقديس شرط القبول للذبيحة والرضى لدى الأب .. بسبب النعمة التي وهبت لي حتى

أكون خادما ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولا مقدسا بالروح القدس (رومية ١٥:١٥،١٦).

٨- تحدث بولس عن الثالوث وعمله المشترك كما كان له حديث عن مفردات الثالوث عن المسيح ابن الله الذي الكل به وله قدخلق.. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل (كولوسي ١:١٦،١٧) الذي هو صورة الله غير المنظور (كولوسي١ :١٥) والذي هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته (عبرانيين١ :٣) والذي لم يحسب نفسه خلسة أن يكون معادلاً لله (فليبي٢ :٦) والذي هو قوة الله وحكمته (كورنثوس الأولى١ :٢٤) والذي فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا (كولوسي٢ :٩) ولكي تجثو بإسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الأب (فليبي ٢ :١٠،١١) الكائن على الكل ألها مباركاً إلى الأبد آمين (رومية ٩:٥) لنا إله واحد الأب الذي منه جميع الأشياء ونحن له.. ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به (كورنثوس٨:٦) بالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد رفع في المجد (تيماثوس الأولى٣: ١٦) ابن الله يسوع المسيح الذي كرز به بينهم (كورنثوس الثانية ١:١٩) كما تحدث بولس الرسول عن الأب منفرداً .. ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الأب (غلاطية٤ :٦) مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح (أفسس١ :٣) نشكر الله وأبا ربنا يسوع المسيح (كولوسي ١:٣) أحني ركبتي لدى أبي ربنا يسوع المسيح (افسس ٣:١٤) كما تحدث بولس الرسول عن الروح القدس بمفرده .. الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله (رومية ٨:١٩) أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الأب (رومية ٨:١٥) لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله (كورنثوس ٢ :١٠) وبولس الرسول هو أكثر من أشار أن الإنسان هو هيكل الله وروح الله يسكن فيه (كورنثوس الأولى ٣:٦) وبولس الرسول يتحدث عن لاهوت الروح القدس الذي له الإمكانية أن يفحص أعماق الله وهو كل المعرفة وله كل الصفات والميزات الإلهية الكاملة وهو في عمق الثالوث مع الأب والابن بغير إفتراق في وحدانية جوهرية وذاتية بأن واحد.

٣- خطاب اسطفانوس :

في خطاب اسطفانوس أمام مجمع اليهود كان اسطفانوس قوي الحجة ساطع

الدليل فلقد أكد بالبينات عمل الأقانيم الثلاثة في قضية الفداء وتكلم عن الأب الذي تكلم على فم الأنبياء وعن الإبن الذي تنبأ عنه الأنبياء والروح القدس الذي يقاومه الشعب لعدم سماعهم أقوال الأنبياء .. لقد أخذ اسفطانوس يعدد معاملات الله المتنوعة مع بني إسرائيل وكان الإتهام ضد اسطفانوس أنه يتكلم كلام تجديف ضد الهيكل والناموس وبأن يسوع الناصري سوف ينقض الهيكل ويغير عوائد موسى وسأله رئيس الكهنة أترى هذه الأمور هكذا هي .. فأجاب في خطاب .. وشخص إليه الجالسين في المجمع جميعهم ورأوا وجهه أنه وجه ملاك .. ومن بين كلامه جاء ذكر الثالوث المقدس : يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان أنتم دائماً تقاومون الروح القدس كما كان أباؤكم كذلك أنتم .. أي الأنبياء لم يضطهده أباؤكم وقد قتلوا الأنبياء الذين سبقوا فانبأوا بمجيء البار الذي أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه (أعمال ٧).

٤- رسالة يهوذا: تحدث يهوذا ليس الأسخريوطي في رسالته ذات الإصحاح الواحد محرضاً المؤمنين لكي يبنوا أنفسهم عن طريق شفاعة الروح القدس ومحبة الله الأب ورحمة المسيح الابن: وأما أنتم أيها الأحباء فأبنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس مصلين في الروح القدس وأحفظوا أنفسكم في محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية (يهوذا ٢٠:٢١).

٥- يعقوب الرسول : في رسالة يعقوب وهي أول الرسائل الجامعة التي تسمى «الكاثوليكون» تحدث يعقوب عن الآب وعن الإبن وعن الروح القدس فهو يكتب بوحي الروح القدس وهو عبد الله الأب وعبد للرب يسوع المسيح (يعقوب١ ١:١).

أ/ وقد قال عن الأب : الديانة الطاهرة النقية عن الله الأب هي هذه إفتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم (يعقوب١ ٢٧:١) وعن اللسان يقول : به نبارك الله الأب (يعقوب ٣ ٩:٣) .

ب/ وعن الأبن الأقنوم الثاني : يقول يا أخوتي لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح رب المجد في المحاباة (يعقوب ٢ ١:٢) طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال أكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه (يعقوب ١ ١٢:١) فتأنوا أيها الأخوة إلى مجيء الرب هوذا الديان واقف قدام الباب (يعقوب ٥ ٧:٥-٩) أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه باسم الرب وصلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له

(يعقوب ٥:١٤،١٥) .

ج/ وعن أقنوم الروح القدس كتب في رسالة مجمع أورشليم يقول: رأي الروح القدس ونحن (أعمال١٥ :١٨).

٦- أعمال الرسل:-

ذكر الثالوث المقدس في مواضيع عديدة في سفر أعمال الرسل نذكر منها:

أ / قصة شفاء الأعرج (أعمال ١ :٧،٨)

ب / صلاة الرسل وقت الإضطهاد (أعمال ٤ :٨-١٠)

ج / بعثة بطرس ويوحنا للسامرة (أعمال ٨: ١٤-١٧)

د / تعميد فيلبس المبشر للخصي السوداني (أعمال ٨: ٢٦-٢٩)

هـ / إهتداء شاول (أعمال ٩: ١٧-٢٠)

و /خدمة برنابا في إنطاكية (أعمال ١١: ٣٢-٣٤)

ز /خدمة بولس بروما (أعمال ٢٨: ٢٣-٢٦)

٧- يوحنا رسول التثليث والتوحيد: كان معلمنا يوحنا رجل اللاهوت والمحبة هو أكثر من أوضح سر التثليث والتوحيد في قوله: إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس .. وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد (يوحنا الأولى٥:٧،٨).

وتحدث يوحنا في رسالته الأولى عن الثقة التي تقوم على دعامة الثالوث الأقدس فالروح القدس يشهد لكل من يؤمن بالمسيح أنه في سلام كامل مع الله الأب أيها الأحياء ، إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله ومهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه وهذه هي وصيته أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا (ايوحنا ٣:٢١- ٢٤) كما رسم يوحنا أمامنا طريق غلبة العالم في الابن الغالب والروح القدس الشاهد للحق من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح لا بالماء فقط بل بالماء والدم والروح هو الذي يشهد لأن الروح هو الحق (١ يوحنا ٥:٥،٦) والأب يشهد انه أعطانا الحياة الأبدية في ابنه والابن نفسه يشهد أنه أعطانا الحياة بالماء والدم الخارجين من جنبه المفتوح والروح القدس نفسه يشهد بالحق لأرواحنا ويختمنا بالتبني.

٨- سفر الرؤيا والتثليث : إن سفر الرؤيا هو سفر لاهوت التثليث والتوحيد والسفر هو سفر نبوي يشتمل على حركة الثالوث في الإله الواحد.

أ/ يبدأ السفر بتحية تؤكد التثليث والتوحيد نعمة لكم وسلام من الكائن والذي كان والذي يأتي ومن السبعة الأرواح أمام عرشه ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات (رؤيا١:٤،٥)

ب/ في قصة الرؤيا يقول: كنت في الجزيرة التي تدعى بطمس من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح كنت في الروح في يوم الرب (رؤيا١:٩-١٠).

ج/ في كتابته لملاك كنيسة أفسس : ولكن عندك هذا إنك تبغض أعمال النيقولاويين التي أبغضها أنا أيضاً. من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله (رؤيا٢:٦،٧).

د/ في الحديث إلى ملاك كنيسة تياتيرا .. من يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية فسأعطيه سلطاننا على الأمم فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف كما أخذت أنا أيضاً من عند أبي وأعطيه كوكب الصبح من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس (رؤيا ٢:٢٦،٢٩).

هـ/ في حواره مع ملاك كنيسة ساردس .. من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضا ولن امحو أسمه من سفر الحياة وسأعترف باسمه امام أبي وأمام ملائكته من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس (رؤيا ٣:٥،٦).

ز/ في بركته لملاك كنيسة فلادلفيا .. من يغلب فسأجعله عموداً في هيكل إلهي ولا يعود يخرج إلى خارج وأكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي واسمي الجديد من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس (رؤيا ٣:١٢،١٣).

ح/ وإلى ملاك كنيسة اللادوكيين .. يتحدث عن الأب صاحب العرش والابن الجالس عن يمين ابيه والروح القدس صاحب كلام الروح .. من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرش كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس (رؤيا ٣:٢١،٢٢).

ط/ وعن القديسين الصابرين والشهداء الصامدين يتحدث سفر الرؤيا عن

نعمة الثالوث فيهم : هنا صبر القديسين .. هنا الذين يحفظون وصايا الله وإيمان يسوع وسمعت صوتاً من السماء قائلا لي: أكتب طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن نعم يقول الروح لكي يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم (رؤيا ١٤:١٢،١٣).

ي/ وعن الكنيسة المنتصرة وهي العروس وعريسها هو الابن الذي فداها وهي نازلة من عند الأب السماوي ويراها الناس بالروح القدس: هلم فأريك العروس امرأة الخروف فذهب بي بالروح إلى جبل عظيم عال فأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله (رؤيا ٢١:٩،١٠).

ك/ وفي الختام يؤكد سفر الرؤيا عمل الثالوث المقدس: أنا يسوع أرسلت ملاكي لأشهدكم بهذه الأمور عن الكنائس أنا أصل وذرية داؤد كوكب الصبح المنير والروح والعروس يقولون تعال (رؤيا٢٢:١٦).

وهكذا نرى سر التثليث والتوحيد يسري في كيان الكتاب المقدس كله والكتاب كتب بوحي الروح وإرشاده وتحدث عن الأب السماوي الذي من محبته لنا أرسل إلينا ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.

الفصل الخامس

التوحيد والتثليث في الإسلام

رأي واحد:

في محاولة هادفة نحو الحق نرى أن هناك رأي واحد فيما يختص بالتوحيد والتثليث.. فالمسيحية تؤمن بالتثليث وتعتبر عقيدة التثليث قطب النصرانية وقوامها وكانت عقيدة التثليث هي مصدر الخصب في البشرية ومصدر التسامي فوق مستوى الإنسانية والحجة الصادقة على صدق الدين لأنها تغلغل إلي الصميم وجولة روحية في ذاته اللامتناهية وأسرة روحية تسير رحلة الحياة تحت كنف أب واحد هو الله ومعلم واحد هو الكلمة وروح واحد هو روح الله

وعاشت المسيحية عقيدة التوحيد والتثليث ، وجاء الإسلام ووافق وبكل ترحيب على العقائد المسيحية وإعتمدها وإعتمد التوحيد وكانت نظرية القرآن الكريم في الأديان والأنبياء والكتب المنزلة أن الدين واحد ورسالة الأنبياء التي تحمله واحدة والكتاب الذي يحويه رغم تعدد نسخه واحد ولقد شجب القرآن آي تفرقة ، وأعتد للكافرين بالوحدة عذاباً مهينا . وتحدث عن الذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم «سورة النساء ١٥١» وأكد أننا (لا نفرق بين أحد من رسله) « البقرة ١٣٦» والذين يحاولون أن يتهموا المسيحيين بالشرك وعدم التوحيد إنما يخرجون عن روح القرآن الكريم فالمسيحية هي ديانة التوحيد بل هي الأصل في التوحيد والإسلام فرع يؤكد التوحيد فهل يفتخر الفرع على الأصل ؟! لقد دخل الإسلام مع المسيحية في خندق واحد وأنبرى يدافع عن العقيدة المسيحية مثلما تدافع عنها المسيحية وكان رفضه للتثليث المبتدع تعليم واضح ورد قوي فاضح لهذه الهرطقات التي لاقت مكاناً في شبه الجزيرة العربية وسط جماعات كانت بعيدة عن مراكز الفكر والتعليم تحيا في صحراء الفكر ومتاهات الرمال.

تثليث مرفوض :

يرفض الإسلام نوعاً من التثليث لا تعترف به المسيحية إنما يعبر عن واحدة من البدع والهرطقات التي كانت يوماً ما والإسلام يرفض:

١- تثليث الأب والأم والإبن.

٢- يرفض أن يكون لله صاحبة ومنها ولد.

٣- يرفض أن يكون الله ثالث ثلاثة .

٤- يرفض تثليث الشرك وتعدد الآلهة.

٥- يرفض فكرة مبدأين واحد للخير والآخر للشر كما قالت المانوية والديصانية.

٦- الإسلام يرفض البنوة التناسلية.

٧- الإسلام يرفض تأليه العذراء مريم.

٨- الإسلام يرفض تأليه السيد المسيح من دون الله.

٩- الإسلام يؤكد أن الله قادر على أن يتخذ له ولداً بطريقة أخرى لو أراد .

النصوص القرآنية :

وتأتي النصوص القرآنية التي تتحدث عن رأي الإسلام في التثليث كما يأتي:

١- (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها إلي مريم وروح منه فأمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة إنتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا) «سورة النساء ١٧١».

٢-(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) « المائدة ٧٣ ».

٣- (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا ياكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون) «المائدة ٧٥».

٤- (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس إتخذوني وأمي ألهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم) «المائدة ١١٦».

٥-(أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) «الأنعام ١٠١».

٦- (وقال الله لا تتخذوا إلهين إثنين إنما هو إله واحد) «النحل ٥١».

٧- (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) « الزمر ٤ ».

مفهوم النصوص :

يفهم من هذه النصوص أن القرآن يتحدث هنا عن الولادة التناسلية وهذا أمر ضد تنزيه الله ولم تقل المسيحية إطلاقا بهذه الولادة التناسلية فالمسيح مولود ولادة إلهية بدون زرع بشري . والقرآن يرى أنه لو أراد الله أن يكون له ولد لكانت له طريقة أخرى وهو هنا يؤكد مقدرة الله على إتخاذ ولد من باب غير باب التناسل وإن كانت النصوص تتحدث عن السيد المسيح أنه كلمة الله فهذا هو المفهوم المسيحي أن المسيح هو الكلمة والكلمة هي بنت الفكر والكلمة صار جسدا.

إجماع على الرفض:

والإسلام والمسيحية يرفضان مثل هذا النوع من التثليث والقرآن هنا يشن حملة في شأن التثليث ليس على النصارى كلهم بل على فئة منهم قد ذهبت في متاهات الضلال أي الذين قالوا الذين كفروا منهم ويبدو أن بعضاً من نصارى الحجاز قد إعتنقوا هذا المفهوم الخاطئ الشاذ عن التثليث وذلك لبعدهم عن مراكز النصرانية الفكرية. ولما وقعت أقوالهم في مسمع رسول الإسلام ثار عليهم بحق ودعاهم الى التعقل وإنتهاج الطريق السوي .. ولقد بنى الرسول دعوته تلك الفئة التي كفرت إلى نبذ هذا التثليث بناء على شهادة جعلها على فم المسيح نفسه يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم .. ثم بنى دعوته على العقل وبداهة المنطق وما من إله إلا إله واحد والمسيح وأمه كانا يأكلان الطعام وما لا يملك ضرا ولا نفعا لا يمكنه أن يكون إلهاً أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا.. والتثليث الذي رفضه الإسلام هو تثليث مرفوض من المسيحية وذلك لما يلي:

١- تحدث القرآن عن ثالوث غير ثالوث النصارى لأنه تحدث عن ثالوث الأسرة الإلهية التي كانت شائعة في العالم الوثني في شبه الجزيرة العربية وفي غيرها من أرض الله الواسعة .. وهو ثالوث يتكون من ذكر وأنثى يتفاعلان معا على نحو ما يجري بين الناس وينجبان عن هذه الطريقة أعقابا.

٢- هناك فرق بين هذا الثالوث وثالوث المسيحية الذي لا اتخاذ فيه ولا تاليه ولا أثر لزوجة ولا لعلاقات مادية بين ذكر وأنثى بل هو محض علاقات ذاتية وتفاعل روحي في جوهر الله الواحد الأحد.

٣- ثالوث المسيحية لم يتعرض له القرآن الكريم إطلاقا لا من قريب ولا من

بعيد لا في قليل ولا في كثير ولا نفيا ولا اثباتا لا صراحة ولا ضمنا.

٤- يستعمل القرآن الأوضاع الفلسفية التي استعملها الإنجيل للتعبير عن تلك العلاقة الذاتية في الله ويطلق القرآن هذه الكلمات ويجيزها دون أن يناقشها فالحديث عن كلمة الله ، روح القدس ، روح الله يدل على أن الذات الإلهية يمكن أن يقوم فيها الله وكلمته وروحه وهذا هو بالضبط الثالوث المسيحي.

٥- إن نسبة البنوة إلى الله عن طريق صاحبة لم تقل بها المسيحية لأنها تقتضي توالداً جسدياً وتتابعاً زمنياً ، لكن المسيحية تعلم أن ولادة الإبن من الأب هي ولادة طبيعية وليست نسبية .. وهي ولادة عقلية روحية وليست مادية جسمانية .. وهي ولادة أزلية وليست زمنية .. وهي ولادة متصلة وليست منفصلة .. وهي ولادة فريدة من نوعها ليس لها نظير في عالم الحس والمادة.

٦- الثالوث الذي تحدث عنه الإسلام فيه رائحة التعددية والتميز بين أب وابن وأم ولكن المسيحية تؤمن بأن ذات الله واحدة لا تعدد فيها ولا كثرة وأن ذاته قائمة بثلاثة أقانيم هي الأب والابن والروح القدس وهذا التعدد بإعتبار الأقانيم لا يقدح في الوحدة الحقيقية وحدة الذات الإلهية ولا يقول بتركيب فيها لذلك تقول المسيحية الله واحد بذاته ثالوث بأقانيمه.

٧- الصفات الإلهية الثلاثة في الثالوث المسيحي هي الوجود والنطق والحياة هي صفات جوهرية لازمة لقيام الجوهر الإلهي والقول بها لا يحمل معنى قيام جوهر آخر غير جوهر الله.

٨- إذا كان التثليث المسيحي أمر لا يدركه العقل فأن هناك أمور كثيرة نسلم بها دون أن يدركها العقل فهناك ظواهر لا نستطيع فهم حقيقتها رغم وقوعها تحت حواسنا مثل مظاهر الحياة البيولوجية ومثل الكهرباء المغناطيسية والراديو والذرة ووسائل التواصل الحديثة . ولقد ذكر الإسلام أن الوحي الإلهي يعلن أموراً كثيرة لا يدركها العقل بالحواس مثل قصة الخلق ومعجزات الأنبياء والقيامة والدينونة.

وهنا يقول أبوبكر الصديق عن الله سبحانه أن الجهل بذاته هو عين العلم .. والبحث عن ذاته شرك والجهل بذاته إدراك .. عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي.

٩- الإسلام قاوم تثليثا تنكره المسيحية فهو قاوم تثليثا غريبا وغير مقبول يجعل من الله عنصرا ذكرا ومن مريم عنصرا أنثى والمسيح ولد لهما أنجباه عن طريق التناسل الجسدي ولكن المسيحية تؤمن بإله واحد بالجوهر وفي هذا الجوهر الإلهي الواحد يقوم ثلاثة اقانيم أو علاقات ذاتية جوهرية أب وابن وروح قدس ، فلا أثر هناك لمريم ولا لولادة جسدية مادية تناسلية فأين إذن ثلاثية القرآن التي يحاربها من ثالوث الإنجيل الذي يؤمن به النصارى ؟!

١٠- يرى بعض المفكرين أن هناك اعترافاً بالإجماع على الإيمان بالله وكلمته وروحه وإن اختلفت الأديان في التعبير عن هذا..فالإنجيل يقول .. يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة (أعمال ١٠:٣٨) وهذه نفس عبارة التوراة : هوذا فتاي الذي اخترته حبيبي الذي سرت به نفسي أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق (متى ١٢:١٨) وهي نفسها عبارة القرآن الكريم (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بالروح القدس) «سورة البقرة ١٧» ويقول العالم الإسلامي أبي البقاء في كليات أبي البقاء أن الله سبحانه وتعالى علم وعالم ومعلوم والعلم حقيقة مجردة من الغواشي الجسمانية .. وهذه الحقيقة المجردة حاضرة لديه وغير مستورة عنه فهو عالم .. وإذا كانت هذه الحقيقة لا تحصل إلا به فهو معلوم.

١١- كانت بدعة المرقونية بدعة لها مكان في الجزيرة العربية وهي بدعة لفظتها الكنيسة وحرمت اتباعها وهم يقولون بتثليث باطل ويؤمنون بثلاثة آلهة إله عادل أنزل التوراة وإله صالح نسخ التوراة بالإنجيل وإله شرير هو إبليس.

التثليث والتوحيد في الإسلام :

يقول علي بن أبي طالب : عرفت ربي بما عرفني به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس ولا يشبه بالناس قريب في بعده بعيد في قربه فوق كل شيء ولا يقال تحت كل شيء .. وجاء في كتاب اليواقيت . تعالى الله عن إدراك العقول والحواس والخيال ولذلك انفرد سبحانه وتعالى بالحيرة في وصف كماله في علمه سواء ولا شاهد غيره ولا أحاط به علما .. أما كتاب الفتوحات فيقول: أعلم أن الحق تعالى لا يدرك بالنظر الفكري أبداً وليس عندنا أكبر من ذنب الخائضين في ذات الله بفكرهم فإنهم قد أتوا بأقصى درجات الجهل .. وكل ما قاله رجال الإسلام يؤكد أننا لا نعرف عن الله غير الجهل به كما يؤكد أنه لا يمكن لنا بعقلنا

البشري أن ندرك هذه الأسرار التي ترتبط بذات الله لهذا يعتبر المسيحيون أن التثليث سر إلهي ولا يقدر أحد أن يقول به إلا بالروح القدس .. ولقد تحدث الإسلام عن الله بما يتفق مع المفهوم المسيحي للوحدانية والثالوث فهناك إيمان بالتعدد في الوحدة وفيها تعدد الصفات وتعدد الأسماء وتعدد الخواص كما يتحدث القران عن الله بصيغة الجمع ويأتي في القران الكريم في سوره ونصوصه حديث عن التثليث المسيحي بصورة ضمنية.

اولاً: تعدد الصفات :

يؤمن الفكر الاسلامي بأن لله صفة نسبية هي الوجود وصفات سلبية هي القدم والبقاء والمخالفة للحوداث والقيام بالذات والوحدانية وله سبع صفات معنوية متباينة متغايرة هي الحياة ، والعلم ، والإرادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . على أن الله في صفاته لا يحتاج الى الكائنات الأخري بل الكائنات في حوجة اليه لم تكن انت محتاجاً الي عبوديتي بل انا المحتاج الى ربوبيتك .. فالله منزه عن الحاجة لغيره . ويقول القران هنا (فإن الله غني عن العالمين) « آل عمران ٩٧» (فأن الله غني حكيم) «الزمر٧» (كل شئ هالك الا وجهه) « القصص ٨٨ » (ومن يجاهد انما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين) « العنكبوت ٦» ويقول أبي البقاء الله علم وعالم ومعلوم ويقول ابن سينا الله عقل وعاقل ومعقول . وهنا يسلم الفكر الاسلامي بالتعدد في الصفات مع وحدة الذات وهنا يمكن ان نقول :

١- الله له صفة الحياة ونرى في ذات الله حياة وحي ومحي.
٢- لله صفة العلم ونرى في الله علما وعالما ومعلوماً.
٣- لله صفة الإرادة ونرى في الله إرادة ومريدا ومرادا.
٤- لله صفة القدرة ونرى في ذات الله قدرة قادراً مقدورا.
٥- له صفة السمع ونرى في ذات الله سمعا وسامعا ومسموعا.
٦- له صفة البصر ونرى في ذات الله بصرا وبصيرا ومبصرا.
٧- من صفة الكلام نرى في ذات الله كلمة متكلما متكلم معه.
٨- من صفة المحبة نرى في ذات الله محبة ومحبا ومحبوبا.

ثانيا : تعدد الاسماء :

يذكر القران الكريم أسماء عديدة لله ويحمل كل اسم معني خاصا .. والأسماء الحسنى لله هي تسعة وتسعون اسماً (ولله الأسماء الحسني فأدعوه بها) «الأعراف ١٨٠» (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن اياً ما تدعو فله الأسماء الحسنى) «الاسراء ١١٠» . وتعدد الأسماء يعني في نظرنا أن الله منذ الأزل فيه الأقانيم التي نحددها بثلاثة أقانيم لأنه من صفات الله الجامع فكيف يكون جامعا منذ الازل ومن صفاته السلام فكيف يكون سلاماً منذ الأزل ؟ الا يقتضي هذا الحركة الداخلية في ذات الله الواحد ؟

ثالثا : تباين الصفات :

ينسب الإسلام لله صفات متباينة وليس هناك مانع منها لأنها فعلاً صفات الله ولكن هذه لايمكن أن نفهمها دون إعتماد الأقانيم فمن اسماء الله :-

١- القدوس .. الحق .. البار وهذا يعني صلاحه المطلق وكراهيته للخطية.

٢- العدل .. الضار .. المنتقم وهذا يعني الإنتقام العادل من الخطية بلا تساهل.

٣- الغافر .. العفو.. الرحيم وهذا يعني تبريره للمذنب تبريرا كاملا.

٤- الحكيم تعني التدبير الصالح.

٥- القوي وتعني القادر علي كل شي.

٦- الكريم وتعني البذل والعطاء.

لكن السؤال هو كيف يمكن أن يكون الله منتقماً غافراً في نفس الوقت ؟

إن القرآن الكريم يقول انه لا ملجأ من الله إلا اليه « التوبة ١١٩» صلاحه أوجب القصاص وحكمته اقتضت الفداء فوفقت بين عدله ورحمته .. قوته جعلت التأنس ممكناً لإتمام الفداء ..كرمه جعل الناسوت كفارة لكل الخطايا.ويرى المسيحيون انه على الصليب كان الحق والرحمة.. العدل والحكمة .. القوة والكرم ، وظهر مجد الله بصورة عجيبة تليق به وتفوق إدراك البشر..وهذا الأمر ليس صعباً أمام الله (قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضياً) « مريم ٢٠».. ويقتضي عمل الفداء مجئ معزي الهي انساني قادرا أن يعلن عمل الخلاص للنفس ينيرها من ظلمة الخطيئة ويخصص عمل

الفداء لها ويقدسها ويمجدها ويعيدها لصورة البر ويحفظها في السلام والكمال والسعادة إلى الأبد هذا المعزي هو الروح القدس الذي من أسمائه : الهادي ، الراشد ، السلم ، المعيد ، الحافظ.

رابعاً : تعدد الخواص:

إن المحبة هي من صفات الله ويقول القرآن (وألقيت عليه محبة مني) « سورة طه ٣٩» وإذا كان الله محبة فكيف يتم تبادل المحبة ؟ ان وجود خواص متميزة في الله يسهل للأذهان حقيقة الأقانيم الثلاثة.. ومن المعروف أن أمور الله غير المنظورة ندركها من أعماله المنظورة وعندما تأمل داؤد النبي في الإنسان وفي الله ووازن بين هذا الأعلى وذاك الأدنى وجد نوراً ساطعاً يكشف له خبايا الصفات الإلهية السامية فقال : الغارس الأذن الا يسمع ؟! الصانع العين ألا يبصر ؟! المؤدب الأمم ألا يبكت؟! المعلم الإنسان معرفة الرب يعرف أفكار الإنسان أنها باطلة (مزمور ٩٤:٩-١١) وبولس الرسول يقول : لأن من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله (كورنثوس الأولى ٢:١٢).

والإنسان نفسه هو ذات موجود يتميز عن العدم بخاصية الوجود.. وحي يتميز عن الجماد بخاصية الحياة .. وناطق يتميز عن الحيوان بخاصية النطق ومع وجود الخواص الثلاثة فيه متميزة فهو إنسان واحد.

الفصل السادس

الوحدانية والثالوث على ضوء الخليقة

المنظور وغير المنظور:

أعلن فيلسوف المسيحية بولس الرسول أننا ندرك غير المنظور عن طريق المنظور وقال عن الله لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته (رومية ١:٢٠) كما وجه القرآن الكريم إلى النظر نحو آثار رحمة الله في الطبيعة (فأنظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير) « سورة الروم ٥٠ » . إن الكون العظيم بكل ما فيه إنما هو دليل على وجود الله وطريق للتعرف على لاهوته فالنسبة والقدرة والإنفعال المتبادل والمماثلة إنما هي أمور أربعة تدعم وجود الحركة داخل الوحدانية وتجعل عقيدة التثليث والتوحيد مطابقة للعقل والمنطق ونحن قبل أن نشرح هذه الأبعاد الأربعة سوف نتحدث عن صيغة الجمع في الحديث عن الله .

صيغة الجمع :

لقد أكدنا معاً وجود التثليث والتوحيد في العهد القديم من خلال حديث الله عن نفسه بصيغة الجمع .. نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا .. هلم ننزل ونبلبل هناك ألسنتهم .. من أرسل ومن يذهب من أجلنا .. وعند دراسة القرآن الكريم نرى أن هناك نصوص على نفس السياق (إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون) «الحجر ٩» (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون) «الواقعة ٨٥»

الأبعاد الأربعة :

١-البعد الأول :النسبة :

إن الإيمان بالثالوث المقدس ينسب لله علاقات منذ الأزل قائمة فيه بإعتبار تعدد الأقانيم فلكل أقنوم علاقة منذ الأزل.. لأن خلقة العالم هي بدء علاقة أو نسبة بين الخالق حيث صار الله خالقاً لخليقة وجدت معه في بدء ظرف من الزمن وصار ربا للعالمين والعالمين صاروا عبيدا له وهذا لا يتفق مع تنزيه الله عن الحوادث والطوارئ .. وهنا يكون الإعتقاد بالله مثلث الإقانيم دليل على أن خالق العالم لم يكن بدء تعلقات الذات لأنها تجعل الله ذا علاقات منذ الأزل قائمة به

بإعتبار تعدد أقانيمه المباركة فكل أقنوم له علاقة وله نسبة بجانب الآخر وله علاقة بغيره.

٢- البعد الثاني: القدرة :

نحن نستدل من خلق الخليقة أن الله قادر على كل شيء فإن قلنا أن قدرة الله ظهرت في الخلق فقط فأين كانت هذه القدرة منذ الأزل ؟ ! وإن قلنا أنها كانت كامنة لا ظاهرة وممكنة لا عاملة ولم تظهر ولم تعمل إلا عند الخليقة فكيف يليق هذا القول بالله وهو غني عن عباده ؟!

أليس في هذا القول نسبة النقص والافتقار لله إذ يجعله تعالى يعتمد على وجود الخليقة الحادثة لينال كمال صفاته ؟ ومن ثم يصدق القول (وما قدروا الله حق قدره أن الله لقوي عزيز) « سورة الحج ٧٤» ويحل التثليث كل هذا الأمر لأنه يعلمنا أن الله كامل منذ الأزل وقدرته ظاهرة وعاملة فيه بالمحبة القوية المتبادلة بين الأقانيم والخلق العارض صدر عن المحبة الفعالة وهي ملخص مجموعة صفات الذات الظاهرة والعاملة أزلاً بوجودها بين الأقانيم الثلاثة وامتدت حرارتها من المركز الأبوي

ولتقريب ذلك نقول للتشبيه مع الفارق:

١- إن الشمس وهي احدى مخلوقات الله المحدودة إنما تعطي مثلا لإمتداد عمل حرارتها الدائمة الإشتعال في ذاتها إذ تمتد للأرض فتنتفع بها الحيوانات والنباتات والزرع والجماد .. هل بمساحة زراعة أكثر تكون هناك علاقات جديدة نشأت او قيود جديدة وضعت أو نقصاً ألم بها ؟ أبداً لأن حرارتها عاملة في جوهرها من قبل فكل إستخدام مستحدث لحرارتها لا يؤثر فيها بشيء ولا يقيدها أو يعجزها أو يوقعها تحت التأثير.

٢- المحيطات إذا غمرت مياهها أرضاً جديدة يقال أنها تأثرت أو تقيدت أو صارت ذات علاقة جديدة تجعلها في عجز أو نقص أو هل هذا إمتداد عملها القديم .. وإذا كان حال الشمس والمحيطات وهي مخلوقة ومحدودة بإمتداد عملها لا تقع تحت نقص أو قيد أوعجز فكم بالحرى الله إذ يمتد عمل محبته الدائم المركز في أقانيمه إلى خليقته فإن هذا لا يؤثر في حريته ونزاهته وقوته فلا يقال آن شذا يعني عدم تنزيهه عن الحوادث.

٣- البعد الثالث: الانفعال المتبادل في الله:

إن العلاقة بين كائنين تقتضي الأثر والإنفعال المتبادل بوجه ما من الوجوه فالكلام بين اثنين يقتضي أن يسمع السامع صوت من يخاطبه .. والله ليس كليما فقط ولكنه سميع أيضا .. وليس ودوداً محباً فقط ولكنه محبوب أيضاً وليس معطياً السرور فقط ولكنه آخذ السرور أيضاً لأن الله يسر بخليقته وخليقته تسر به .. نحن نصلي لله فيسمع الله لصلواتنا ويخاطبنا بالبنوة .. نتأثر به ونفهمه ويتأثر بنا ويفهمنا .. نذكره فيذكرنا ندعوه فيدعونا نستجيب له ويستجيب لنا..

وقيل عن الله في القرآن :

١- (رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) «المائدة ١١٩»

٢- (فأذكروني أذكركم وأشكروا لي ولا تكفرون) «البقرة ١٥٢»

٣- (وإذا سألك عبادي فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) «البقرة ١٨٦»

٤- (وقال ربكم أدعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) «غافر ٦٠»

إن قبول التثليث يجعلنا نقبل هذا الإنفعال المتبادل بين الله وبين الإنسان فكل أقنوم يتأثر ويؤثر بالآخر منذ الأزل كقول الكتاب المقدس هوذا بسط نوره على نفسه (أيوب ٣٦:٣٠) وعندما نبحث معا كيف كان الانفعال في الله غير المتغير لا يمكن أن نقول أن التأثير والتأثر في الله نشأ بنشأة الخليقة لأنه ليس على الله جديد وليس الله في نقص يكمله غيره .. وتصور أن منزه عن التثليث يعني أنه لا يؤثر ولا يتأثر ولا يتكلم ولا يسمع ولا يعمل جامد بلا تشبه ولا علاقة في فضاء العزلة والعدم والحركة داخل وحدانية الله هي الحل.

البعد الرابع: المماثلة:

وتعني المماثلة أن الإنسان أمامه طريق روحي فيه يتمثل بالله.. فالكتاب المقدس يقول أن الانسان قد خلق على صورة الله ومثاله..وهذا يعني أن الإنسان يماثل الله في البر وقداسة التقوى.. ونجد نفس هذا التعبير الكتابي مذكور عند المسلمين في الأحاديث حيث يقول الرسول الكريم (ان الله خلق آدم على صورته) ويقول القرآن الكريم ان الإنسان هو خليفة الله على الأرض .. حيث يقول (وعد

الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) « النور ٥٥» (وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء) « الإنعام ١٣٤ » (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض) « الأعراف ١٢٩ » (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) « البقرة ٣٠ » وأعطى داؤد الملك أن يكون خليفة لله في الأرض ياداؤد انا جعلناك خليفة في الأرض فأحكم بين الناس بالحق .. وكل هذا يعني أن الإنسان هو خليفة الله على الأرض فهو الذي يحكم في العلم بتفويض من الله وهو مطالب أن يكون عادلاً مثل عدل الله ومحبا مثل حب الله ورحوماً مثل رحمة الله وهذا هو بعد المماثلة مع الله أي أن يكون الإنسان شريكه في كثير من صفات الله على نوع محدود وهذا ما أسماه القديس بطرس شركاء في الطبيعة الألهية (بطرس الثانية١ :٤).

نحن والله: .

والمماثلة هي كما يقول القرآن الكريم : قد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم « سورة التين ٤ » وهذا يعني أن الله موجود ونحن موجودون ، الله حي ونحن أحياء ، الله كليم ونحن نتكلم ، الله بصير ونحن نبصر ، الله قادر ونحن نقدر ، الله مريد ونحن نريد ، والله عامل ونحن نعمل

الله فينا :-

والمماثلة تعني أن الله قد وضع صورته في البشر وأفاض عليهم ألوانا ثابتة من صفاته تعالى .. ولهذا فإن الله يحب صفاته التي تنعكس على مرآة نفس الإنسان كقول القرآن الكريم (إن الله يحب المحسنين) « سورة المائدة ١٣» (واقسطوا إن الله يحب المقسطين) « سورة آل عمران ١٣٤» (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعملون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون) « الانعام ١٣٥».

ويعترف القرآن الكريم بهذه الصفات التي طبعها الخالق على خليقته فيذكر الخالق كثيرا بأسم التفضيل على البشر بإعتبار أنه مصدر لهذه الصفات المشتركة بينه وبينهم وترى هذا الأمر بصراحة واضحة في قوله:

١- (فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) « سورة يوسف ٦٤ »

٢- (أليس الله بأحكم الحاكمين) « سورة التين ٨ »

٣- (فتبارك الله أحسن الخالقين) « سورة المؤمنين ١٤ »

٤- (فأصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين) « سورة الأعراف ٨٧ »

٥- (ربنا افتح بيننا وبين قومنا وأنت خير الفاتحين) « سورة الأعراف ٨٩»

٦- (وله المثل الأعلى في السموات والأرض) « سورة الروم ٢٧ »

٧- (ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم) « سورة النحل ٦٠ »

معنى المماثلة :-

إن الإنسان ليس إلا على شبه الله ، وظهور الخليقة العاقلة المتشابهة والمماثلة لله ليس إلا صورة مصغرة له تعالى ظاهرة في مرآة الخليقة.. ووجود المماثلة لا يتناسب مع التنزيه المطلق فهي ليست جديدة على الله فوجود الصورة في الله قديم منذ الأزل وهذا لايكون إلا بالتثليث فالله يعرف نفسه ومجموع كمالاته هي صورته التي يحبها وتبادل المحبة بينهما هي قوة روحه القدوس .. ويبقي هنا أن نسجل بإعتزاز أن كل كاتب أو متكلم مسلم عندما يتحدث عن أمر من الأمور الدينية يقدم ما عنده من آراء ثم يختم كلامه بقوله والله أعلم لأن العلم لله ولأننا لا نعلم عن أي أمر من الأمور كل العلم .. والثالوث المقدس هو من المواضيع التي تسمو على إدراك العقل لأنها في علم الله الذي لا نعلم عنه كل شي أو كما يقولون لا نعلم إلاجهلنا به .. ولقد كان السيد المسيح يتكلم بأمثال لكي يقرب الحقائق الروحية للناس بل إنه بدون مثل لم يكن يكلمهم وهكذا القرآن الكريم يقول: ويضرب الله الأمثال للناس « سورة النور ٢٥ » والخليقة التي خلقها الله من حولنا كلها أمثلة تؤكد عقيدة الثالوث .. فالإنسان والعقل والنار والشمس كلها ثلاثيات كالمثلث المتساوي الأضلاع وعندما يقسم المسلم يقول ثلاثة بالله العظيم أو والله العظيم ثلاثة وعندما يطلق يقول علي الطلاق بالثلاثة .. الا يكفي هنا ذكر اسم الجلالة العظيم بدون الثلاثة أم أن هذا إيمان مستور بالأقانيم الثلاثة آقرها الإسلام دون أن يناقشها.

الباب الخامس

المسيحية في البلاد العربية

الفصل الأول

نظرية الصدور

القرآن والتثليث :

لقد علمنا معاً أن القرآن الكريم أكد أن المسيحيون هم أهل توحيد وانهم يعبدون ألها واحداً لكن الإسلام لم يتعرض للتفاصيل. وفي القرن السابع عند ظهور نجم الإسلام كان التعليم بالتثليث والتوحيد تعليماً رئيسياً في الكنائس المسيحية كلها وكانت كل الكنائس تفهم معنى التثليث وتؤمن بالتوحيد ولقد إهتم القرآن بأن يحارب تثليثاً حاربته المسيحية ولكنه أجاز التعليم المسيحي وأكد أن الهنا وألههم واحد وكان يعلم جيداً ما هي صفات أو أقانيم الإله الواحد في المسيحية.. ولم تكن البسملة غير معروفة عند المسلمين فلقد كان أبسط مسيحي يرشم الصليب ويذكر بأسم الاب والابن والروح القدس ويختم اله واحد آمين . واذا كان التعليم بالوحدانية والثالوث قد انفرد به الكتاب المقدس فإن هناك قاعدة فكرية في الإسلام تحدث عنها النجاري الذي أورد بأن الرسول الكريم كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لايؤمر فيه بشي كما أن القرآن جاء مصدقاً لما في الكتاب المقدس ولم يعترض عليه ولقد تحدث علماء المسلمين بهذا كما أن القرآن الكريم تحدث عن عقيدة الثالوث والوحدانية بين كلماته وضمن سوره ونصوصه وعلى الأخص فيما يلي :-

أ / (إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين) « آل عمران ٤٥»

ب / (وآتينا عيسي بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس «البقرة ٨٧»

ج / (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) « البقرة ٢٥٣»

معنى النصوص :-

يقول أحد المفسرين أنه لو تدبر أخواننا المسلمون كلام القرآن الكريم بالروية لعلموا أن المسيحيين يؤمنون بالله إيمانا صحيحا.. ولقد طلبنا نحن إعادة قراءة القرآن الكريم في ضوء ما أعلنه القرآن من تآخي وسماحة ومحبة .. وتحت مجهر إحترام الإسلام للمسيحية والإيمان بأنها ديانة توحيد .. ولقد ركز

المسيحيون أيمانهم بالتثليث في البسملة وهذا الإيمان نفسه منشوراً في القرآن الكريم بين سورة وآياته .. والمسيحية تؤمن بوحدانية الله في الذات وتثليثه في الأقانيم الاب والابن والروح القدس ونريد أن نتأمل في النصوص السابقة:-

١- صورة التثليث :-

هنا إنعكست على مرآة القرآن .. وطابق القرآن إعتقاد النصارى لفظا ومعنى لأن اسم الجلالة هو الأب كما يستنتج من تسمية المسيح بالابن .. إن كل بنوة تقتضي أبوة .. والمسيحيون ومعهم المسلمون ينزهون الله عن نسبة البنوة على طريقة البشر وهنا يتمنع في إيمان المسلمين والنصارى أن يكون الله تعالى والداً والمسيح مولودا.. وهذا يعني أن للمسيح أب أو مصدر يفوق ادراك العقول وينزه عن الكيف والكم وعن ماذا ولماذا ، والا فمن تراه أهلا لأبوة المسيح كلمة الله المتأنس غير الله عز وجل الذي تحدث بعجيب قدرته الكائنات ويسبح بحمده ما في الأرضين والسموات ؟ بل إن القرآن نفسه يوضح أمامنا أن أصعب أمر هو على الله هين.

٢- تحدث القرآن الكريم عن الكلمة وعن الروح القدس وهما الأقنومان المتممان لخواص الثالوث عندنا لفظاً ومعنى فإن قول الآية (وايدناه بروح القدس) قد شمل المؤيد والمؤيد به .. وكل منها أقنوم ممتاز بخاصته الذاتية ويبدو الفرق بينهما للتأمل في أسرع من لمح البصر فان المتكلم هو غير الكلمة.. كما أن المؤيد وهو الله غير المؤيد وهو الكلمة أو الابن والمؤيد غير المؤيد به وهو الروح القدس وتلك أقانيم الثالوث عندنا فنحن نقول في بشارة الملاك لمريم ملاك الرب نزل من السماء وبشرت مريم العذراء فحبلت بالروح القدس ونقول ايضا: الكلمة صار جسدا وحل بيننا) (يوحنا١ :١٤) وفي الإنجيل نقول : في البدء كان الكلمة .. والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله (يوحنا ١:١) فالمسيحية بعيدة عن الأبوة المادية الأرضية التناسلية.. وهنا يصبح الخلاف هو خلاف لفظي في تسمية الله بالآب ولكن هذه أبوة اقتضها بنوة المسيح الذي هو كلمة منه.. وربما يأتي اليوم الذي فيه يطوي الله شقة البين بين المسيحية والإسلام ويجمع أهل الدينين إجماعا قلبياً على حب الله وعبادته.

٣- تتضمن هذه الآيات القرآنية ذكر الثلاثة أقانيم فهي تذكر الله الأقنوم الأول والكلمة الأقنوم الثاني والروح القدس الأقنوم الثالث .. والحديث عن الكلمة في

القرآن ليس مثل أي كلمة تقال ثم تذهب مع الريح انما تحدد الكلمة في:

أ / كلمة من الله .. الله يبشرك بكلمة منه

ب / الكلمة شي له كيانه وفيوميته في ذاته اسمه المسيح عيسى

ج / الكلمة في الوقت نفسه هو ابن مريم

٤- إن ذكر الثالوث موجود ومنثور في هذه النصوص القرآنية وذلك لأنه : الأب قد ذكرته الآيات بطريقة يتمم معها تسمية الله بهذا الاسم لأن الآية دعت المسيح أبن مريم فوجب أن يكون لهذا الابن أب كسائر المواليد من أنثي لأن المعلول لا بد له من علة فالبنوة تقتضي أبوة أب المسيح أما أن يكون أباً بشريا كسائر الآباء وحينئذ يصبح المسيح شخصاً عادياً ولكن المسيحية والإسلام تتنزهان عن ذلك .. وأما أن يكون الأب أباً غير بشري حتى يستقيم القول أنه كلمة من الله وقد انتفى أن يكون للمسيح أب بشري فوجب أن يكون له أب فائق الطبيعة هو الله سبحانه وتعالى.

٥- لم يوضح لنا القرآن الكريم ماهية الروح القدس ولكنه تحدث عن تاييد الروح القدس للسيد المسيح وهذا النص يتحدث عن المؤيد (الله) و(المؤيد) السيد المسيح (والمؤيد به) وهو الروح القدس ولنا في هذا حديث آخر .

٦- إذا كانت هذه النصوص تنفي البنوة البشرية التناسلية عن المسيح فأن هذا هو ديدن المسيحية فنحن نؤمن أن السيد المسيح هو نور من نور اله الحق من اله حق.

٧- يقول القران عن السيد المسيح « كلمة منه » ومن يكون أبا لكلمة الله الصادرة منه إلا نفسه وكلمة منه تعني الصدور فما هي نظرية الصدور.

الفصل الثاني

علماء المسلمين واللاهــوت المســيحي

ثلاثة أقسام :-

ينقسم الموجود إلى ثلاثة أقسام لا رابع لها فهو إما حي ناطق كالإنسان أما حي غير ناطق كالحيوان والنبات وإما غير حي وغير ناطق كالجماد وأولها هو أشرفها من غير شك ويجمع الجميع أن الله تعالى موجود وأنه مبدع جميع العوالم المختلفة .. وأن الله حي ناطق فهو الخالق للخليقة الناطقة ولكن لا بد أن تكون حياة الله ونطقه منه لا من غيره وأن يكونا أزليين بأزليته وإلا لكان مخلوقاً .. فالله موجود بذاته حي بروحه ناطق بكلمته .. وهذه الصفات جوهرية روحية في الله وإلا لزم أن تلحقه الأعراض وهذا أيضاً محال وهذا الإله الأزلي الوجود والحياة والنطق هو ما يعبر عنه في المسيحية بالثالوث الإلهي فوجوده عبارة عن صفة الأبوة وهذه الصفة لا تقتضي ولادة جسدية يسبق بها الأب الابن بل هي ولادة روحية أزلية أبدية .

فولادة الإبن العجيبة من الأب وانبثاق الروح القدس كمثل صدور الحرارة وإنبثاق النور من لهب النار فحيثما وجد اللهب كان النور وكانت الحرارة ولعل البعض يظنون أن اللهب هو علة وجود النور والحرارة وظنهم هذا كان يسمى حقيقياً لو كان اللهب بمفرده ناراً وكانت الحرارة بمفردها ناراً وكان النور بمفرده ناراً أما وأن اللهب والحرارة والنور ناراً واحدة فلن يصح الظن ولم يستقيم لأنها نار بجوهر واحد وخواص ثلاث ، ولن يمكن إطلاقٌ كلمة نار على أحد هذه الخواص إلا بشرط وجود الخاصيتين الأخريين .. فإذا قلنا أن أحد الأقانيم الإلهية هو الله فإننا نقصد أن الاقنومين الآخرين ملازمان له وأن كلا منها مساو للآخر في جوهره .. له كل ماله في كل شي خلا الخاصية المتميز بها.. فالأب أب أبدا .. والإبن ابن منذ الأزل .. والروح القدس منبثق إنبثاقاً سرمدياً .. فالقول بثلاثة أقانيم لا يعني القول بثلاثة آلهة لأن تعدد الخواص والصفات لا يستلزم تعدد الذات والا قلنا في المثل المذكور بثلاث نيران .. وهكذا أيضاً المثلث المتساوي الأضلاع لو نقشنا علي كل ضلع حرف معين وليكن أ ، ب ، ج فعندما ننظر إلى المثلث نجده واحداً ولكن إذا ميزناه بما نقش على أضلاعه لأطلقنا على كل ضلع حرفه الخاص به.

الوحدانية المصـمدة :-

وعندما ظهر الإسلام في وسط يموج بالآلهة المتعددة والتماثيل المتنوعة على مستوى الوثنية أما على المستوى المسيحي فقد كان كثيرون من نصارى بلاد العرب منغمسين في الجهالة واقعين في البدع والضلالة ولم يكن لهم معرفة بالإنجيل .. وفي هذا الجو ظهر الإسلام لكي يحارب الوثنية العجوز والبدع والهرطقات الموجودة في المسيحية فأقام حرباً شعواء ضد الوثنية وحارب هرطقات المسيحية وتعصب للوحدانية المصمدة ووقف ضد أن يكون الله له علاقة بامرأة وانجب منها ولداً وهذا لم يضر المسيحية بل بالعكس وقف في صفها إزاء تعليمها عن الثالوث الذي لم يناقشه الإسلام إنما أجازه في ضوء الوحدانية وإعترف بأن المسيحيين والمسلمين لهم اله واحد « إلهنا وإلهكم واحد » رغم أن لكم دينكم ولي دين.

علماء الإسلام :-

وقد تعرض علماء الإسلام وفلاسفته إلى عقيدة التثليث وأعلنوا أنها غير العقيدة التي حاربها الإسلام وندد بها القران الكريم ونذكر هنا شهادة خمسة من علماء المسلمين أولهم الغزالي وثانيهم أبن الأشعب وثالثهم الباقلاني ورابعهم بن شبل وخامسهم هو صاحب المشرع فإلى شهاداتهم :-

١- الأمام الغزالي :

يقول الإمام أبو حامد محمد الغزالي في كتابه الرد الجميل ما يلي :

١- يعتقد النصارى أن ذات الباري تعالى واحدة ولها إعتبارات فإن أعتبر وجودها غير معلق على غيره فذلك الوجود المطلق هو ما يسمونه بأقنوم الاب وأن اعتبر معلقا على وجود آخر كالعلم معلق على وجود العالم فذلك الوجود المفيد هو ما يسمونه بأقنوم الابن أو الكلمة .. وإن اعتبر معلقا على كون عاقليته معقولة منه فذلك الوجود المقيد أيضاً هو ما يسمونه بأقنوم الروح المقدس لأن ذات الباري معقولة منه والحاصل من هذا التعبير الإصطلاحي أن الذات الإلهية واحدة في الجوهر وأن تكون منعوتة بصفات الأقانيم.

٢- يقولون أن الذات من حيث هي مجردة لا موصوفة عبارة عن معنى العقل وهو المسمى عندهم اقنوم الأب وإن اعتبرت من حيث هي عاقلة لذاتها فهذا الإعتبار عبارة عن معنى العاقل وهو المسمى باقنوم الإبن أو الكلمة أن اعتبرت من

حيث أن ذاتها معقولة منها فهذا الإعتبار عبارة عن معنى المعقول وهو المسمى اقنوم الروح القدس.

٣- على هذا الإصطلاح يكون العقل عبارة عن ذات الله فقط والآب مرادف له.. والعاقل عبارة عن ذاته بمعنى أنها عاقلة ذاتها والابن أو الكلمة مرادف له .. والمعقول عبارة عن الإله المعقول ذاته منه وروح القدس مرادف له أيضاً .

٤- يستنتج الشيخ الغزالي هذه النتيجة: إذا صحت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ ولا في اصطلاح المتكلمين وكأني بهذا الشيخ الوقور بعد فهمه وشرحه للتثليث يرى أن المشكلة هي مجرد اختلاف لفظي فقط وعلى الأخص أن الإسلام نفسه قال أن الله لو اراد أن يتخذ له ولدا ليس صعبا عليه لو اراد أن يتخذ ولدا لأصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه « الزمر٤».

٢- الاشعب :-

وقد تحدث الشيخ العالم أبو جعفر أحمد بن الأشعب في كتابه العلم الإلهي الباب الثاني عشر المقالة الأولى عن التثليث والتوحيد في رأي المسيحية قائلاً :-

١- قد تبين أن المحرك الأول أول على الإطلاق فهو إذن عله الموجدات كلها.

٢- ما كان كذلك فلا يخلو من أن يكون إما جوهراً أو عرضا.

٣- من المحال أن يكون عرضا لأن الجوهر علة وجود العرض.

٤- الله هو علة وجود كل شي ولولا الجوهر لم يوجد العرض قائما بذاته فليس الامر في ذلك بل العكس فيبقى أن يكون جوهراً أو شيئا أشرف من الجوهر أو جوهرا يخص أو كيانا أو عينا كيف شئت بعد أن يكون المعنى محفوظا.

٣- الباقلاني :-

وقد تعرض الباقلاني لأمر الثالوث عند المسيحيين وهو القاضي الجليل أبو بكر محمد بن الطيب المعروف بالباقلاني فقد جاء في كتابه الطمس على الأصول الخمس ما يلي : أعلم أن النصارى إذا حققنا معهم الكلام في قولهم أن الله جوهر واحد ذو ثلاثة أقانيم لم يحصل بيننا و بينهم خلاف إلا في الإسم لأنهم يقولون أنه جوهر لا كالجواهر المخلوقة بمعنى أنه قائم بنفسه فالمعنى صحيح إنما العبارة فاسدة لأن الأسماء لا يرجع فيها إلى اللسان ولم يطلق عليه أحد منهم جوهرا وانما الكلام معهم في تثبيت بنوة لليهود.

٤- شبل :-

وفي كتاب أدب الجدل للقاضي عبد الله الحسين بن عبد الله بن شبل عرض لوحدانية الله وصفاته يقول فيه: الا ترى أن سائر الأمم تقيس القدير سبحانه على الشاهد في جميع مايثبتونه من وحدانيته وصفاته وعدله وقدرته وفعله فيقولون الدليل على أنه قادر وجود أفعاله لأن الفعل في الشاهد من أحدنا يدل على كونه قادرا وكذلك الفعل المحكم من أحدنا يدل على كونه عالما ويستدل بفعل الباري جلت قدرته المحكم على كونه عالما فيجمعون بينهما بمعنى من المعاني وأن افترقا من وجوه أخرى فلو أن قائلا قال لايقاس الباري على أحدنا في الشواهد لانه قديم ونحن محدثون ونحن أجسام وهو غير جسم ونحن نعلم ونجهل ونقدر ونعجز وهو لا يجهل ولا يعجز لكان كلاما فاسدا وكذلك النصارى يقيسون القديم على المحدث في كونه جوهرا بمعنى أنه قائم بنفسه وإن كان الجوهر في الشاهد محدثاً حاملاً للعرض وأن كان ذلك كذلك علمنا أن القياس يصح من جهة واحدة ومعنى واحد وأن افترقا من وجوه أخرى

٥- ذكر صاحب « المشرع » نقلا عن نسخة قديمة من كتاب « أصول الدين » لأبي الخير بن الطيب الذي عاصر الأمام أبا حامد الغزالي ذكر مايلي: قال بعض المسيحيين لأبي الخير بن الطيب أن الإنجيل يقول امضوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم بإسم الأب والابن والروح القدس قد أوجب عليكم الإعتقاد بثلاثة آلهة فأجابه : لاريب في أن لباب الشريعة المسيحية هو الإنجيل ورسائل بولس الرسول وأخبار الحواريين وهذه الكتب وعلماء النصارى المنبثقة في آفاق الأرض تشهد بتوحيدهم وبأن أسماء الأب والابن والروح القدس إنما هي خواص لذاته الواحدة ولولا حب الإنجاز لاتيت على إثبات عقيدتهم مفصلاً ولكنني مع ذلك اقتضب من أقوالهم الناطقة بصحة معتقدهم وقويم ايمانهم مالا يخلو من فائدة فأقول : يرى النصارى أن الباري تعالى جوهر واحد موصوف بالكمال وله ثلاث خواص ذاتية كشف المسيح عنها القناع وهي الأب والإبن والروح القدس.

أ/ يشيرون بالجوهر ذاته الذي يسمونه الباري ذا العقل المجرد الى الأب.

ب/ والجوهر نفسه الذي يسمونه ذا العقل العاقل ذاته الى الابن.

ج/ والجوهر عينه الذي يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته الى الروح القدس وهم يريدون بالجوهر هنا ما قام بنفسه مستغنيا عن الظرف.

علـماء آخريـن :-

وهناك علماء آخرين يتحدثون عن التثليث والتوحيد بإحترام شديد فلقد جاء في كليات أبي البقاء أن الله سبحانه وتعالى علم وعالم ومعلوم أيا من تدعو فله الأسماء الحسنى والتغاير اعتباري وذلك أن العلم عبارة عن الحقيقة المجردة من الغواشي الجسمانية فإذا كانت هذه الحقيقة مجردة فهي علم واذا كانت هذه الحقيقة المجردة حاضرة لديه وغير مستورة عنه فهو عالم وإذا كانت الحقيقة لاتحصل إلا به فهو معلوم .. على أننا لا نتجاهل أن كثيرين من علماء المسلمين لايقرون امر التثليث والتوحيد ولكننا في إنتظار فهم العلماء لكي نفهم الأمر معا والأمر هو فوق إدراك عقولنا البشرية لأنه كما ترتفع السماء على الأرض هكذا أفكار الله عن بني البشر وسوف يظل التثليث والتوحيد سراً روحياً يعلنه الله لخدامه الأمناء وعندما تصفو النية تنتهي كل الإشكالات وتبطل كل الإعتراضات وعلى الأخص أن الإسلام في دعوته لم يتكلم عن المسيحيين الا كموحدين وهذا يعني أن الإسلام وافق على التوحيد دون أن يتحدث عن التثليث وهذا الإيمان بالثالوث المقدس ليس إيمانا جديدا انما هو ايمان قد بدأ منذ الأيام الأولى للمسيحية حيث تظل مسئولية خدام الله أذهبوا وبشروا في كل الأمم وعمدوهم بأسم الأب والإبن والروح القدس ويقول هنا بإسم وليس باسماء لكي يؤكد أن الأب والابن والروح القدس هم إسم واحد للاله الواحد المثلث الأقانيم.. وعلينا أن نسأل القرون الأولى وتتأكد مباحث آبائهم (أيوب٨:٨) فالله منذ الأزل مثلث الأقانيم موجود قبل التاريخ وعند حديث ميخا عن السيد المسيح أكد أن من بيت لحم يخرج مدبر لرعاية الشعب وهذا مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل (ميخا ٥:٢) وعندما قدم السيد دمه قدمه بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب (عبرانين ٩:١٤) وهؤلاء الثلاثة أقانيم كانوا في الأزل اللانهائي يتبادلون المحبة والمحد والمشورة والمسرة.

ولقد تحدث الغزالي عن إعلان الله عن نفسه عندما قال أن هناك حديثاً قدسياً عن قول الله لداؤد « كنت كنزاً مخيفا لم أعرف فاحببت آن أعرف فخلقت خلقا وتعرفت اليهم فبي عرفوني .. وهذا يعني أن المخلوقات من البشر هم بداية التعرف على الله.. وليس البشر فقط بل المخلوقات الروحية مثل الملائكة .. والمخلوقات غير العاقلة ايضاً تنطق بتمجيد الله كما يقول الأدب الشعبي أن

الديك عندما يصيح يقول بأسلوب فصيح .. المجد لله

التثليث في قصيدة شعر :-

ولقد قدم الشيخ اليازجي قصيدة عصماء تحدث فيها عن التثليث والتوحيد وتحدث فيها عن آلام السيد المسيح وعن رسالته التي تدعو الى السلام وعن إختلاف الناس حوله وعن إجماعهم على عظمته فهو الذي يحيي المائتين بأمره .. ولاسيف له.. ولاجاه .. ولا مال .. ونذكر هنا بعض هذه الأبيات :

نحن النصـــارى آل عيسى المنتمي — حسـب التـــأنس للبتـول مريــم

وهو الإلـه بـن الإلـــــــه وروحه — فثلاثــة في واحــد لـم تقســـــم

للآب لاهـــوت إبنه وكــــذا ابنه — وكـــذا هـما والروح تحـت تقـنم

كالشمس يظهــر جرمها بشعاعـها — وبحــرها والكـــل شمس فأعـلـم

الفصل الثالث

الطوائف المسيحية والحضارة العربية

الحضارة العربية :

عندما نتحدث عن الحضارة العربية ينبغي أن لا نتجاهل شتي مظاهرها المتعددة .. وما أثر فيها وما تأثرت به ..فالحضارة هي أخذ وعطاء .. ولقد كان للمسيحية ولم يزل أثر كبير على الحضارة العربية كما ساهم المسيحيون العرب في تشييد صرح الحضارة العربية ففي قمة العلماء وأهل الثقافة كان عدد كبير من المسيحيين قد قادوا حركة الترجمة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية. وساهم العلماء المسيحيون في إنفتاح الحضارة العربية على الغرب وعلى اليونان ، كما كان عدد من الأطباء المسيحيين والصيادلة علماء يشار إليهم بالبنان ولقد ظهر في الحركة الأدبية من غاص في أعماق اللغة العربية أدباً وشعراً وكان هنالك شعراء مسيحيون قبل الإسلام واستمرت المسيرة بعد الإسلام ونذكر من الشعراء المسيحيين قبل الإسلام عمرو بن كلثوم وهو رجل معتد بنفسه وكان سيد قومه وله من العمر خمسة عشر عاما ويعد شعره مرجعا تاريخياً وإجتماعيا في عاطفة قوية وسبك مفيد وله ديوان شعر يقول فيه معتزاً بأصله العربي :

ملأنا البر حتى ضاق عـنـا   وظهر البحر نمـلأه سفينا

لنا الدنيا ومن أضحى عليها   ونبطش حين نبطش قادرينا

إذا بلغ الفطـام لنا صبي   تخـر له الجبابرة ساجدينا

ومن بين الشعراء المسيحيين قبل الإسلام نذكر أُمية بن أبي السلط وسطام بن قيس الشيباني وعدي بن زيد والأعشي الأكبر ، أما الشعراء المسيحيون بعد الإسلام فنذكر منهم عثمان بن الحويرث والحارث بن كلوة وأبو القيس الراهب وأكتم بن صيفي وعبد المسيح بن بقلية والنجاشي الحارثي والطائي ، والشاعرات من النساء مثل الحرفة هند بنت النعمان ونائلة بنت القرافصة وكان بين شعراء الدولة العباسية عدد غير قليل من الشعراء المسيحيين وهناك أبحاث متعددة ومتعمقة في هذا الشأن سوف نتحدث عنها.

الطوائف المسيحية:

على مستوى المسيحية ظهرت طوائف متعددة كان لها الأثر الكبير في الفكر

المسيحي في البلاد العربية فقد ظهرت بدعة اريوس في الشرق وكان لها أثرها الكبير في القضايا اللاهوتية التي حسمها مجمع نيفيذ المسكنوي كما في منطقتنا العربية السناطرة أو أصحاب الطبعتين أو اليعاقبة والملكيون وأيضاً الأقباط بكل تراثهم الروحي والذين عندما فرضت عليهم اللغة العربية ترجموا كل ما عندهم من مصنفات لاهوتية إلى اللغة العربية ودافعوا عن العقيدة الأرثوذكسية وتأثر القرآن الكريم بالمسيحية كما عند الأقباط فيما يلي :

١- الحديث عن القسيسين والرهبان (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) « سورة المائدة ٨٢ » والحديث هنا عن طغمتين هما قسيس الرعية وهو متزوج والراهب وهو الذي يعيش البتولية وهذا النظام في الكنيسة القبطية بينما الكنائس الغربية الكهنة عندها من طغمة الرهبان فقط.

٢- ذكر القران الكريم كلاماً عن السياحة الروحية والتي فيها ينصرف الإنسان للإخلاء مع الله .. وفي الكنيسة القبطية طغمة الآباء السواح وهم نسُاك يعيشون لله حتى درجة السياحة الروحية وفيهم من الذكور وفيهم من الإناث ولم يذكر الكتاب المقدس كلمة سُواح أو سائح بهذا الوضوح لان السياحة أتت بعد الكتاب المقدس كترجمة عملية فورية متعمقة للحياة مع الله .. ولقد ذكر القران الكريم هذا المستوي الروحي وهو السياحة عندما قال (فسيحوا في الأرض) « التوبة ٢ » (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون) « التوبة ١١٢» (عسى ربه إن طلقكنّ أن يبدله أزواجا خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً) « التحريم ٥»

٣- تحدث القرآن عن البيع وهو تعبير شرقي قبطي يطلق على الكنائس . فالكنيسة هي البيعة التي إقتناها السيد المسيح بدمه وفي الوثائق القديمة حديث عن الكنائس باعتبارها بيعاً وكل كنيسة باسم قديس هي بيعة بإسمه مثل بيعة مار جرجس وبيعة الملاك ميخائيل وهكذا ولقد ذكر القران الكريم كلمة بيعة (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) « الحج ٤٠ »والقران الكريم هنا لا يضيع المؤسسات الدينية الإسلامية والمسيحية كلا في صف واحد فقط ولكنه يذكر لقباً قبطياً للكنيسة وهو البيعة.

٤- صلوات الساعات: عندما بدأ الإسلام إعتمد صلوات الأحبة أو الساعات وهي سبع صلوات عملاً بمزامير داؤد التي قال فيها سبع مرات في اليوم سجنك على أحكام عدلك وقد خفض الرسول الكريم السبع صلوات وترك الاثنتين إختياريا والسبع صلوات في المسيحية هما باكر والثانية مرتفع في التاسعة صباحاً والسادسة في الثانية عشر ظهراً والتاسعة في الثالثة ظهراً وصلاة الغروب والنوم ونصف الليل وقد أعتمدت صلوات خمس في الإسلام وصارت صلاة التاسعة صباحاً ونصف الليل صلوات إختيارية وصلوات الساعات السبع هما صلوات في الكنيسة القبطية.

٥- الأصوام :

عندما بدأ الإسلام إعتمد فضيلة الصوم على نفس الطريقة المسيحية مع تغيير في الأيام وفي المناسبات ففي الأيام إستبدل الأربعاء والجمعة عند المسيحيين بيومي الأثنين والخميس وهذان اليومان كان معمولاً بهما في اليهودية وقد كان الصوم على نفس طريقة الكنيسة القبطية حيث لم يكن الصوم إمتناعا عن الأكل فقط إنما أيضا إمتناع عن العلائق الزوجية لكي لا يجرب الشيطان المؤمنين بسبب عدم نزاهتهم ، ويقول القران الكريم (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) «البقرة ١٨٣» وهذا هو نص الالتزام بطريقة الصوم كما في المسيحية ولكن مشكلة حدثت عندما قال عمر بن الخطاب إنه عاشر زوجته في الصوم فإعترض الرسول الكريم فأتى نص قرآني لكي يعطي الإذن بهذا في ليالي الصوم (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) « البقرة ١٨٧»

٦- إفتراق الفرق :

لقد تدخلت النزاعات السياسية والأهواء الدنيوية في مؤازرة فريق على الآحر من الفرق والطوائف المسيحية وقد كان لهذه البدع تأثيرها في فكر بلاد العرب عن المسيحية ومن بين الطوائف التي كانت ذات شأن طائفة الأريوسية والسناطرة واليعاقبة .

١- الأريوسية :

وهذه نسبة إلى أريوس الليبي الأصل المصري المولد والذي كان كاهناً والذي روج لبدعته بما يسمى الثاليات وهو أقوال بعين الشعر والنثر وهو إبتدع آن السيد

المسيح كائن متوسط بين الله والإنسان فهو اقل من الله وأعظم من الإنسان وتصور السيد المسيح إنساناً محضاً مهما كان عظيماً وقد رفضت المسيحية هذا في مجمع جمع كل الكنائس المسيحية وهو مجمع نيقية في ٣٢٥م وأعترف هذا المجمع بلاهوت المسيح وطرد وحرم أفكار اريوس وأكد مجمع نيقية أن المسيح واحد مع الأب في الذات والجوهر وأن الله اله واحد في ثلاثة أقانيم وأصدر مجمع ـ قانون الإيمان الذي يتلى في كل الكنائس الأن . وقد أفل نجم الأريوسية وطوى التاريخ صفحاتها وإتجه كل المسيحيين نحو لاهوت المسيح تأكيداً .

٢- النساطرة :

وهم أتباع نسطور الذي كان يفصل بين طبيعتين للكلمة المتجسد والطبيعتان هما الطبيعة اللاهوتية والطبيعة الناسوتية وعندما بدأ نسطور رئاسة كرسي أنطاكية في ٤٢٨م كان يشدد في التمييز بين الطبيعتين في المسيح إلى درجة المبالغة في الفصل بينهما كأن هناك مسيحين مسيحاً إلهاً ومسيحاً بشرياً واحداً قبل التجسد وآخر بعده وقد ربط بينهما إتحاد معنوي بسيط وعقد مجمع أفسس الذي حرم أفكار نسطور ولكن تكون بعد هذا حزب سنطورى قوي وإعتمد الأباطرة الرومان أفكار نسطور عن الطبيعتين وشنوا العديد من الإضطهادات ضد من يخالفهم في الرأي وكانت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية رافضة لفكر نسطور ودفعت الثمن في تمسكها بالمبدأ الأرثوذكسي وكان الثمن عدد كبير من الشهداء وتدخل سافر من الأباطرة في شئون الكنيسة وصل إلى مصادرة الكنائس وتعيين بطريرك ملكاني لكي يرتب شئون الكنيسة القبطية التي رفضت البطريرك المعين من الملك وإستمرت في رسامة بطاركة من الأقباط بحسب نظامها وكان في مصر إثنان من البطاركة واحد يتبع الأمبراطور ويجمع بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية وآخر تختاره الكنيسة ويظل مضطهداً أو منفياً من كرسيه ولكن ظل إيمان الكنيسة القبطية واضحاً وهو طبيعة واحدة للكلمة المتجسد ومن الجدير بالذكر أن العلامة البحيرة سرجيوس صديق الرسول الكريم كان نسطوري المذهب .

٣- اليعاقبة :

ويرى اليعاقبة أن السيد المسيح جوهر واحد وأقنوم واحد ولكنه جوهر من جوهرين أو طبيعة واحدة من طبيعتين إحداهما إلهية والأخرى إنسانية ولكنهما

تركبتا كما تركبت النفس والبدن . وعاش اليعاقبة في مصر والنوبة والحبشة وإتصلوا بالمسلمين الذين عرفوا مذهبهم وعقيدتهم في المسيح فعرضوا لها وناقشوها كما فعل الشهرستاني في الملل والنحل وإبن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل والباقلاني في التمهيد وهم يرون أن المسيح هو الله والإنسان إتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح ويظهرنا الشهرستاني على مذهب اليعاقبة كما عرفه المسلمون فيقول إنهم قالوا بالأقانيم الثلاثة ولكنهم قالوا إن الكلمة إنقلبت لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو ومنهم من قال أن المسيح هو الله ومن قال بأن اللاهوت ظهر بالناسوت فصار الناسوت مظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه ولا على سبيل إتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة بل صار هو هو وقد أثمر مجمع خلقدونية عن طائفة اليعاقبة ولكن مجمع خلقيدونية مجمع مرفوض من الأقباط لأن فيه طومس لادن أو وثيقة لاون وهي وثيقة رفضها البابا ديوسقورس وتعرض بسببها إلى معاملة رديئة من جنود الإمبراطور انتهت إلى أمر إمبراطوري بنفيه إلى جزيرة غاغرا .. ولقد كان لليعاقبة دور كبير في نقل الفلسفة اليونانية إلى السريانية ثم إلى العربية تحت مظلة القادة المسلمين وبتشجيع الخلافة الإسلامية وقد كان لهذا أثره في تاريخ الحياة العقلية الإسلامية ولاسيما من الناحيتين الكلامية والفلسفية .

٤- إتفاق الفرق :

وكانت هذه الفرق والطوائف المسيحية لها محطات إتفاق عديدة فكل هذه الفرق تتفق حول قضايا إيمانية واضحة مثل لاهوت المسيح والتوحيد ويوجد بين كل هذه الفرق كتاب مقدس واحد موحي به من الله ويمتاز هذا الوحي الإلهي في الكتاب المقدس بظهوره المرحلي عبر التاريخ فهو وحي لم ينزل دفعة واحدة بل ساير ظروف تطور الإنسانية وإحتياجاتها كما إنه هناك ترابط وتقابل بين فترات الوحي المختلفة والتي هي في نظر المسيحية تتجه كلها نحو مجئ السيد المسيح وتتبأ عنه وتشير إليه تحت ستار الرموز والإيماءات ويميز اللاهوتي الغربي توما الاكويني بين ثلاث مراحل للوحي أولها قبل الناموس مع إبراهيم وثانيها تحت الناموس مع موسى وثالثها تحت نعمة المسيح مع الرسل وتتفق جميع الطوائف المسيحية في أن تعليم العهد القديم إلهي قد نقل بواسطة وحي علني أوصله الله إلى أشخاص مختارين هم الأنبياء وسجل في أسفار كانت كتابتها تحت إلهام من

الله وكان الروح القدس وراء كل كلمة في الكتاب المقدس ولهذا يجمع المسيحيون العهد القديم والعهد الجديد معاً في كتاب واحد :

١- العهد القديم يقدم لنا الله وعلاقته مع الإنسان فالله هو القدير الواحد المتعالي السيد المرهوب الكامل الذي خلق العالم من لا شئ بملء حريته وهو الذي خلق الإنسان على صورته وشبهه لكي يشاركه في حياته ويجعله ملكا على الخليقة كلها وقد خلق الإنسان ليحيا سعادة جنة عدن ولكن الإنسان لم يحترم وصية الله ووقع في غواية الشيطان وإغترب من الله فإستولى عليه الفساد وفقد صورة الله التي خلق عليها وفقد الإنسان الشركة مع الله وصار عبداً للخطية وتراكمت الخطايا وترك الإنسان العقائد لأهوائه وحقد على أخيه الإنسان بدءاً بقابيل وهابيل وبعدها بدأ القتال والإحتراب بين البشر ثم إنحرف الإنسان إلى تعدد الآلهة وعبادة المخلوقات دون الخالق ودخل الإنسان في عهد الوثنية والشرك لكن الله لم يترك الإنسانية في حضيض سقوطها بل بشر أدم وحواء بالخلاص ووعد نوح وعائلته بعد الطوفان بنظام جديد للعالم ثم إختار إبراهيم أباً للمؤمنين وأعطاه ميث وجدد الوعد لإسحق وإختار يعقوب لكي يكون نموذجاً للتوحيد وسط عالم يزدحم بالآلهة وأعطى الله لموسى شريعة وهو من نسل يعقوب شريعة الوصايا العشر وكشف موسى صفات الله وإمتلأ العهد القديم بنبؤات ورموز توجه إلى مجئ المسيح.

٢- وكان العهد الجديد بمجئ المسيا المنتظر وهو السيد المسيح الذي أسس ملكوت الله وحدد ميثاق هذا الملكوت في التطوبيات ودعى إلى الملكوت الفقراء والبؤساء والمعذبين والعطشى إلى العدل والمتواضعين والودعاء والرحماء وقدم للبشر طريق الملكوت والذي هو على تذوق مسبق للنعيم السماوي وقدم العهد الجديد طريق النجاة وفق معايير جديدة تجعل الإنسان يولد من جديد عن طريق المعمودية ويحيا هنا حياة هي مقدمة للحياة الأخرى والسيد المسيح في نظر جميع المسيحيين هو كلمة الله وهو إبن الله هو نور العالم هو الحياة هو المحبة هو القادم من السماء والذي قال من راني فقد رأى الأب وهو الذي عاش بدون خطية وولد بدون خطية .

وبعد هذا إنتشرت المسيحية ولاقت حرباً من اليهودية وإحتراباً من الوثنية .. وإستمرت المسيحية كديانة إلهية وليس كفلسفة من الفلسفات أو بناءاً فكرياً من

الأبنية الفكرية إنما كدين تاريخي أسسه السيد المسيح كشخصية تاريخية ظهرت في فترة من الزمن ولد وترعرع في جهة محددة من العالم وتطورات حياته مسجلة في كتب ووثائق تاريخية لا يدخل إليها شك أو يعتريها وكان مجي السيد المسيح الأول ثمرة وحي إمتد لعدة قرون ووصل إلى القمة في مجي السيد المسيح لأن الله بعدما كلم الأبناء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شي الذي به أيضاً عمل العالمين الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته (عبرانين ١:١) وهذه هي صورة المسيح وسط بلاد العرب وغير العرب وإذا كانت قد شهدت طوائف متوعة فإن هناك إجماع حول شخص المسيح له المجد ولكن هذه الإختلافات كان لها أثرها في الفكر الإسلامي الذي تكون من واقع المعايشة.



الفصل الرابع

المسيحيون العــرب

قبل الإسلام :

تذكر لنا المصادر القديمة البلاد العربية Arabia وقد حدد الرومان المقاطعة العربية الرومانية وسماها البلاد العربية السعيدة Arabia Felix وهي منطقة يحدها خليج عدن وبحر عمان ومن الشمال صحراء سوريا ومن الجنوب الحجاز وكان الرومان يطلقون علي شبه جزيرة سيناء بتراء العربية Arabıc Petree ويصعب أن نأخذ الجنس العربي كمعيار للبلاد العربية لأنه معيار صعب في تطبيقه لأن العرب كانوا شعبا يرحل وراء الماء والكلأ ولقد رحل خارج شبه الجزيرة العربية وأقام في سوريا ولم تكن سوريا عربية آنئذ ويعتبر العرب من الأمم السامية أحفاد سام ومنهم أمم بادت بانقراض العصور الأولى وأشهرهم عاد وثمود وطمس وجديس ومنهم بقيت أمم بقيت هم بنو قحطان وبنو عدنان وبنو قحطان هم العرب العاربة وهم بنو يعرب بن قحطان وبنو عدنان ينسبون إلى إسماعيل إبن إبراهيم حيث أنزل إسماعيل مع هاجر بمكة وهنالك كثر نسله وكان للعرب حضارة قبل الإسلام في اليمن والحيرة والشام والحجاز .

١) في اليمن كانت قاعدة الملك صنعاء وكان المالكون فيها أقبال حمير ومن ملوك حمير بلقيس وهي ملكة عاصرت سليمان الحكيم وكان في اليمن قصور عظيمة منها قصر غمدان الذي اشتهر بروعة بنائه .

٢) في الحيرة كان الملوك من (لحم) إحدى قبائل اليمن ومن أعظم ملوك الحيرة خزيمة الأبرش والنعمان بن امرئ القيس الذي شيد قصر الخوارق وقصر السدير وهما من أعظم المباني العربية.

٣) أما الشام فكان الملك لآل غسان وهم من قحطان ورحلوا من اليمن بعد سيل العرم وأول ملوكهم جفنة بن عمر أول ملوك الغساسنة

٤) وفي الحاجز كانت الرئاسة لقديس ولم يكونوا يسمون ملوكا.

اللغة العربية :

إشتهر العرب بالإهتمام باللغة العربية خطاباً وأدباً وشعراً وقد إهتموا بالخط العربي .. وفي العرب قامت هجرات متلاحقة وأخرها الفتح العربي والذي حدث

بعد الإسلام وفيه حكم العرب كل المناطق المجاورة .. ولما كان القران الكريم يعد حجة في اللغة العربية فلقد فرضت اللغة العربية على البلاد التي فتحت وبأوامر الحكام صار على البلاد التي تحت الفتح أن تتعلم اللغة العربية لكي تستمر وظائفهم وسرعان ما حلت اللغة العربية مكان اللغة القبطية في مصر .. ومكان اللغات التي كانت في سوريا والعراق وبهذا إتسعت رقعة البلاد العربية لما وصلت إليه الأن.

أول كنيسة عربية :

١- ولقد ذكر سفر أعمال الرسل أن من بين الذين حضروا يوم الخميس وهو يوم مولد الكنيسة في٣٤م وكانوا من العرب (أعمال الرسل ٢:١١) وهؤلاء العرب الذين حضروا آمنوا ونالوا المعمودية بعد سماع بطرس الرسول وهم عرب إما أن يكونوا يهوداً أو متهودين أي مهتدين إلى اليهودية وكانوا يسمون الخائفين الله أو الدخلاء أو متهودين وهم من العرب ومن المعروف إن الذين عادوا إلى بلادهم من المعمدين هم الذين أسسوا كنائس في هذه البلاد رحبت لتضم ليس اليهود فقط إنما العرب أنفسهم انطلاقاً من انفتاح الدعوة الالهية في المسيحية لكي تشمل الأمم.

٢- ويذكر الكتاب أن بولس الرسول كان ذاهباً في طريقه إلى دمشق لكي يحصل على أمر بالقبض على المسيحيين فهو يهودي ملتزم ولكنه عندما إقترب من دمشق كانت هدايته ودعوته للمسيحية من المسيح شخصياً حيث أنه بغتة ابرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فقال من أنت يا سيد فقال الرب أنا اليسوع الذي تضطهده صعباً عليك أن ترفس منافس فقال وهو مرتعد متحير يارب ماذا تريد أن افعل ؟ فقال الرب قم وأدخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً فإقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب (أعمال الرسل ٩) ويرى المؤرخون أن روما كانت تعترف برؤساء الكهنة في أورشليم حكام شرف للشعب وقد تضمن تحالفهم مع المكابيين مادة عن تسليم الطرفين للمجرمين والهاربين (مكابيين الأول ١٥ : ٢١-٢٤) ومع أن رؤساء الكهنة لم يحتفظوا بحقهم في حكم الشعب ألا أنهم إحتفظوا بحق إسترداد الهاربين لأسباب دينية فقط .. ولقد استفاد بولس من

هذا القانون لكي يسترجع المسيحيين من اليهود .. تقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد إن أناساً في الطريق رجالاً أو نساء يسوقهم موثقين إلى اورشليم (أعمال ٩) ولكن تغير الأمر وبدلاً من يوثق المسيحيين دخل هو في وثق وشدائد من اجل المسيح وكانت هدايته.

٣- بعد هداية بولس ذهب مباشرة إلى العربية حيث قال لم إستشر لحماً ولا دماً بل إنطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضا إلى دمشق ثم بعد ثلاثة سنين صعدت أيضا إلى اورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً (غلاطية ١:١٧-١٨) وتطلق دائرة المعارف المسيحية على العربية صحراء النبطيين أو النباطيين أو مملكة النباطيين ومعروف أن ملك النباطيين هو ارتياس أو الحارث الرابع الذي حكم من سنة ٩ ق.م إلى سنة ٤٠م وعندما ذهب بولس إلى هناك لم يقصد فقط أن يتوارى عن أعين المتربصين به إنما أن يعيد بناء إيمانه ويعيد قراءة العهد القديم على ضوء مجيء المسيا ويتحدث كتاب بولس الرسول الأب المسكين عن العربية ويقول إنها المنطقة المتاخمة للبحر الميت من شرقه حيث قبر موسى وتنتهي عند خليج العقبة ومن المعروف أن موسى دفن في هذا المكان ولكن قبره إختفى لكي لا يعبد من اليهود ويقول : إن المدن الهامة هناك بوسترا وإن عاصمة تلك البلاد هي بترا وهي غالباً البلدة التي إستقر فيها بولس وليس من المعقول انه لم يكرز هناك للمسيح وسط العرب القاطنين في هذه الأماكن لأننا نسمع عن بترا بأنها كانت مركزاً أسقفياً في أوائل القرن الثالث وأن العلامة أوريجانس أوفد من قبل البابا ديميتريوس لتصحيح تعاليم أسقفها المدعو برللوس وقد نجح في مهمته ولقد نشأ عداء بين والي دمشق وهو الحارث الذي هو نفسه ملك بتراء وبين بولس الرسول حتى أن الحارث Aretas أمر بحراسة أبواب مدينة دمشق للقبض على بولس.

٤- يؤكد الباحثون أن بولس عندما ذهب إلى دمشق كانت في قبضة الحارث . هذا وقد ذكره بولس الرسول بالإسم (في دمشق والى الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكني فتدليت من طاقة في زنبيل من السور ونجوت من يديه (كونتوس الثانية ١١:٣٢-٣٣) وكان الحارث يقول عن نفسه أنه « راحم أمه »وهذا لقب يعني إهتمامه بالشعب حتى لا يقال عنه أنه صاحب قيصر وكان يحكم في بترا على الأنباط وهم من جنس عربي وقد تزوج هيردوس

انتباس Herodus Antipas من ابنة الحارث ثم طلقها ويبدو أن رؤساء الكهنة تحركوا على عجل عند عودة بولس من العربية إلى دمشق وأرسلوا قوة متخفية من الرجال الخطرين ذوي الحيلة في الخطف إنطلقت إلى دمشق وبرسائل توصية إلى الوالي العربي الموالي لليهود وهو الحارث أحكموا الالتفاف حول المدينة وأبتداوا يحرسون أبواب المدينة للقبض على بولس الذي أعتبر لديهم أخطر مرتد ظهر بين اليهود ولكن خدمة بولس كانت قد خرجت من اليهود أنفسهم مخلصين وأمناء للمسيح فأسرعوا وعملوا كل الإحتياطات العاجلة وإذ وجدوا أحد المؤمنين وكان منزله ملاصقاً للسور وفي أعلاه طاقة تطل على الخارج أسرعوا وأنزلوا بولس بحبال وبذلك نجا من مكيدة اليهود والحارث معاً

٥- خرجت مملكة نباطيا أو المملكة النبطية منذ عهد ملخس الثاني ٤٨-٧١م) ومن نطاق دمشق إلى ملك الرومان وفي سنة ١٠٥ إنضمت إلى الإمبراطورية الرومانية وإستولى مندوب سوريا على عاصمتها بترا وبعدها أسس الرومان مقاطعة جديدة أطلقوا عليها إسم « أرابيا» Arabia وجعلوا البصرة عاصمة لها وتعد البصرة مركزاً للمواصلات حيث كان يلتقي فيها طريقان يصلانها بدمشق وفيلادلفيا وبترا وميناء آبله وكانت البصرة أيضاً ملتقى لطريق القوافل وفي سنة ١٩٢م فصل سبتيموس ساويرس المنطقة إلى مقاطعتين سوريا فينيقية وسوريا إشبلية وضم إلى منطقة أرابيا بعض المناطق فامتدت حدودها إلى شمال حوران .

إنتشار المسيحية وسط العرب :

١- بدأت المسيحية في الإنتشار في المنطقة العربية ولكن هناك قول مشهور يقول إن المنطقة العربية كانت ممتلئة بالفرق المنحرفة وهذا يعني تعدد البدع والهرطقات في البلاد العربية بالإضافة إلى الابيوسين والكسائيين والغنوسيين .

٢- في عهد كراكلا Caracalla سنة ٢١٤م أو٢١٥م حدث حدث مهم جدا وهو أن والي المقاطعة الرومانية العربية طلب من والي مصر إرسال أعلم رجل مسيحي في مصر لكي يتعرف على الدين المسيحي وإنتدب العلامة اوريجينوس لهذه المهمة ونجح فيها .

٣- يذكر لنا التاريخ الكنسي من بين المطارنة العرب اسم بيرلوسBerylluss أسقف العرب في « بصرى » ويذكر أن هذا المطران وقع في بدعة الموداليين والتي تقول إن اللوغوس قبل تجسده لم تكن له شخصية مميزة وقد طالبه أوريجينوس

أن يعود إلى العقيدة السليمة ونجح في هذا.

٤- رفض مطارنة البلاد العربية وبالإتفاق مع مطارنة فلسطين وآخيا إدانة العلامة اوريجينوس لما له من مكانة عندهم.

٥- طلب مطارنة العرب مجيء اوريجانوس إليهم مرة ثانية لكي يدحض بدعة متصلة بخلود الروح إذ نفى البعض خلود الروح.. وقد تحدث اوغسطينوس واجتمع مجمع من ١٤ مطراناً لمناقشة الأمر.

٦- يذكر سنكسار الرابع من برمهات المجمع الذي إجتمع على قوم يقال لهم الأربعة عشرية وكانوا يعملون الفصح في الرابع عشر من هلال نيسان في أي يوم إتفق من أيام الأسبوع مع أن عيد القيامة يلزم أن يكون يوم أحد قد حرم هؤلاء من أسقف جزيرة بني عمر وقد أرسل الأسقف يطلب رأي الكنائس الأخرى فأرسلوا إليه رسائل عرضها على المجمع وكان فيه ثمانية عشر أسقفاً وهؤلاء أوقعوا جرماً على كل من لا يحتفل بعيد القيامة في يوم احد والمهم هنا إن هذا العدد من الأساقفة العرب إنما يعني أنه كانت هناك كنائس منظمة.

٧- في ٢٤٤-٢٤٩ إعتلى كرسي إمبراطورية روما إمبراطور مسيحي من أصل عربي وهو فيليوس زوج أوتاسيليا سافيرا .. ولقد حافظ هذا الإمبراطور على واجبات وظيفته ولكنه لم يجحد عقيدته المسيحية وعندما مر بإنطاكية يوم سبت النور لعام ٢٤٤ ذهب إلى الكنيسة ليحضر ليلة عيد الفصح .. ولم يقبله المطران بابيلاس إلا في مصاف التائبين وبعد إعتراف بخطاياه وقد أذعن الإمبراطور لشروط المطران وهكذا الإمبراطورة وقد كانت هناك مراسلات بين هذا الإمبراطور وزوجته مع العلامة اوريجينوس ويقولون إن هذا الإمبراطور عربي المولد وقد بنيت مدينة بإسمه في موقع الشهبة الأن وسميت البصرة بلقب « البلد الأم ».

٨- عندما ظهرت بدعة بولس السمساطي وعقد لها ثلاثة مجامع (٢٦٣ - ٢٦٨) حضرها مطارنة عرب منهم ماكسيم البصري .. وكان السمساطي مطراناً لإنطاكية وفي الوقت نفسه وزيراً للزباء Zonobie ملكة تدمر أرملة الملك سبتيموس اودنياتوس Sebtinius Odenathus وقد أخذت ملكة تدمر الحكم كواصية على إبنها ولم تكن مسيحية إنما كانت كثيرة التسامح.

٩- أدخل الإمبراطور دقلويانوس ٢٩٥ تعديلات وإصلاحات إدارية على المنطقة

وسقف الديار العربية في الشمال وعلى حساب مقاطعة سوريا فينيقية وفي عام ٣٥٨ أجريت زيادات على حساب منطقة فلسطين.

١٠- وصل إضطهاد دقلويانوس ولكسيميانوس إلى المسيحيين في الديار العربية وفي كتاب الشهداء الروماني تحت يوم ٢٢ فبراير ذكر عن الشهداء المسيحيين العرب الذين قتلوا بالخنجر ويذكر أسماء قديسين مثل تريزا البصرية وكيرلس واكويلا وهناك في كتاب ازوبيوس التاريخ الكنسي حديث مطول عن المحترقين والذين أجبروا على العمل في مناجم « فاينو»

١١- يوجد حتى الأن عدد من بقايا الكنائس في المدن والأرياف في بلاد العرب كما توجد نقوش تطلعنا علي مراكز الكراسي والدرجات الكهنوتية ، كما أفرد المورخ دفريس كتاباً عن بطريكية إنطاكية وخصص باباً لدراسة مقاطعة الديار العربية ويلاحظ الأب جيوج قنواتي أن هذه البلاد العربية كان معظم أوساط المثقفين فيها من أصل غير عربي وعندما دخل الذين من أصل عربي إلى القيادات الكنسية إندمجوا في الثقافة اليونانية.

موقعة اليرموك :

وعندما إنتصر المسلمون في موقعة اليرموك ٦٣٦م كانت بصرى أول مدينة تسلم أمرها للفاتحين وقد حاول النظام الكنسي أن يتكيف مع الحالة الجديدة وإستمر بناء الكنائس حتى ٦٥٢م ويذكر لنا التاريخ أسماء مطارنة ثلاث هم يوحنا وثيئودوسيوس وانطوينوس وبقائمة هؤلاء المطارنة الثلاث تنتهي قائمة المطارنة المعروفين لمقاطعة «الديار العربية».

الفصل الخامس

كنائس وقبائل عربية ومسيحية

نظام الكنيسة:

تحدث هارناك Harnack في كتابه الكرازة المسجن وإنتشارها عن نظام الكنائس في البلاد العربية وذكر أنه على رأس كل كنيسة يوجد أسقف وفي يده كل السلطة في نطاق ايباراشينة والسن القانوني للأسقف هو خمسون سنة .. وللأسقف معاونون هم الشمامسة ومساعدو الشمامسة والفقراء ومرتلون وسيدات أرامل شماسات وقال إن الفقراء كثيرون في الكنيسة ويعانون بواسطة جمع المال من الأثرياء ولكن لا تقبل عطايا الأثريا الفاسقين أو الذين يقرضون بالربا أو من النجلاء والغشاشين أو صانعي الأصنام وكان الأسقف يحكم في الخلافات يومي الأثنين لتكون لديهم فرصة لكي ينتهي الاختلاف قبل يوم الأحد للدخول في سر الشركة.. وكان المسيحيون يصومون الأربعاء والجمعة ورسالة الأسقف أن يجنب المؤمنون أصحاب البدع.

رؤساء مسيحيون :

وكثيراً ما كانت المسيحية تبدأ بالقادة وأحيانا تبدأ من القاعدة الشعبية :

١- وقد ذكر المؤرخ سوزمين أن قائداً إسمه (زكوم) كان تعيسا لأنه لم ينجب أولاداً فإتصل براهب وعالمه ووعده بذرية اذا إهتدى الى المسيحية وفعلاً أنجب وصار مسيحياً هو وكل قبيلته.

٢- ذكر مؤرخ آخر أن اسبيبت Aspebet رئيس قبيلة عربية قد آمن بالمسيحية هو وكل قبيلته بعد هذا رسم أسقف ٤٢٧ م وسمي بطرس وبدأ دخوله في الايمان عن طريق صبي له كان مصاب بالشلل وصلى لأجله القديس اوستيميوس الكبير ونال نعمة الشفاء .. وقد صار لهذا الأسقف ايبارشية تحت إسم « بارامبولاي » وكان قريبة من دير اونيموس وكان يتردد عليه البدو المسيحيون وقد اشترك اسقف هذه الايبارشية في مجمع أفسس ٤٢٥ م وكان واحداً من الأعضاء الذين اوفدوا بطريرك انطاكيا والي نسطور وقد أفل نجم هذه الإيبارشية سنة ٥٢٩م بواسطة المنذر الذي شتت وبدد المسيحيون من هناك.

٣- كان للقديس اوتيموس تلاميذ كثيرين من العرب من بينهم إيليا بطريرك

أورشليم الذي توفي سنة ٥١٨ م إستشهاداً بسبب إيمانه ومن بين تلاميذه استفانوس .

٤- في « فينيقية الثانية» كان هناك مركز للمسيحيين العرب وكان أسقفهم « اوسطاطا » أحد أعضاء مجمع خلقيدونية وبقيت ايبارشيته تحت إمرة فيلارك إمرؤ القيس عم الشاعر الجاهلي الشهير .. وقد بدأت هذه الإيبارشية بتعميد ثلاثين الف في أوائل القرن الخامس على يد تونوس أسقف هليوبوليس .

٥- في جزيرة يوتابي Iotabe وتسمى الان تيران في مدخل خليج العقبة قامت أسقفية مسيحية والمكان يعد مركزاً مهماً للمرور التجاري ولتحصيل العوائد الجمركية .. واليه ذهب عربي إسمه أموركيوس او عمروكيوس وكان قد هاجر الى هناك وأقام سنة ٤٧٠ م وطرد الحكام الرومان ثم أرسل الأسقف الى الإمبراطور لكي ينال وظيفة حاكم بترا العربية Arabia Petree وقد وافق الامبراطور على ذلك وقد بقيت هذه الأسقفية قائمة وكان انسطاس أسقفها عضواً في مجمع عقد في أورشليم سنة ٥٣٦ م .

ممالك مسيحية:

وقد قامت دويلات وممالك مسيحية في البلاد العربية مثل دولة الغساسنة .. واللخميون .. والحيرة .

١- الغساسنة:

ويرجع أصل الغساسنة الى قبيلة «جفنة» وقوامهم عرب سوريا الذين هاجروا من اليمن .. وكان الغساسنة مرتبطين بالإمبراطورية الرومانية منذ القرن الرابع .. وأقيمت هذه المملكة كدولة حاجزة ضد القبائل العربية السالبة وضد الفرس .. وقد كان على رأسهم الحارث بن جبلة الذي سمي بطريقاً وسمي ملكاً بالنسبة لأهله هذا نحو ٥٦٨ م وكانت دولة الغساسنة تمتد شمالاً الى الفرات وجنوباً الى بترا مع بدو وكانت دمشق وتدمر وبصرى خارج سلطته..وكانت عاصمة الغساسنة «حرته» وهي كلمة سيريانية تعني معسكر وأصبحت بالعربية « الحيرة » وكانت هذه المملكة في حالة حرب دائمة وقد هزم اللخمي المنذر منافسه الحارث وقدم إبن الحارث ذبيحة الى الآلهة العزة.

وهناك قوائم لأمراء الغساسنة.. وهناك مجامع كنسية عقدت تحت إمرة

الغساسنة.. وقد قام الحارث بتعيين أسقفين كرسهما له بطريرك الأسكندرية وبعد الحارث إستلم الحكم إبنه المنذر وقد حارب عرب الحيرة اللخميين وإنتصر عليهم في يوم عيد الصعود ٢٠مايو ٥٧٠ م في معركة « عيد اباغ » وكان المنذر بن الحارث متحمساً لعقيدة الطبيعة الواحدة مثل أبيه وكان يشترك في المناقشات الدينية وفي عهده أقيم مجمع كنسي لمحاربة بدعة الآلهة الثلاث وقد نفي الرومان الحارث الى صقلية سنة ٥٨١ م.

٢- اللخميون :

وقد كانت مملكتهم شمال الكوفة على الضفة اليمنى من الفرات وعاصمتهم « الحيرة » وهي مركز تجاري للقبائل العربية المجاورة وقد إهتدى أهل الحيرة للمسيحية وسميت « العباد » أي عباد الله وكانت الحيرة مركزاً لإيبارشية مسيحية وكان مطرانها وإسمه هوشع عضواً في مجمع سلوكية وكان القديس سمعان العمودي هو قديس المنطقة وكان يعيش على قمة عمود في جبل سمعان .. وكان يصنع المعجزات ويقدم المشورات الروحية للعرب القادمين اليه .. ولقد خاف النعمان ملك الحيرة من سلطة سمعان العمودي الروحي وقرر ابعاده ولكن ظهر له القديس في المنام في رؤيا وأقنعه بان يترك المسيحيين أحراراً لمزاولة دينهم وشارك مطرانة الحيرة في مجامع متعددة .. وكانت الحيرة مرتبطة بالنساطرة رغم محاولات أصحاب الطبيعة الواحدة لإقناعهم.. وكان ملك الحيرة وثنياً متزوج بمسيحية وإضطهد المسيحيين وقتل أربعمائة راهب وحاولت زوجته أن تكفر عن جريمته فبنت ديراً في الحيرة وفيه بيعة كبيرة .. وأما الملك النعمان الثالث ٥٧٠ م فقد كان أول ملك يعتنق المسيحية فلقد تربى في قبيلة بني تميم المسيحية تربية مسيحية ولكنه رغم هذا تزوج بأكثر من إمرأة .. ومدينة الحيرة مدينة قديمة في تاريخ المسيحيين العرب وكانت في الحيرة مدرسة شعراء أشهرهم عدى بن زيد وأبوتواد ولقد ذكر في كتاب الأغاني أن الشاعر الأعشى أخذ أراء المسيحية من عباد الحيرة .. وكان الحيرة يتكلمون اللغة العربية بجوار اللغة السيريانية وكانوا أوائل العرب الذين استعملوا الخط العربي وهذا ساعد بواسطتهم على إنتشار الأراء المسيحية في الاله الواحد.

وكلمة حيرة تعني معسكر كما تعني الحضر .. وسميت الحيرة مدينة العرب وعرفت أحياناً بإسم ملوكها «حيرة النعمان » وكانت الحيرة مدينة جميلة الهواء

حتى قيل ليلة بالحيرة خير من دواء سنة وسميت الحيرة الروحاء والحيرة البيضاء .. ولقد أفل نجم الحيرة بعد ظهور مدينة الكوفة ، وسمي ملوك الحيرة آل نجم .. آل بضر .. النعاعمة.. المناذرة .. وأهل الحيرة عرب قسمهم المؤرخون الى ثلاث طبقات تنوخ والعباد والأحلاف .. ورغم إمتداد المسيحية في الحيرة كان فيها من يدين بالوثنية والآلهة اللات والعزى وسيد ومحرف لها موقعها هناك ويذكر التاريخ ان الحيرة كانت مركزاً تبشيرياً خرج منها المبشرين الى اليمن وبلاد العرب .

مدن مسيحية:

ولقد تطبعت المسيحية بطابع العرب وكما أن العرب بدو لايستقرون في مكان ما كذلك كان هناك أساقفة متجولون يسمون « أساقفة المضارب » وفي المجامع كانوا يحضرون ويوقعون وكذا أسقف أهل الوبر ، أسقف القبائل الشرقية المتحالفة ، أسقف عرب البادية وقد دخل الى النصرانية عدد كبير من القبائل وفي الحجاز كانت بعض المدن قد إنتشرت فيها المسيحية مثل :

١- أيلة آخر بلاد الحجاز كانت نصرانية وقد أتى أسقفها الى الرسول وصالحه على أن يدفع كل حالم ديناراً في السنة .

٢- دومة الجندل كان عليها أسقف وكانت كلها نصرانية.

٣- معان في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء وكان ملك عليها عند ظهور الاسلام خردة بن أبي عامر شيخ بني جزام النصارى وكاست تحت إمرة أسرة إمرؤ القيس.

٤- تيماء وتقع بين الشام ووادي القرى وكانت مدينة حصينة لأهل الكتاب من يهود ونصارى وفيها قبيلة طئ النصرانية.

٥- تبوك وهي حصن بين وادي القرى والشام يسكنها نصارى قضاعة .. وجاورهم فيها بنو كلب من قبيلة تغلب النصرانية وفي غزوة تبوك لم يتمكن محمد والمسلمون من إقتحامها لحصانتها ومناعتها ولسرعة الروم والنصارى من العرب لنجدتها وحاصروها عشرون يوماً ثم عادوا راجعين .

٦- وادي القرى :

ومن القرى دومة الجندل والحجر وديدان وهو يقع بين الشام والمدينة وسكنها

اليهود اولاً ثم قضاعة وسليح المصرانيتين .. وكان وادي القرى ممنوعاً على اليهود وعلى العرب من غير النصارى.

٧- يثرب : وكان في يثرب ثلاث كنائس على إسم إبراهيم الخليل وموسى الكليم وأيوب الصديق وقد كانت مستعمرة يهودية ورحل اليها الأوس والخزرج وكان فيها نصارى من رقيق وموالى يقومون بخدمة سادتهم.

٨- مكة : كان في قريش عدد من المسيحيين .. وكان هناك أيضاً تجار وعبيد وبائعي نبيذ مسيحيين في مكة.

ويرى كثيرون أن المسيحيين في مكة كانوا من طبقات ذات مستوى متواضع ومن بينهم أحابيش وخدام لأغنياء مكة وورد في بعض الأخبار أن بعض الرهبان والشمامسة جاءوا الى مكة ويذكر عن ورقة بن نوفل انه تنصر وتقدم في المسيحية ومات عليها .. ووجد على جدران الكعبة صور للأنبياء والملائكة وبخاصة صورة السيد المسيح وأمه مريم وورد في الأرزقي أنه في يوم فتح مكة دخل رسول الإسلام وطلب ثوباً ووضعه في ماء زمزم لطمس الصور ولكنه وضع كفيه على صورة العذراء والسيد المسيح وقال إمحوا جميع الصور إلا ما تحت يدي .. وإنتقد الرسول صورة إبراهيم وهو يستقسم بالأزلام وقال قاتلهم الله جعلوه يستقسم بالأزلام مال إبراهيم والأزلام .. والأمر هنا يتضح لنا فيه أن الرسول الكريم ما كان يكن للسيد المسيح ولمريم إلا كل إحترام وما كان يرفض أيضاً إستعمال الصور إنما اعترض على الروح الوثنية فيها.

٩- ميناء عدن وميناء أدوليس :

كان ميناء عدن موضع تبادل بين دول البحر الأحمر وكان يعيش فيها ملوك سبأ وقد ذكر الكتاب المقدس زيارة ملكة سبأ لسليمان الحكيم .. وقد سكن ميناء عدن الحميريون العرب وهم مسيحيون وفي الضفة المقابلة لعبت ميناء ادوليس بالنسبة للحبشة نفس الدور الذي قامت به عدن .. حيث عاشت بعض القبائل الحبشية .

قبائل عربية :

١-الحميريون : كانت المملكة الروحية قبل الدخول إلى المسيحية متأثرة باليهودية وهذا جعل هذه المملكة ترحب بالمسيحية خاصة بعد رسامة فرفنيوس

مطراناً للحبشة .. وقد أرسل قسطنطين إلى الحميريين الراهب ثيوميلس لهدايتهم وقد نجح في هذا فلقد آمن الملك وتأسست هناك ثلاث كنائس .. وقد قوي شأن المسيحية في هذه القبيلة وتعرضوا لإضطهاد من حكام يهود وإستشهد الكثيرون منهم على المسيحيين وقد أفاض كتاب الإستشهاد في المسيحية لنيافة الانبا يونس في شرح هذه الروح المسيحية العالية .. وتتحدث دائرة المعارف الميسرة على أن حمير قبيلة يمنية معروفة من أيام السبئيين وكان لها نفوذ كبير في أواخر أيام دولة سبأ ثم كونت لها دولة في وسط اليمن عاصمتها ظفار ويطلق إسم الحميريين على قدماء اليمن وتسمى جميع الآثار بنفس الإسم.

٢-نجـــران :

وعاشت قبيلة نجران المسيحية في واد نجران وهو وادي كبير على حدود اليمن والمملكة السعودية وهو مقسم الآن بين البلدين نصفه الشمالي تابع للسعودية ونصفه الجنوبي لليمن.. وإرتبط إسم نجران بتاريخ المسيحية وقد جاء وفد من نجران إلى الرسول الكريم وعقد معهم إتفاقاً وسمح لهم أثناء التفاوض بإقامة صلوات عيد الفصح في أول جامع إسلامي سنة ٦٣١م وتذخر آثار هذه المنطقة بالكثير من الآثار المسيحية .. وكانت في نجران العديد من الكنائس وهناك رواية تقول أنه كان يوجد مسيحي سوري إسمه « فيميون » وكان يعمل في البناء وقد كان مع زميله وإسروا في إحدى الغزوات وبيعا كعبيد في نجران ولما ذهبا إلى هناك بدأ فيميون في صناعة معجزات بدأها بأن وجد الناس يعبدون النخيل فصلى إلى الله ويبست النخلة في الحال مما جعل أهل القبيلة يؤمنون بالمسيح كما تمكن أيضاً هذا القديس من إقناع نجراني من الأعيان هو عبد الله بن نمير بالمسيحية وترك السحر وتغلب فيميون على سحرة البلاد.

وقد نشأ مركز مسيحي آخر عندما إحتل ملك أكسوم جزءاً من نجران في القرن السادس.. وكانت المسيحية في نجران مزدهرة في عصر الرسول ولكن عمر بن الخطاب طرد قبائل نجران إلى مابين البحرين وأسسوا هناك نجراناً جديدة.

٣- تغلـب :

وتعد إحدى القبائل المسيحية المشهورة وهي أعظم قبائل ربيعة شأناً في بلاد العرب ويقال إن جد هذه القبيلة إسمه دثار وإن أباه تمنى له أن يغلب فلحق به

هذا الإسم وقد نزلوا هضاب نجد والحجاز وتخوم تهامة واستقروا في منازل في ديار ربيعة.. وقد وقفت قبيلة تغلب مع المسلمين ضد الفرس سنة ١٣هجرية حيث تقدم الصفوف شاب مسيحي من تغلب وإخترق الصفوف وأطاح في سرعة فائقة بالقائد الفارسي وتحقق الإنتصار للعرب .. وكانت تغلب من أعز القبائل حتى قيل لو أبطأ الإسلام لأكلت بنو تغلب الناس.

٤- وتذكر لنا غزوات الإسلام مواقف مشرفة لقبائل مسيحية وقفت تؤازر المسلمين وعلى الأخص معركة العام الثالث عشر للهجرة ضد الفرس حيث ذكر فيها:

أ/ أن الزعيم المسيحي الذي من بني طي قام مع المسيحيين إخوانه بحماية جسر من القوارب جعل القوات الإسلامية تنظم إنسحابها دون خسائر .

ب/ تجمعت قبيلة بني نمر النصرانية التي كانت تقيم داخل الدولة الرومانية وساعدت القوات الإسلامية علي بدء المعركة ضد الفرس من جديد.

٥- هناك قبائل مسيحية أُخرى أو قبائل بها أغلبية مسيحية مثل تنوخ ، غسان ، بحراء سليح ، كلب ، إياد ، بكر ، عجل ، شيبان ، بني طي وتميم ، بنو كندة ، بنو الحارث وعبد القيس.. وثقيف التي منها الشاعر إبن أبي الصلت الذي توفي ٦٣٠ م وأعطى لله إسم السلطيط عندما قال والسلطيط فوق الأرض مقتدر .

الفصل السادس

الأقباط واللغة العربية

اللغة القبطية:

عندما دخل الفتح العربي الى مصر كانت مصر كلها تدين بالمسيحية وتتكلم باللغة القبطية وهذا ما عرفناه ليس عبر المراجع فقط إنما عبر منهج المدارس التي تعلمنا فيها .. كما كان عدد أقباط مصر ثلاثون مليوناً ويتفق المؤرخون على أن الأقباط هم أول من خط بالقلم ويستدلون على هذا بما وجد من نقوش على الإهرامات وما قبل الإهرامات .. واللغة القبطية هي التطور الأخير للغة المصرية القديمة.. وفي القرن الرابع قبل الميلاد إستعانت اللغة القبطية بالأبجدية اليونانية لأنها أسهل من الفرعونية القديمة والتي تتطلب رساماً وفناناً لكي يكتب حروفها.

وهذه الإستعانة بالأبجدية اليونانية أوجدت لدى بعض المؤرخين خلطاً فيما يخص اللغة النوبية والتي عاشت في بلادنا السودانية أكثر من الف عام من تاريخنا المجيد لأنها كتبت بالحروف القبطية ولهذا يقول البعض أن اللغة النوبية كتبت بحروف يونانية والأصدق تاريخاً أنها كتبت بالحروف القبطية حيث كان للكنيسة القبطية القدح المعلى في الإشراف على كنيسة النوبة لغة وعقيدة وطقسا ..

وعندما دخلت اللغة العربية الى مصر في القرن السابع الميلادي لم تعطى للغة القبطية مكانتها وحاولت العربية أن تسيطر على كل البلاد مع المد الإسلامي بل أن الحكام العرب صمموا على أن تكون اللغة العربية هي لغة دواوين الحكومة ومن لا يعرفها يفصل من الحكومة وهنا صارت اللغة القبطية هي لغة الكنيسة والبيت وتعلم الأقباط اللغة العربية وتقدموا فيها تقدما ملحوظاً وتفوقوا على أقرانهم في فقه اللغة والنحو والصرف ووصل البعض منها الى سيوبويه في مجده .. واتقن الأقباط اللغة العربية كتابة ورسماً وخطاً وبرزوا في كل أنواع الخط العربي يكتبون به كتب الكنيسة والآيات المقدسة وألفوا ترانيم ومدائح باللغة العربية وفي شهر كيهك القبطي تقرأ مدائح باللغة العربية من تأليف أقباط زبحوها حباً في مريم العذراء حيث أن شهر كيهك هو شهرها الذي في آخره ولدت السيد المسيح الذي ولد بغير زرع بشر.

والى عهد قريب كان الأقباط يدخلون طلبة في الأزهر الشريف لتعلم اللغة العربية لغة وأدباً وبلاغة .. وأذكر عندما كنت طالباً بالكلية الأكليريكية في مصر في العقد السادس من القرن العشرين الذي يسبق قرننا الحالي كان يدرسني اللغة العربية دكتور صيدلاني هو الدكتور جرجس اسحق .. وكانت له أجزخانته الخاصة .. وكان يحاضرنا في يوم الجمعة عدة محاضرات .. وكثيراً ما كنت أراه متألماً عابساً عندما لا نتكلم العربية الفصحى ويكاد أن يبكي عندما ننصب ما يرفع ونرفع ما ينصب ، وأذكر أول لقاء له بنا في الصف الأول بالكلية وقد أعطانا فيه كتاباً هو دعاء الكروان للأديب العظيم طه حسين وقسم علينا فصول الكتاب لكي نلخصها .. وأردت أن أتفوق على أقراني فكتبت ملخصاً للفصول التي تسبق فصلي ولخصت هذا الفصل ، وجاء دور الدرجات فأعلن رسوب كل طلبة الفصل لأنهم لا يجيدون الكتابة باللغة العربية ثم أثنى على تلخيصي لكنه خصم من الدرجات أربعون في المائة لأنني وقعت ضحية خطأ ما زال كل الناس يقعون فيه وكان الخطأ أن تحدثت عن بطل القصة وقلت عنه أنه الباشمهندس الشاب ورأى هو أن كلامي هذا ليس صالحاً للغة العربية التي لا تعرف كلمة باشمهندس إنما مهندس فقط ... ورغم أن الأستاذ القبطي كان يتبرم منا ويعتبر أننا نرتكب أخطاء كثيرة في اللغة العربية إلا أننا قد أحببناه وأحببنا اللغة العربية بسببه .. وخلال تدريسه كانت الأستاذة إيزيس حبيب المصري قد كتبت الفصل الأول من قصة الكنيسة القبطية وقد كان سعيداً جداً بها وبلغتها العربية القوية والسليمة نصاً وروحاً .

وخلال تلمذتي في الكلية الأكليريكية كنت أصلي في الكنيسة البطرسية وكان رئيس الشمامسة فيها هو فرانسيس العتر والذي كانت لغته العربية قوية وسامية وبليغة وقد عرفت منه أنه دخل الأزهر ودرس اللغة العربية فيه .

وفي السودان تعامل الأقباط مع اللغة العربية تعاملاً محترماً وتفاعلوا مع هذه اللغة العظيمة وكانت المكتبة القبطية بالخرطوم صالوناً أدبياً للشعر والنثر والندوات الغنية بتراث اللغة العربية حتى أن سكرتير نادي المكتبة القبطية ذات مرة كان أزهرياً مسلماً .

إشتملت المكتبة القبطية العديد من الكتب في الأدب العربي وإنتشرت المكتبات في أمدرمان والخرطوم بحري ومدني والأبيض وعطبرة وبورتسودان وكلها كانت

صالونات أدبية يتلاقى فيها الأدباء ويملأون الحياة أدباً وبلاغة وشعراً وزجلاً .

ويذكر المؤرخون أن البابا كيرلس الخامس عندما جاء الى السودان في المرة الثانية سنة ١٩٠٩م تمّ في حضوره إنتخاب أول جمعية قبطية سودانية وتبرع للجمعية بمبلغ خمسون جنيهاً لكي تكون خميرة لبدء العمل ، وأعجب بفصاحة الأعضاء الذين خطبوا في وجوده يحيون زيارته وعطيته ومن الأسماء اللامعة آنذاك الأستاذ نجيب حنين الخطيب المفوه الذي يملك ناصية البلاغة في اللغة العربية.

وعلى مستوى الوزراء يذكر عن الدكتور وديع حبشي أنه عندما يتلقى التقارير من مرؤوسيه يراجع التقرير ويصحح الأخطاء التي فيه ويقوّم لغته العربية .. وقد كان مهموماً باللغة العربية .. وفي أقباط السودان العديد من الأدباء والشعراء نذكر منهم عزيز التوم وعزيز أندراوس وسعد ميخائيل والخطيب البليغ الذي بدأ خدمته في السودان وطرد منها بواسطة الحاكم الأنجليزي وذهب الى مصر وهناك صار خطيباً بليغاً مفوهاً ثورياً أزكى نار ثورة ١٩١٩م وهو الأب القمص سرجيوس والذي كان هنا في السودان بيننا وبدأ من هنا مجلته « المنارة المرقسية » التي كانت منارة إزدانت بالأدباء والشعراء وموجودة أعدادها الأولى في دار الوثائق السودانية .. ولا ننسى أديب الأدباء شاعر الروح والقداسة المطران الأنبا دانيال الذي كان عندما يطير النوم من عينيه يكتب أجمل القصائد الروحية .. وعلى مستوى أقباط مصر نذكر الزعيم المرموق مكرم عبيد والذي كان خطيباً بليغاً في اللغة العربية وندد بالإحتلال وإزدان تاريخه بالنفي والسجن وكان وزيراً للمواصلات والمالية والخارجية وكاد أن يكون رئيساً للوزراء لولا خصومات البعض وكان نقيباً للمحامين ويعد كما قال عنه مصطفى الفقي أشهر خطيب في التاريخ السياسي وله أقوال يحفظها البعض حتى الآن نذكر منها اللهم يا رب المسلمين والنصارى أجعلنا نحن المسلمين لك وللوطن أنصارا وأجعلنا نحن النصارى لك وللوطن مسلمين .

وعلى ضريح سعد زغلول قال مكرم عبيد في مناسبة عيد الفطر ١٩٤٣م .. ولا يحسبنّ أحد أن حقي في تهنئة أخوتي المسلمين مستمد من صلة في الدنيا دون الدين .. كلا فالحق ليس هو إلا سبيل واحد وإن يكن ذا طرفين وقبلة واحدة وأن تكن بين حرمين فلنتحدث عن هذا الحق من ناحيته وعلى صورتيه .. أو بالأحرى

فإن الأعياد فرعت فجمعت بيننا على إختلاف مذاهبنا في الدين ، فما من عيد للمسلمين أو المسيحيين من بني الوطن إلا وتفتح له الدور لإستقبال الفريق الآخر من المواطنين المهنئين والمعيدين مع المعيدين لا عن مجاملة بل عن مؤاخاة ومجاورة ومزاملة .. أما من ناحية الدين فتجمعنا في الوطن محبة الأقاليم ولا تجمعنا في الله الرحمن الرحيم !؟ أونكون أخوة في الوطن وفي إنسانية هذا العالم الأصغر ولا نكون إخوة في الله والله أكبر .. !؟ الا نرتفع بالدنيا الى مستوى الدين وبالأرض الى أعالي السماء إذا شئنا لأرواحنا أن نحيا حياة النعيم في دار الشفاء !؟ وعندما حاول المستعمر أن يفرق بين المسلمين والأقباط قال مكرم عبيد .. يقولون أقباط ومسلمون بل هم مصريون ومصريون وآباء وأمهات وبنون أو قولوا لهم أخوة لأنهم بدين مصر يؤمنون أو أشقاء لأن أمهم مصر وأباهم سعد زغلول.

وتذكر المراجع العلمية بعض الشخصيات القبطية التي ساهمت في اللغة العربية كتابة وأدباً وشعراً ونحواً وصرفاً ونذكر هنا البعض منهم :-

١/ يذكر أنه في زمن الخديوي إسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٨م برز العالم القبطي الكبير وصفي بك الذي درس في الأزهر الشريف ووضع كتاب الخلاصة الذهبية وهو أول كتاب في النحو ووضع أيضاً كتاب مرآة الظرف في فن الصرف.

٢/ السياسي المحنك والأديب البارع والوطني الأصيل واصف بطرس غالي ١٨٧٨م - ١٩٥٨م قام بترجمة بعض الشعر العربي الى اللغة الفرنسية في ديوان بعنوان « روض الأزهار » كما قام بإلقاء محاضرات في فرنسا للإشادة بفضل العرب على الثقافة الأدبية .. وقام بترجمة ديوان البحتري الى الفرنسية حتى قيل عن واصف أنه كان ذا كفاءة نادرة ولو أنها كفاءة حالمة.

وقال عنه سعد زغلول : واصف غالي عندي أقل الناس طمعاً وأكثر الناس تواضعاً .. متواضع في كبرياء .. ساكن في حركة ، شديد الحساسية .. قوي في عجز .. ماكر في بساطة .. واسع الخيال .. بليغ القلم والبيان ..

وقال عنه أمير الشعراء أحمد شوقي :

غال ما شئت في إبن بطرس غالي   علـم الله ليس في الحـق غـلا

٣/ أما الدكتور القبطي رمسيس جرجس فقد كان بلا منازع أحد علماء مجمع اللغة العربية ١٨٩٥ - ١٩٥٩م وقد كان طبيباً ومحباً للغة العربية وبرع في

الأبحاث الطبية وكتب معجماً للعلوم الطبية عربي إنجليزي فيه نحو ستين الف مصطلح .. وعرف بحرصه على أن يضع لكل مصطلح مقابلاً له من اللغة العربية الفصحى مهما كان غريباً وله من المعاجم والقواميس الكثير وقدم للمجمع اللغوي عدة بحوث عن دراسات لغوية تحتاج الى إطلاع واسع وعلم غزير وقد كان له هذا ومن بحوثه في اللغة العربية :

١- النسب بالألف والنون

٢- التمييم والتنوين

٣- النحت في العربية

٤- اللغة الفرعونية وعلاقتها باللغات السامية

٥- مصطلحات ابن سينا

وعندما إنضم لمجمع اللغة العربية قال عنه الدكتور أحمد عمار « لقد أرادت له الأقدار أن يكون معجمياً أو أن يكون مجمعياً » فمعنى الكلمتين يكاد يكون واحداً كما أن حروفها واحدة ومن ثم أهلته لهذا المركز الجليل على نحو دقيق .

٤/ أما قرياقص ميخائيل المراغي ١٨٨٧ - ١٩٥٦م فقد أطلق عليه المؤرخون لقب المجاهد الوطني وأيضاً لقب المحامي البليغ عن الأزهر الشريف .. وكان في كتاباته باللغة الإنجليزية يهدف الى ترسيخ الوحدة الوطنية وكتب نحو مائة مقال لشرح المسألة المصرية وكان هذا باللغة الإنجليزية في لندن .. وفي لندن أيضاً دافع عن الإسلام وعن الأزهر الشريف وتبرع هناك بحديقة منزله لتكون منتدى ثقافياً لأبناء بلاده المقيمين في بريطانيا.

٥/ ونأتي الى الدكتور البروفيسور مراد كامل ١٩٠٧ - ١٩٧٥م وقد كان لي شرف التلمذة على يديه في كلية اللاهوت حيث كان يدرسنا اللغة العبرية وهي لغة شقيقة للغة العربية ولقد نبغ في عدة لغات تصل الى ثلاثين لغة وقد أختير عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦١م وقام بالتدريس في معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية .. وله أبحاث في أصول اللغة وقواعدها وتاريخها.

٦/ أما المهندس الجسور بين الثقافة العربية والثقافة العالمية فانه الدكتور

مجدي وهبة ١٩٢٥م - ١٩٩١م فلقد كان يعمل مترجماً وكان يملك ناصية اللغة العربية وترجم القانون الفرنسي المعروف « كود نابليون » الى العربية وعين مديراً عاماً لإدارة الترجمة العربية بوزارة الحقانية ثم وزيراً للمالية .. وقبل هذا كان وكيلاً لوزارة الثقافة وفي سنة ١٩٧٩م أختير عضواً بمجمع اللغة العربية وكان يمثل المجمع في إتحاد المجامع اللغوية .. وله بالإشتراك مع كامل المهندس قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية العربية.

٧/ ومن النساء برزت كثيرات في آداب اللغة العربية بينهن الدكتورة إنجيل بطرس أستاذة الأدب الأنجليزي التي نقلت بوتوبيا من العالمية الى العربية وقدمت السكرية لنجيب محفوظ الى العالمية ولها العديد من المؤلفات الأدبية باللغة العربية وباللغة الإنجليزية .. ولها دراسات في الرواية العربية.

٨/ أما الأديب المبدع والناقد الجرئ الأستاذ لويس عوض ١٩١٥ - ١٩٩٠م فإنه ظاهرة فكرية يقولون أنها لا تتكرر وهو أحد قافلة رواد التنوير العظماء في تاريخنا الثقافي المعاصر .. وهو مفكر جرئ .. وقد قضى سنوات طفولته في عاصمتنا الثقافية الخرطوم وسط أجواء جميلة ورائحة تاريخ عتيق ، وله ما يقرب من خمسين مؤلفاً باللغة العربية والإنجليزية .. وقد كتب في الثورة والأدب .. مقدمة في فقه اللغة .. أوراق العمر .. وله معارك ثقافية حول مواضيع عربية مثل أبي العلاء المعري ورسالة الغفران .. وقد قال عن اللغة العربية أنها أحد فروع الشجرة التي خرجت منها مجموعة اللغات.

وقال عنه الدكتور يوسف إدريس أنه من أعظم المفكرين العرب في كل التاريخ العربي ومقالاته النقدية مهما إختلف البعض هي أنوار متلألئة على طول الطريق إلى نهضتنا .. وقال عنه دكتور مصطفى الفقي أنه كان ناقداً مرموقاً ومتذوقاً رفيع الشأن للشعر والرواية والمسرح والسينما في وقت واحد .. ومزج في شخصيته بين الإهتمامات الفكرية والأدبية والفنية .. وقال عنه دكتور أسامة الباز أنه كان مفكراً ديمقراطياً لا يقبل إطلاقاً فكرة الفرد وإملاء الرأي يرفض الدكتاتورية الرأسمالية والعسكرية.

٩/ أما الأديب القبطي العظيم جرجس زيدان مؤسس جامعة القاهرة ١٨٦١ - ١٩١٤م والذي نعاه الشاعر إيلياء أبو ماضي في قصيدة جميلة وبليغة تعبر عن مكانة جرجس زيدان .. حيث قال :

ثكـل الشرق فـتاه ليتني كـنت فـداه
ليتني كنت أصماً عندما الناعي نعـاه
قد نعى الناعون زيدانا الى البدر سناه
والى التاريـخ والعلـم أبـاه وأخـاه

وقال عنه جبران خليل جبران :

من شاء أن يكرم زيدان فليرفع نحو روحه ترنيمة الشكر وعرفان الجميل بدلاً من ندبات الحزن والأسى .. ومن شاء أن يكرم زيدان فليطلب قسمته من خزائن المعارف والمدارك التي جمعها زيدان وتركها إرثاً للعالم العربي .

ولجرجس زيدان إنتاجاً ضخماً أدبياً ولغوياً .. وقد كتب ليبقى ما بقي الزمان .. وما دام القمران كتب للأجيال الآتية عن الأجيال الذاهبة بلغة واضحة مفهومة لا تعقيد فيها ولا تكلف.

١٠/ ولا يمكن إلا أن نكتب عن أديب اللغة العربية وشاعرها الروحي الصوفي قداسة البابا الأنبا شنودة الثالث والذي يقف حتى الآن مع العرب في حماس أكثر من حماس العرب ويرفض أن يدخل القدس إلا مع إخوانه المسلمين .. وهو أديب وشاعر وثائر وواعظ وفاهم للغة العربية يعيش في دروبها ويسلك في فيافيها .. وينطلق روحياً في صحرائها يتعبد ويتنسك :

أنا في البيداء وحدي .. ليس لي شأن بغيري .. لي جحر في شقوق التل قد أخفيت جحري .. وسأمضي منه يوماً ساكناً ما لست أدري .. وفي همسة حب يهمس من قلبه .. قلبي الخفاق أضحى مضجعك .. في حنايا الصدر أخفي موضعك .. قد تركت الكون في ضوضائه .. وأعتزلت الكل كي أحيا معك .. ليس لي فكر ولا رأي ولا .. شهوة أخرى سوى أن أتبعك .. يا صديقي لست أدري ما أنا .. أوتدري أنت ما أنت هنا .. أنت مثلي تائه في غربة .. وجميع الناس أيضاً مثلنا .. نحن ضيفان نقضي فترة .. ثم نمضي حين يأتي يومنا .

إن البابا شنودة هو الرجل العظيم الذي يملك ناصية الكلام ويعبر عن نفسه وعن رؤياه باللغة العربية في بلاغة ويتكلم في فصاحة .. فهو أظرف أدباء العصر .

١١/ وكان الأقباط يذهبون الى الأزهر للدراسة فيه لكي يتمكنوا من اللغة

العربية .. وكان الأقباط في المدارس يدرسون اللغة العربية كان هذا في مصر الى وقت قريب حتى عام ١٩٤٠م عندما صدر قرار وزاري من وزارة المعارف يمنع المدرسين الأقباط من تدريس اللغة العربية حتى وإن كانوا متخرجين من قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، ولكن هذا القرار لم يمنع الأقباط في مصر من النبوغ في اللغة العربية ، وبالنسبة للسودان نذكر أساتذة ممتازين في اللغة العربية هم أساتذة الأجيال مثل الأستاذ عبده بشاي في الأبيض والأستاذ عبد الكريم الشعراوي في مدرسة الراهبات بالخرطوم .. ولا ننسى الأسلوب الشيق الذي كتب به قبطي كردفان يوسف ميخائيل مذكراته القيمة التي تعد مرجعاً تاريخياً له مكان وموقع في تاريخ السودان حيث أرخ في مذكراته للتركية والمهدية والحكم الثنائي .. وقد كتب يوسف ميخائيل عن الخليفة عبد الله التعايشي وكان اسمه يوسف عبد الملاك كان خطاطاً وناسخاً وأمين سر له .. هذا عدا إشراقات إبراهيم بك خليل جد المطران .. ونذكر من أقباط السودان الشقيقان منير متي ومراد متي وقد شاركا في وضع منهج اللغة العربية للمدارس السودانية وكانا يدرسانها .. ومن الطريف أن منير متي مع صموئيل توفيق ذهبا للتدريس في جنوب السودان الى جوبا . وهناك إستقبلهما التمرد وأودعهما في السجن وإرسلت طائرة من الجيش لكي تخرجهم وتنقلهم الى الخرطوم .. وهما معا أيضاً إستقبلا في زالنجي بروفيسور عبد الله الطيب وأكرما وفادته وقد كان آتياً من موقع آخر لم يكرم فيه وقال بروفيسور عبد الله قصيدة يمدحهما مطلعها :

جود الأكرمين من شواء ومن لحم   وجودهم «قونقوليز» ليس له طعم

أما تادرس الفرسوطي فقد كان أديباً وشاعراً وصاغ الأناشيد الوطنية التي حفظها الطلبة وأنشدوها وإشترك في وضع منهج اللغة العربية وقام بتدريسها وقد جاب هؤلاء أنحاء السودان جنوباً وشمالاً شرقاً وغربا وهم يحملون في قلوبهم اللغة العربية الغنية الثرية بالنحو والصرف وسحر البلاغة والأدب نثراً وشعراً .. ومع هؤلاء أذكر عدلي منسي أستاذ اللغة العربية في كمبوني والأستاذ عبد الله نجيب المحامي وقد كتب عدة مسرحيات صيغت في شعر رصين وله عدة أغاني سودانية تذيعها أمدرمان.

١٢/ وأذكر عندما كنت طالباً في الإعدادية أن أستاذي في اللغة العربية وكان من أقطاب الأخوان المسلمين كان يحب ما أكتب من إنشاء ويقارنني ببعض الأدباء

وكنت صاحب الصوت الجهير المقرئ للغة العربية وإنتقلت العدوى الى باقي المواد وكان أساتذة التاريخ والجغرافيا والمواد الأخرى يطلبون مني أن أقرأ .. وذات مرة قال لي أستاذي في اللغة العربية .. يا ابني عندي منك طلب .. فقلت أطلب أستاذي ما شئت .. فقال أرجوك أن تحضر معنا حصة الدين الإسلامي وفي خجل وإستحياء قلت له يا أستاذ أنا مسيحي ولو تغيبت عن حصة الدين المسيحي ليس في صالحي .. فقال أعلم يا ابني أنك مسيحي ولكنني لا أجد بين زملائك من يقرأ مثلما تقرأ.

١٣/ أما رئيس الوزراء القبطي بطرس باشا غالي ١٨٤٦ - ١٩١٠م فهو القبطي العظيم الذي كان أول من أمر بالإحتفال برأس السنة الهجرية في مصر والذي إستطاع في عام ١٩٠٩م حل مشكلة طلاب الأزهر الشريف وعندما كانت الحكومة قد صممت على إغلاق الجامع الأزهر قال هو لا يمكن أبداً أن يمس أبناء الأزهر بسوء في عهدي ووضع مشروعاً يقضي بسفر العلماء من خريجي الأزهر بنصف الأجرة في القطارات وقد كان شيخ الأزهر سليم البشرى يعتز به وقال بجوار سرير موت بطرس غالي : قليل من المسلمين فعلوا لبلادهم مثل ما فعل هذا المسيحي الطيب.

المحتويـــات

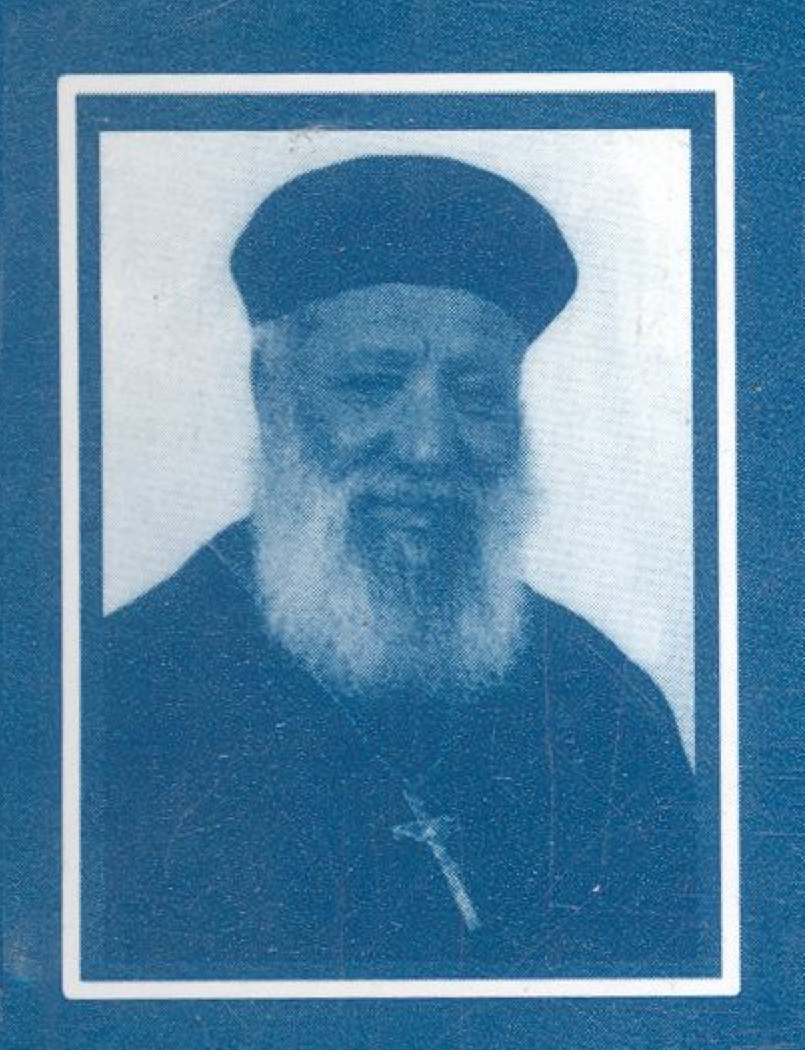
الباب الخامس : المسيحية في البلاد العربية

التصميم والإخراج والإشراف

العكادي للطباعة وخدمات الإعلان

رقم الإيداع

٦٠٧ / ٢٠٠٦م



قالوا عن المؤلف

إختيار الآب فيلوثاوس فرج سفيراً فوق العادة للسلام من قبل فيدرالية السلام صادف أهله وهو محل تقدير وإحترام لما يبذله من أجل السلام وكنا نجعله يقود مفاوضات السلام في الإيقاد وأبوجا الاولي والثانية لأنه حمامة سلام وداعية محبة وكثيراً ما كان يساهم فى حل مشاكل البرلمانيين وهى ليست قليلة .

محمد الأمين خليفة- رئيس المجلس الوطني الإنتقالي

الآب فيلوثاوس فرج السلام بالنسبة له قضية كل يوم ودعوة محبة يكتب عنه ويرسمه في أذهان الناس. ودعوة المحبة لديه مساحة للتنافس بين المؤمنين بهذه الدعوة وهي سلوك يمتاز به في كل حركاته وعقيدته تتجذر في عقله وقلبه

عبد الباسط عبد الماجد وزير الثقافة

عرفت الأب فيلوثاوس أو كما يحلو لنا أن نطلق عليه منذ أن عرفناه للمرة الاولى قبل قرابة الثلاثين عاماً لقب أبونا وهو رجل لا تفارقه الإبتسامة ويميل فى كتاباته الى ما يجمع وليس الى ما يفرق وله شعبية واسعة وسط السودانيين وهو منهم يعتز بسودانيته .

أحمد البلال الطيب رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم

لقد كان الحضور الكبير فى قاعة الشارقة للإحتفال به سفيراً عالمياً للسلام يعكس مدى العمق الإجتماعى والسياسى والدينى المتمكن فى حياة هذا الرجل وعلاقاته ولقد أصبح الأب فيلوثاوس بحق عضواً فى [illegible] وأصبحنا بالمثل أعضاء حميمين فى أسرته .

سيد أحمد خليفة رئيس مجلس [illegible]

إختيار الآب القمص فيلوثاوس فرج وتكريمه سفيراً للسلام مناسبة يفرح بها المسلمون في [illegible] المسيحيين، فهي تأكيد على المحبة والتعايش السلمي في هذا البلد الحبيب، ولقد كان إحتفاء المسلمين [illegible] أكبر من أحتفاء غيرهم بمن فيهم أهل ملته المسيحية، فهو ظل طول حياته جسراً بين كل اثنيات [illegible]

جمال عنقرة مفكر وصحفي